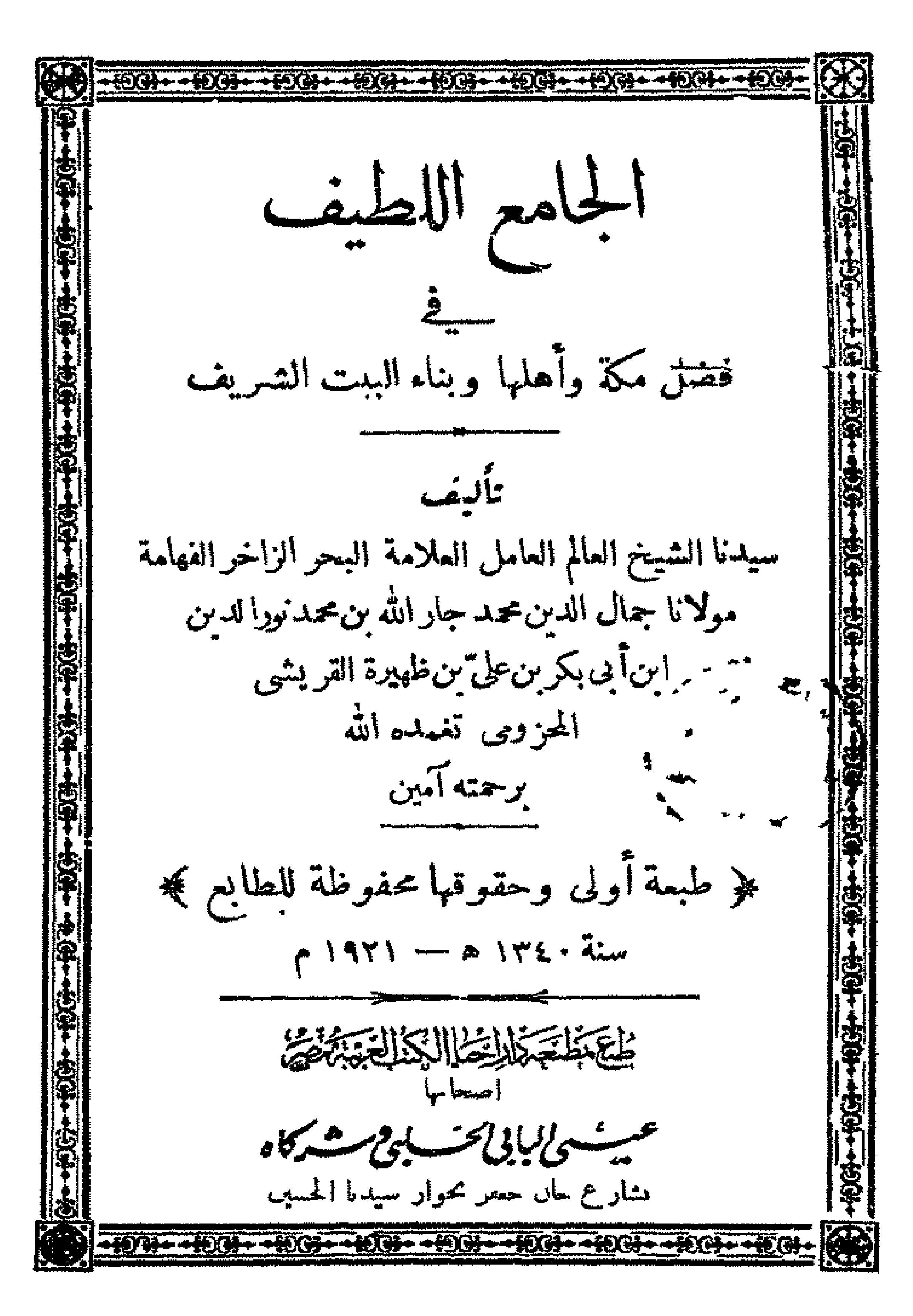


الجامع اللطيف

في

فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

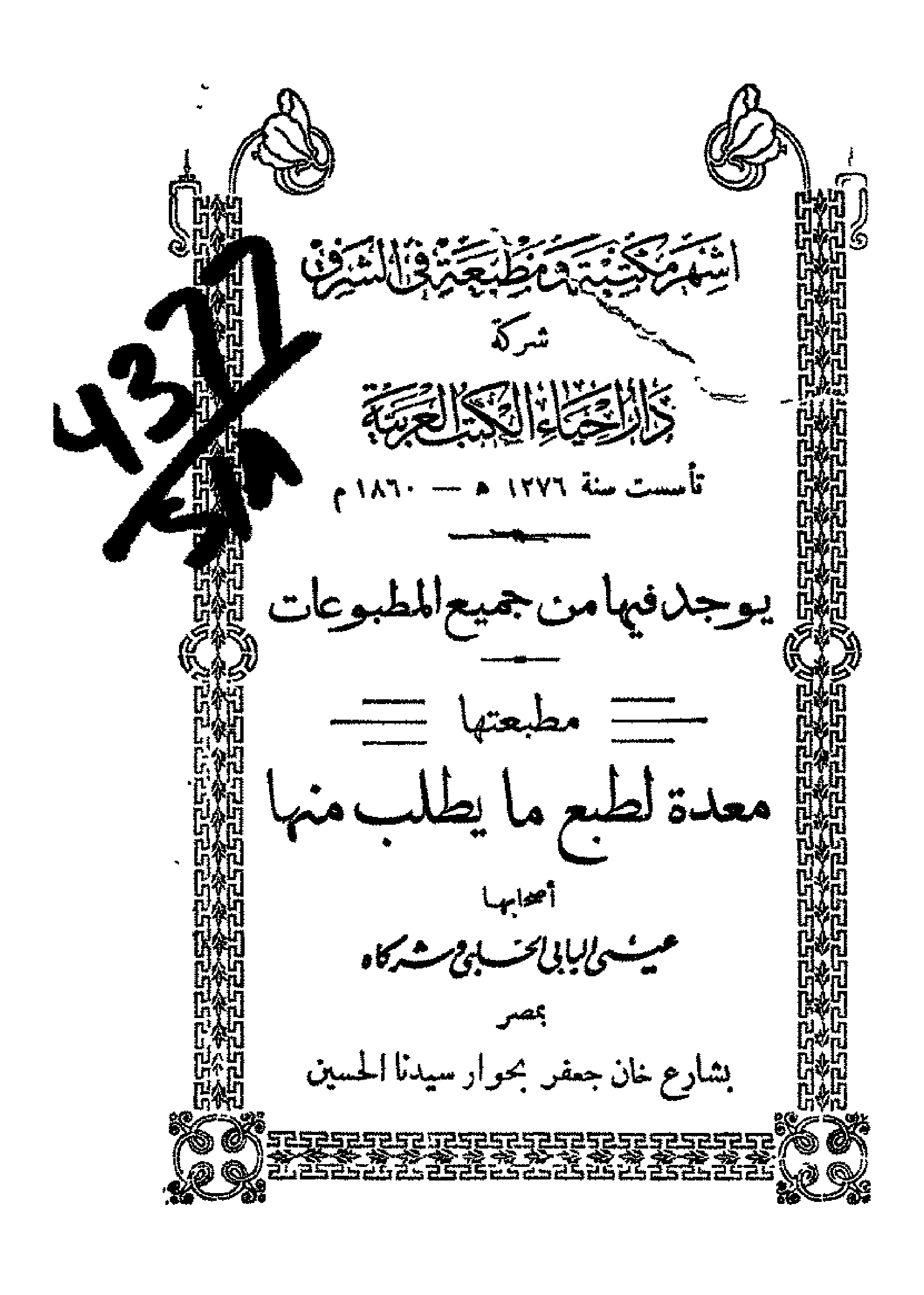
تأليف

سيدنا الشيخ العالم العامل العلامة البحر الزاخر الفهامة
مولانا جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين
ابن أبي بكر بن علي بن ظهيرة القريشي
المخزومي تغمده الله
برحمته آمين

﴿ طبعة أولى وحقوقها محفوظة للطابع ﴾

سنة ١٣٤٠ هـ — ١٩٢١ م

طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر
لأصحابها
عيسى البابي الحلبي وشركاه
بشارع خان جعفر بجوار سيدنا الحسين



اشهر مكتبة ومطبعة في الشرق
شركة
دار احياء الكتب العربية
تأسست سنة ١٢٧٦ هـ — ١٨٦٠ م
يوجد فيها من جميع المطبوعات
مطبعتها
معدة لطبع ما يطلب منها
أصحابها
عيسى البابي الحلبي وشركاه
بمصر
بشارع خان جعفر بجوار سيدنا الحسين

فهرست

اسماء الرجال والنساء والاماكن

فى آخر هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أسبغ على أهل مكة بمجاورة بيتـه الامين مواد الفضـل والنعمة وجعلهم أهله وخاصته فخرا لهم وتنويها بشأنهم لما اقتضته الحكمة وخص من شاء منهم بباهر العز والجـلال ودفع عنه كل بؤس ونقمة وحباه بمزيد العناية والشرف فصار له جارا وجار الله جدير بوافر الانعام والحرمة أحمده على انتظامى فى هذا السلك وأشكره على تفضلاته الجمة وأشهد أن لا إله الاّ الله وحده لا شريك له الذى أكرمنا بخير نبى كنا به خير أمة وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث فى هذه البقعة المطهرة لكشف غياهب الشك والظلمة صلى الله عليـه وعلى آله وأصحابه السادة الائمة الذين ناصروه وظاهروه على عدوه وقاموا فى مصالحه على همة صلاة وسلاما دائمين مقرونين بعظيم البركة والرحمة

أما بعد فيقول الفقير الى عفو الله ولطفه الخفى محمد جار الله بن ظهيرة القرشى المكى الحنفى اعلم أنه لا يخفى على كل عاقل من ذوى الالباب السليمة والافكار الرائقة الحسنة المستقيمة أن الكعبة الشريفة هى أفضل مساجد الارض وأنها بيت الله الحرام وقبلة لجميع

الانام وان مكة المشرفة هي البلد الامين ومسقط رأس سيد المرسلين وأهلها هم خاصة الله من البشر الحائزون نهاية الشرف والفخر والفخر والمسجد الحرام فضله لا ينكر وما طوى من فضائله لم يزل ينشر والادلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى وأعظم من أن تستقصى وقد تصدّى لتأليف فضائل مكة وأخبارها جمع كثير من فضلاء المتقدمين أجلهم الامام المتقن أبو الوليد الازرقى تغمده الله برحمته ومن المتأخرين السعيد اللامة المحرر القاضي تقي الدين الفاسي المكي بوأه الله دار كرامته وهو المعوّل عليه فانه رحمه الله قد أغرب وأبدع وأتى في مؤلفه شفاء الغرام ومختصراته بما يشفي وينفع وأظهر في ذلك جملا من المحاسن والمفاخر وان كان للمتقدم عليه فضل السبق والتأسيس فكم ترك الاول للآخر غير أن الجميع رحمهم الله قد أطالوا الكلام وبالغوا في الاسهاب ونشروا العبارة وبسطوها في جميع الكتاب بحيث من أراد الاحاطة بذلك يحتاج الى استيعاب جميع المؤلف مع كبر الحجم ليقف على ما هنالك وربما قدم بعضهم ما يحسن تأخيره وأخر ما يحسن تقديمه وتقريره وممن جنح أيضاً الى هذا الغرض وذكره ضمناً أرباب كتب المناسك في أوائل مناسكهم فمنهم من أوسع العبارة وأطال بما يمكن أن يدرك بأدنى اشارة ومنهم من مال الى الايجاز والاختصار ومع ذلك فلم تسلم عبارته من التكرار وبعضهم ضيق العبارة جدا بحيث انه ذكر ذلك في نحو ست ورقات عدا فأخل حينئذ بما تعين أن يذكر وأضرب صفحا عن أمور

وجب أن تثبت وتشهر فلما وجدتهـا على ما وصفت ولم أقف على مؤلف متوسط في ذلك يدل على المقصود ولا ظفرت بتعليق مفرد يكون جامعاً لما هو في أسفار علماء هذا الفن موجود أحببت أن أجعل بعـد الاستخارة تعليقاً لطيفاً غير مختصر مخل ولا مطول ممل يكون عدة للقصاد سالكا ان شاء الله تعـالى سبيل التوسط والاقتصاد لقصور الهمم في هذا الزمان عن مطالعة المطولات ومراجعة المبسوطات أجمع فيه ما تفرق من منثور الكلام وأضم كل لفظ الى مناسبه ليحصل كمال الالتئام لما أن التأليف في هذا الوقت ليس هو الا كما قال بعضهم جمع ما تشتت ورم ما تفتت مع زيادة فروع فقهية وأحاديث نبوية وآثار ضوية وفوائد كثيرة ولطائف غزيرة مع تحرير عبارة وتقرير اشارة مثبتاً ذلك علي قدر الفتوح حسبما هو موجود في الاسفار مشروح معزيا كل قول غالبا الى قائله ومبينه لطالعه وسائله ليكون للواقف عليه عمدة وأخرج بذلك من الدرك والعهدة وما فتح الله به من كلامى على سبيل البحث ميزته بقولى في أوله ماصورته أقول أو بحث وفي آخره انتهى أو والله الموفق بالقلم الاحمر[1] وشرطت أن لا يخل الناسخ بذلك ليتميز عن كلام الغير هـذا مع اعترافي بكساد البضاعة وعدم التقدم في هذه الصناعة فشرعت مجتهدا في ذلك طالباً من الله تيسير تلك المسالك وسميته (الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلهـا وبناء البيت الشريف) ورتبته على مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة

[١] اكتفينا بجعله بين قوسين

وفيه ثلاثة فصول (الاول) فى أفضليتها على المدينـة (الثانى) في أفضلية قبر النبى صلى الله عليه وسلم على سائر البقاع (الثالث) فى ذكر أسماء مكة المشرفة

الباب السابع فى فضل الحرم وحرمته وفضل المسجد الحرام وخبر عمارته وفيه خمسة فصول (الاول) فى ذكر الآيات المختصة بالحرم (الثانى) فى الكلام على تعريف المسجد الحرام وفيه ذكر شئ من خبر الاسراء على سبيل الاستطراد (الثالث) فى ذكر عمارة المسجد الحرام (الرابع) فى خبر عمارة الزيادتين اللتين به وذرعه وذكر المنابر (الخامس) في كيفية المقامات التى بالمسجدالحرام وبيان مواضعها وحكم الصلاة فيها وما فى المسجدمن القبب والابنية وعدد أبواب المسجد الحرام

الباب الثامن في فضل أهل مكة وشرفهم وما وردفى ذلك وفيه فصل واحد يتعلق بذكر نسب النبى صلى الله عليه وسلم ونسب أصحابه العشرة وذكر شئ من مناقب قريش

الباب التاسع فى ذكرمبدأ بئرزمزم وفضل مائها وأفضليته وخواصه وفيه فصلان (الاول) فى ذكر أسمائها (الثانى) فى آداب الشرب منها

الباب العاشر فى عدد أمراء مكة من لدن عهد النبى صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا

الخاتمة فى ذكر الاماكن المباركة التى يستحب زيارتها بمكة وحرمها وخارجها من المواليد والدور والمساجدوالجبال والمقابر سائلا من كرم الله ولطفه أن يهدينى الى الطريق السواء ويجعلنى ممن أخلص النية في العمل

وانما لكل امرئ ما نوى مستعيناً به فيما أردت مؤملا من فضله اتمامه حسبما قصدت وهو الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

المقدمة

في فضل العلم الشريف وأهله وطالبيه
وما ورد فيه من الآيات العظيمة والاخبار الكريمة والآثار الجسيمة

اعلم أن العلم شرف الانسان وفخر له في جميع الازمان وهو العز الذى لا يبلى جديده والكنز الذى لا يفنى خريده وقدره عظيم وفضله جسيم قال الله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) برفع العلماء على الفاعلية أى انما يخاف الله من عرفه حق معرفته وهم العلماء وقرئ في الشواذ برفع الاسم الشريف على الفاعلية ونصب العلماء على المفعولية وهذا مروى عن جماعة من العلماء منهم امامنا أبو حنيفة رضى الله عنه كان الاستاذ الكمال ابن الهمام في مجلس تدريسه فأورد عليه سائل قراءة أبى حنيفة المذكورة فأجاب بقول الشاعر

أهابك اجلالا وما بك قدرة ... علىّ ولكن ملء عين حبيبها

وحينئذ فالمراد بالخشية الاجلال فيكون المعنى على هذا انما يجل الله

من عباده العلماء وقال تعالى (شهد الله أنه لا إله الآ هو والملائكة وأولو العلم) الآية . فقرنهم بالملائكة ثم عطف شهادتهم على شهادته وميزهم من بين سائر الخلق وفضلهم على جميع الناس لقوله تعالى (وتلك الامثال نضربهـا للناس وما يعقلها الآ العالمون) ومنّ على سيد البشر بقوله تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) ثم قال تعالى تنويها بشأن العلماء (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) وقال تعالى (علم الانسان ما لم يعلم) وقال تعالى فى جواب الكفار حين سألوا وما الرحمن (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) وقال تعالى فى حق العلماء (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) قال بعض المفسرين يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم قال بعض العلماء رفعتهم تشمل المعنوية فى الدنيا بحسن الصيت وعلوّ المنزلة والحسية فى الآخرة بعلوّ المنزلة فى الجنة وقال تعالى (وقل رب زدنى علما) وجه الدلالة أن الله تعالى لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شئ الا من العلم ومثل هذا كثير فى كتاب الله وفى بعض الكتب المنزلة يقول الله (أنا الذى خلقت الخلق والقلم وعلمت الناس البيان)

وأما ما جاءت به السنة فأكثر من أن يحاط به فمن ذلك ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم وطالب العلم يستغفر له كل شئ حتى الحوت فى البحر) وروى عطيه العوفى عن أبى سعيد الخدرى

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من غدا لطلب العلم صلت عليه الملائكة و بورك له فى معيشته) وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة) وفى رواية سهل الله له به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم لرضاها بما يصنع قال بعض العلماء المراد بوضع الاجنحة التواضع على جهة التشريف وقيل على الحقيقة تضع أجنحتها لهم فيمشون عليها ولا يدركون ذلك للطافة أجسادهم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر) وعن أبى اسحق المزنى يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (يقال للعابد يوم القيامة أدخل الجنة ويقال للعالم قف فاشفع لمن شئت) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (العالم والمتعلم كهذه من هذه) وجمع بين المسبحة والتى تليها (شريكان فى الاجر ولا خير فى سائر الناس بعد) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (أغد عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا لذلك ولا تكن الخامس فتهلك) وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مسئلة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة من ولد اسمعيل)

﴿لطيفة﴾ تخصيص أولاد اسمعيل بالذكر دون غيرهم قيل لكونهم أفضل أصناف الامم فان العرب أفضل الامم ثم أفضلهم أولاد

اسمعيل وقيل لان أولاد اسمعيل لم يجر عليهم رق قبل الاسلام

وعن أبي أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من غدا الى المسجد لا يريد الا أن يتعلم خيرا أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته) رواه مسلم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) وفى الترمذى (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (يشفع الله يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء) قال بعض الفضلاء أكرم بمرتبة هي متوسطة بين النبوة والشهادة (أقول فى العطف بثم أدل دليل على أفضلية العلماء على الشهداء كما لا يخفى على من عرف الحكم النحوى فى ثم انتهى) وفى الفائق عنه صلى الله عليه وسلم (تعلموا العلم وعلموه الناس) وفيه أيضا (تعلموا العلم واعملوا به) وفيه (تعلموا العلم قبل أن يرفع) وفيه (تعلموا العلم وكونوا من أهله) وفيه (ان أهل الجنة ليحتاجون الى العلماء فى الجنة كما يحتاجون اليهم فى الدنيا)

﴿ لطيفة ﴾ من الاحتياج الى العلماء فى الجنة أنه اذا دخل أهل الجنة اليها يعطيهم الله جميع ما يتمنونه ولا يزالون يتمنون باذن ربهم حتى تعجز عقولهم وتدبيراتهم عن الامانى لانهم نالوا كل ما أرادوا من النعيم فيقول الله سبحانه بعد ذلك كله تمنوا فلا يعرفون ما يتمنون فيرجعون الى العلماء فيسألونهم ما يتمنون فيستنبطون لهم أشياء من أسرار الله تبارك وتعالى فيتمنونها كذا فى حاوى القلوب الى لقاء المحبوب

لابن الميلق الشافعي رحمه الله والاحاديث فى ذلك كثيرة جدا وهذا بعض بعض من كل وقال بعض الفضلاء العلم أمان من كيد الشيطان وحرز من كيد الحسود ودليل العقل ولقد أحسن من قال

ما أحسن العقل والمحمود من عقلا وأقبح الجهل والمذموم من جهلا
فليس يصلح نطق المرء فى جدل والجهل يفسده يوما اذا سئلا
والعلم أشرف شئ ناله رجل من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا
تعلم العلم واعمل يا أخي به فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

وعن بعض الحكماء أنه قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده والبر أخوه والصبر أمير جنوده وقال بعض الحكماء لمثقال ذرة من العلم أفضل من جهاد الجاهل ألف عام وقال الامام الشافعي رضى الله عنه وأعاد علينا من بركاته الاشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة وقال ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم وقال بعض العلماء العلم نور يهتدى به الحائر وفى معناه أنشدوا

بالعلم تحيا نفوس قط ما عرفت من قبل ما الفرق بين الصدق والمين
العلم للنفس نور تستدل به على الحقائق مثل النور للعين

وقال آخر

كفى شرفا بالعلم دعواه جاهل ويفرح ان أمسى الى العلم ينسب
ويكفى خمولا بالجهالة أننى أراع متى أنسب اليها واغضب

وقال ابن الزبير ان أبا بكر كتب الى وأنا بالعراق يا بنى عليك بالعلم

فانك اذا افتقرت اليه كان مالا وان استغنيت به كان جمالا وأنشد في معناه

العلم بالغ قوما ذروة الشرف وصاحب العلم محفوظ من التلف
يا صاحب العلم مهلا لا تدنسه بالموبقات فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتا لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقال بعض الفضلاء ينبغى لكل عاقل أن يبالغ فى تعظيم العلماء ما أمكن ولا يعد غيرهم من الاحياء وقد أجاد من قال

ومن الجهالة أن تعظم جاهلا لصقال ملبسه ورونق نقشه
واعلم بأن التبر فى بطن الثرى خاف الى أن يستبين بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحة نقشه

وقال أبو طالب المكى في قوت القلوب جاء في الخبر أن الله تعالى لا يعذر على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا يحل للعالم أن يسكت عن علمه وقد قال سبحانه (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وقال سيدى الشيخ سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه وأعاد علينا من بركاته ما عصى الله بمعصية أعظم من الجهل وما أطيع الله بمثل العلم وقال بعضهم رضى الله عنه قسوة القلب بالجهل أشد من قسوته بالمعاصى قال الشيخ محمد بن على المنهاجى رحمه الله قلت والله أعلم ولهذا نجد الجاهل يبغض كل من كان طالبا للعلم ويعد ذلك عيبا وقيل في معنى ذلك

عاب التعلم قوم لا عقول لهم وما عليه اذا عابوه من ضرر

ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة
أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالنفقة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال خير سليمان بن داود صلوات الله عليهما بين العلم والملك والمال فاختار العلم فأعطى الملك والمال معه وقال الامام مالك بن أنس رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يجعله الله في قلب من يشاء وقال بعض الحكماء ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فات من أدرك العلم وما أحسن ما قيل

تعلم العلم فاسلك حيثما سلك العلم	وعنه فكاشف كل من عنده فهم
ففيه جلاء للقلوب من العمى	وعون على الدين الذى أمره حتم
فخالط رواة العلم واصحب خيارهم	فصحبتهم زين وخلطتهم غنم
ولا تعدون عيناك عنهم فانهم	نجوم هدى ان غاب نجم بدا نجم
فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى	ولا لاح من غيب الامور لنا رسم

وعن ابن المبارك أنه قال لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل وعن عثمان بن أبي شيبة قال سمعت وكيعا يقول لا يكون الرجل عالما حتى يسمع ممن هو أسن منه وممن هو مثله وممن هو دونه وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا وهما لا يستويان أما طالب العلم فيزداد

رضى الرحمن وأما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان ثم قرأ (انما يخشى الله من عباده العلماء ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) ما أحسن قول بعضهم

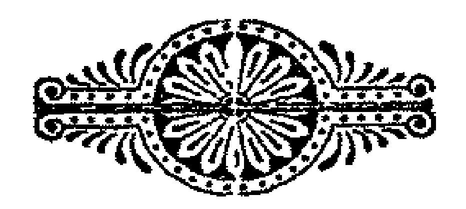
ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا فالناس موتى وأهل العلم أحياء

وقيل للحسين بن الفضيل رضى الله عنه هل تجد في القرآن من جهل شيئا عاداه فقال نعم في موضعين قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) وقوله تعالى (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) وقال يحيي ابن معاذ الرازى رضى الله عنه العلماء أرأف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم وأرحم عليهم من آبائهم وأمهاتهم وذلك أن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وآفاتها والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وشدائدها وقال سفيان الثورى رضى الله عنه العجائب عامة وفي آخر الزمان أعم والنوائب طامة وفي أمر الدين أطم والمصائب عظيمة وموت العلماء أعظم وان العالم حياته رحمة للامة وموته في الاسلام ثلمة وعن معاذ تعلموا العلم فان تعلمه حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وما أحسن قول الزمخشرى

وكل فضيلة فيها سناء وجدت العلم من هاتيك أسنى
فلا تعتد غير العلم ذخرا فان العلم كنز ليس يفنى

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال باب من العلم نتعلمه أحب الينا من ألف ركعة تطوع وعن عمر رضى الله عنه موت ألف عابد قائم

الليل صائم النهار أهون من موت العالم البصير بحلال الله وحرامه والكلام في هذا يطول ولنختم هذا النوع بحديث نبوى ورد في الصحيحين عن عبدبن الله عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول (ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينزعه من النـاس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى لم يبق عالم اتخذ النـاس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) وهذا التعليق لا يحتمل أكثر من هذا وفيما ذكرته مقنع اللهم اني أسألك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أن ترزقنى علما نافعا وتختم لى بالخير وتحشرنى فى زمرة من ذكرتهم بقولك تبارك اسمك (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئـك رفيقا) آمين يا رب العالمين



الباب الأول

فى مبدأ أمر الكعبة الشريفة و بيان فضلها وشرفها وما يدل على ذلك من الآيات والاحاديث والآثار والحكايات والعجائب

أما الآيات فمن ذلك قوله تعالى (ان أول بيت وضع للناس) الآية . قال الكواشى سبب نزول هاتين الآيتين أن اليهود لما قالوا للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم أنزل الله تعالى ان أول بيت واختلف في معنى كونه أول بيت وضع للناس فقيل أول بيت وضعه الله للطاعات وجعله متعبدا وقبلة للصلوات وموضعا للطواف ويدل عليه ما روى عن على رضى الله عنه أنه سئل أهو أول بيت وضع فقال كان قبله بيوت ولكنه أول متعبد وقيل أول بيت بنته الملائكة فلما حجه آدم قالت له الملائكة برّ حجك فانا قد حججنا قبلك بألفى عام وقيل أول بيت بناه آدم وقيل أول بيت بناه ابراهيم وقيل أول بيت حج بعد الطوفان وقيل أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض فهذه ستة أقوال و بيان القول الاخير أن الله تعالى كان ولم يكن

شيء قبله وكان عرشه على الماء وليس هو ماء البحر بل هو ماء تحت العرش بكيفية شاءها الله تعالى فقيل انه خلق السماء دخانا قبل الارض وفتقها سبعا بعد الارض وردّه بعضهم بأن خلق الارض كان أولا مستدلا بقوله تعالى (أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين) الى قوله طائعين قال النسفى في تفسيره المسمى بالمدارك يفهم منه ان خلق السماء كان بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس رضى الله عنه واختاره الشيخ جلال الدين السيوطى من المتأخرين وأجاب بذلك عن سؤال رفع اليه صورته

ياعالم العصر لازالت أناملكم	تهمى وجودكم نام مدى الزمن
لقد سمعت خصاماً بين طائفة	من الافاضل أهل العلم واللسن
فى الارض هل خلقت قبل السماء وهل	بالعكس جا أثريا نزهة الزمن
فمنهم قال ان الارض منشأة	بالخلق قبل السما قدجاء فى السنن
ومنهم من أتى بالعكس مستندا	الى كلام امام ماهر فطن
أوضح لنا ماخفى من مشكل وأبن	نجاك ربك من زور ومن محن
ثم الصلاة على المختار من مضر	ماحى الضلالة هادى الخلق للسنن

فأجاب رضى الله عنه بما صورته

الحمد لله ذى الافضال والمنن	ثم الصلاة على المبعوث بالسنن
الارض قدخلقت قبل السماء كما	قد نصه الله في حاميم فاستبن
ولا ينافيه ما فى النازعات أتى	فدحوها غير ذاك الخلق للفطن
فالحبر أعنى ابن عباس أجاب بذا	لما أتاه به قوم ذوو لسن

وابن السيوطي قد خط الجواب لكي　　ينجو من النار والآثام والفتن

انتهى بنصه　فان قيل هل قول السماء والارض كان بلسان الحال أم المقال　قيل ان ظهور الطاعة منهما قام مقام قولهما　وقيل ان الله خلق فيهما كلاما فنطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء ما بحيالها

مطلب أصل طينة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة

قال الثعلبي خلق الله تعالى جوهرة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء فخلق الله الارض من زبده والسماء من بخاره فكان أول ظاهر على وجه الارض مكة　زادغيره ثم المدينة ثم بيت المقدس ثم دحا الارض منها طبقا واحدا ثم فتقها بعد ذلك وكذلك السماء　وروي عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قل أصل طينة النبي صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة　قال بعض العلماء في هذا ايذان بأنها التى أجابت من الارض　وعن كعب الاحبار رضى الله عنه قال كانت الكعبة غثاء على الارض　قبل خلق السموات والارض بأربعين سنة ومنها دحيت الارض فهو صلى الله عليه وسلم الاصل فى التكوين والكائنات تبع له

مطلب مدفن الانسان بتربته

فان قيل مدفن الانسان يكون بتربته أى مكان طينته التى خلق منها وهو صلى الله عليه وسلم دفن بالمدينة الشريفة　أجاب بعض العلماء ان الماء لما تموج عندوقوع الطوفان ألقى تلك الطينة الى ذلك الموضع من المدينة الشريفة　وعن ابن عباس رضى الله عنه قال لما كان العرش

على الماء قبل أن تخلق السموات والارض بعث الله ريحا هفافة بفاءين فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة في موضع البيت كأنها قبة فدحا الله الارضين من تحتها فمادت ثم مادت فاوتدها بالجبال

مطلب أول جبل وضع في الارض أبو قبيس

وكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس فلذلك سميت مكة أم القرى أي أصلها والخشفة بالخاء والشين المعجمتين والفاء واحدة الخشف وهى حجارة تنبت فى الارض نباتا وروى عمر بن شبة فى اخبار مكة خشمة بالعين المهملة عوضا عن الفاء وهى أكمة لاطية بالارض وقيـل هو ما غلب عليه السهولة وليس بحجر ولا طين ويقال للجزيرة التى فى البحر لا يعلوها الماء خشفة بالفاء وجمعها خشاف وقوله في الآية السابقة للذى ببكة مباركا أى كثير الخير لما يحصل لمن حجه أو اعتمره أو عكف عنده أو طاف حوله من الثواب وانتصاب مباركا على الحال قال الزجاج وغيره المعنى استقر بمكة فى حال بركته وهو حال من وضع وقوله (فيه آيات بينات) قال النسفي فى تفسيره أى علامات واضحات لا تلتبس على أحد ومقام ابراهيم عطف بيان لقوله آيات بينات وصح بيان الجماعة بالواحد لانه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام من تأثير قدمه فى صخر صلد أو لاشتماله على آيات لان أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة وقوله (ومن دخله كان آمنا) عطف

بيان لآيات فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله والآيتان في معنى الجمع ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات فكان المعنى مقام ابراهيم وأمنه من دخله وكثير سواهما ونحوه فى طىّ الذكر قوله صلى الله عليه وسلم حبب الىّ من دنيا كم ثلاث وقيل ان لفظ ثلاث موضوعة لاأصل لها فى الحديث كما صرّح به بعض أئمة الحديث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلاة فقرة عينى ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام لانها ليست من الدنيا والثالث مطوى انتهى باختصار

مطلب أول مسجد وضع بالارض المسجد الحرام

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله أى مسجد وضع في الارض أولا قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت كم كان بينهما قال أربعون عاما وفي ذلك اشكال أشار اليه جدى أى جد المؤلف قاضى القضاة شيخ الاسلام خطيب المسجد الحرام فخر الدين أبو بكر بن على بن ظهيرة الشافعى تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوح جنته في منسكه المسمى بشفاء الغليل في حج بيت الله الجليل وهو ان مسجد مكة بناه ابراهيم عليه السلام بنص القرآن (واذ يرفع ابراهيم) الآية والمسجد الاقصى بناه سليمان كما جاء فى حديث ابن عمر أخرجه النسائى باسناد صحيح وبين ابراهيم وسليمان زمان طويل يزيد على ألف سنة كما قاله أهل التواريخ فكيف قال في الحديث بينهما أربعون سنة والجواب عن ذلك بانه يحتمل انّ ابراهيم وسليمان انما جددا

ما بناه غيرهما كما سيأتى آنفا من ان أول من بنى البيت آدم فيجوز أن يكون غيره من ولده وضع بيت المقدس بعده بأربعين عاما ويجوز أن تكون الملائكة أيضاً بنته بعد بنائها البيت باذن من الله تبارك وتعالى فعلى هـذه الاقاويل يكون قوله تعالى ان أوّل بيت وضع على ظاهره وهو الذى عليه جمهور العلماء وصححه النووى انتهى بمعناه ومن ذلك قوله تعالى (واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) المراد بالبيت الكعبة لانه غالب عليها كالنجم للثريا ومثابة قال النسفى مباءة ومرجعاً للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه وأمنًا موضع أمن فان الجاني يأوى اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا في الملتجى الى الحرم انتهى وأصل الثوب لغة الرجوع ومن ذلك قوله تعالى عقب هذه الآية (وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين) الآية المعنى طهراه من الاوثان والانجاس والخبائث كلها والمراد بالطائفين الدائرون حوله و بالعاكفين قيل المجاورون الذين عكفوا عنده أى أقاموا لا يبرحون وقيل المعتكفون وقيل الطائفون النزاع اليه من البلاد والعاكفون المقيمون عنده من أهل مكة

مطلب قبلته صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك قوله تعالى (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها) ثم قوله (فلنولينك قبلة ترضاها) الآيات وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الكعبة قال النسفى أى وما جعلنا القبلة التى

تحب أن تستقبلها الجهة التى كنت عليها أولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء لتعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو علي حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد فقد ارتد عن الاسلام عند تحويل القبلة جماعة انتهى والمراد بقوله شطر المسجد الحرام بمعنى المحرم هو الكعبة قال الكواشي وذكر النسفي ان المراد جهته وسمته أى جعل تولية الوجه تلقاء المسجد وشطره نصب على الظرف أى نحوه لان استقبال عين القبلة متعسر على النائي وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين انتهى وقوله (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق) قال الزمخشري أى ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصلى الى القبلتين

مطلب تحويل القبلة

فائدة قال العلامة شهاب الدين أبو الفضل بن العماد الاقفهسى فى الدرة الضوية في هجرة خير البرية كان تحويل القبلة في السنة الثانية من الهجرة ثم قال قال النووى ناقلا عن محمد بن حبيب الهاشمي حولت القبلة فى ظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان كان النبى صلى الله عليه وسلم في أصحابه فحانت صلاة الظهر فى منازل بني سلمة بكسر اللام فصلى بهم ركعتين من الظهر في مسجد القبلتين الى بيت المقدس ثم أمر وهو في الصلاة باستقبال الكعبة وهو راكع في الثالثة فاستدار واستدارت الصفوف خلفه صلى الله عليه وسلم فأتم الصلاة فسمى مسجد القبلتين وكان صلى الله

عليه وسلم مأمورا بالصلاة الى بيت المقدس مدة مقامه بمكة و بعد الهجرة بستة عشر شهرا أو سبعة عشر ثم قال أعني ابن العماد قول النووى انه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا باستقبال بيت المقدس مدة اقامته بمكة قد جزم البغوى بخلافه فقال في تفسير قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك) الآية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة أمره الله تعالى أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم بما يجدون من نعته فى التوراة فصلى اليها ستة عشر شهرا أو سبعة عشر وكان يحب أن يتوجه الى الكعبة لانها كانت قبلة ابراهيم وقال مجاهد كان يحب ذلك من أجل ان اليهود كانوا يقولون يخالفنا و يصلى الى قبلتنا فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولنى الله الى الكعبة فقال له سل ربك فجعل صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء فأنزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الآيات انتهى بنصه وما جزم به البغوي من انه عليه السلام كان يصلى بمكة الى الكعبة هو المعتمد وعليه أكثر المفسرين وأصحاب السير

مطلب المختار انه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا بشرع من قبله بعد البعثة

واختلف العلماء هل كان ذلك باجتهاده أو بأمر من ربه وهذا تفريع على الاصح من انه عليه السلام لم يتعبد بشرع غيره بعد البعثة ومن ذلك قوله تعالى في سورة المائدة ولا آمين البيت الحرام أي

لا تحلوا من قصده من الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها و بين المتنسكين بهـا قاله النسفي أقول وتوجيهه ان المتنسكين إنمـا أرادوا تعظيم هذا البيت المشرف وجزيل الثواب وفي الاحالة ابطال ذلك والله الموفق وفي تفسير الكواشي ولا آمين أى ولا قتال قاصدين البيت فان قيل هـذا عام في المؤمنين والمشركين أم انتسخ الحكم في حق المشركين فالجواب انه منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم و بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهو المشهور

(مطلب من الحسن وغيره لس في المائدة منسوخ)

وعن الحسن وغيره ليس فى المائدة منسوخ ومن ذلك قوله تعالى فى السورة المذكورة هدياً بالغ الكعبة فبالغ الكعبة صفة لهدياً وجاز الوصف بذلك لان إضافته غير حقيقية كما صرّح به النحاة ومعنى بلوغ الكعبة أن يذبح بالحرم وهو فناء المسجد الذي هو فناء للبيت كل ذلك تعظيما لهذا البيت أن لا تقام هذه القربة إلا فى حرمه ولا يجزئ الذبح في غـيره (فروع * الاول) الهدي المذكور في الآية هو جزاء الصيد ويجب على المحرم عنـدنا بقتله الصيد سواء كان ناسيا أو عامدًا أو مبتدئا وهو الذي قتل الصيد مرة أو عائدًا وهو الذي قتل مرة بعد أخرى بل العائد عنـدنا أشد جناية خلافاً لمن يقول لا جزاء على العائد لان الله تعالى قال ومن عاد فينتقم الله منه جعل كل جزاء العائد الانتقام في الآخرة فلا تجب الكفارة والجواب عنه بأن وجوب الكفارة فى العائد مستفاد

من الآية بدلالة النص والمراد من قوله ومن عاد العود مستحلا الثاني يجب الجزاء على المحرم عندنا بالدلالة أيضًا خلافًا للشافعي لانه يقول الجزاء متعلق بالقتل في قوله تعالى ومن قتله منكم متعمدًا الآية والدلالة ليست بقتل ولنا قوله صلى الله عليه وسلم هل أشرتم هل دللتم الحديث مع أن فى الدلالة عليه تفويتا لأ منه وهو قتل معنى الثالث يجوز التصدق بلحوم الهدايا عندنا على مساكين الحرم وغيرهم سواء كان التصدق بالحرم أو حيث شاء بعد أن حصلت الاراقة فى الحرم وعند الشافعى رحمه الله لا يجوز التصدق الا بالحرم على مساكينه فقط نص عليه ابن خليل في منسكه ومن ذلك قوله عقيب الآية المتقدمة آنفا جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس أي قواماً لهم في أمر دينهم ودنياهم فلا يزال في الارض دين ما حجت وعندها المعاش والمكاسب كذا في منسك ابن جماعة قال الجد تغشاه الله برحمته بعد ذكر هذه الاية أي ركز فى قلوبهم تعظيمها بحيث لا يقع فيها أذى على أحد وصارت وازعالهم من الاذي وهم فى الجاهلية الجهلاء لا يرجون جنة ولا يخافون نارًا إذ لم يكن لهم ملك يمنعهم من أذى بعضهم بعضاً فقامت لهم حرمة الكعبة مقام حرمة الملك هذا مع تنافسهم وتحاسدهم ومعاداتهم وأخذهم بالثار وبالجملة فهو سبب لقيام مصالح الناس فى أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم أما في أمر الدين فان به يقوم الحج وتتم المناسك وأما فى أمر الدنيا فانه تجبى اليه ثمرات كل شيء ويأمنون فيه وأما فى الآخرة فلان المناسك لا تقام الا عنده وهى سبب لعلو الدرجات وتكفير الخطيات

وزيادة الكرامات والمثوبات انتهى بحروفه وروى عن الحسن البصري أنه تلاهـذه الآية ثم قال لا يزال الناس على دين ما حجوا البيت واستقبلوا القبلة

(مطلب وجه تسمية البيت الحرام كعبة)

وفي تسمية البيت كعبة أقوال فقيل لتكعبه أي تربعه يقال بُرُدٌ مكعّبٌ إذا طوى مربعاً وقيل لعلوّه ونتوه ومنه سمي الكعب كعباً لنتوه وخروجه من جانب القدم يقال تكعبت الجارية إذا خرج نهداها وقيل لانفرادها عن البيوت وارتفاعها وذكر الازرقى رحمه الله فى تاريخه أن الناس كانوا يبنون بيوتهم مدوّرة تعظيما للكعبة

(مطلب أول من بنى بيتاً مربعاً بمكة حميد بن زهير)

وأول من بنى بيتاً مربعاً حميد بن زهير فقالت قريش ربع حميد بيتاً إما حياة واما موتاً وذكر أيضاً أن شيبة بن عثمان كان يشرف فلا يرى بيتاً مشرفاً على الكعبة إلا أمر بهدمه ونقل عن جده عن يوسف ابن ماهك قال كنت جالساً مع عبد الله بن عمرو بن العاص فى ناحية المسجد الحرام اذ نظر الى بيت على أبي قبيس مشرف على الكعبة فقال أبيت ذلك قلت نعم فقال اذا رأيت بيوت مكة قد علت أخشباها كذا وفجرت بطونها أنهاراً فقد أزف الامر أي قرب وذكر أن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس لما بنى داره التى بمكة على الصيارفة حيال المسجد الحرام أمر القوّام أن لا يرفعوا بناءها فيشرفوا به على الكعبة إعظاماً لهـا وان الدور التى كانت تشرف على الكعبة

هدمت وخربت إلا دار العباس هـذه فانها على حالها الى اليوم انتهى بمعناه وأخرج ابن شبة البصري في مؤلفه أخبـار مكة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قدم مكة رأى حول الكعبة بناء قد أشرف عليها فأمر بهدمه وقال ليس لكم أن تبنوا حولها ما يشرف عليها انتهي أقول اذا كانت العـلة فى عدم العلوّ والاشراف هي الاعظام فارتفاع البيوت الموجودة الآن المحيطة بالمسجد تؤذن بتركه فلا حول ولا قوة إلا بالله وبالجـملة التطاول في البنيان من علامات الساعة على حد قوله صلى الله عليه وسـلم وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان لان المراد من الحديث الاخبار بتغير الاحوال وتبدلها كما قال الاشبيلى وفيه دليل على كراهة مالا تدعو الحاجة اليه من تطويل البناء وتشييده ومات صلى الله عليه وسلم ولم يشيد بناءً ولا طوله انتهي وما تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص آنفا مشعر بذلك حيث قال فقد أزف الأمر

(وأما تسميته بالبيت الحرام) فلأن الله تعالى حرمه وعظمه وحرم أن يصاد صيده وأن يختلى خلاه وأن يعضد شجره وأن يتعرض له بسوء ثم المراد بتحريم البيت سائر الحرم على حد قوله تعالى هديا بالغ الكعبة فان المراد بها الحرم كما تقـدم آنفا ومن ذلك قوله تعالى وطهر بيتى للطائفين والقائمين أي المقيمين بمكة وناهيك بهذه الاضافة المنوهة بذكره المعظمة لشأنه الرافعة لقـدره وكفي ذلك شرفا وفخرا وبه علا على سائر البقاع عظمة وقدرا وما أحسن ما قيل في ذلك المعنى

كفى شرفا اني مضاف اليكم وأني بكم أُدعي وأُدعى وأُعرف

وهي من السر في اقبال قلوب العالمين عليه وعكوفهم لديه وأنشد في المعنى .

لا يرجع الطرف منه حين يبصره حتى يعود اليه الطرف مشتاقا

ومن ذلك قوله تعالى وليطوّفوا بالبيت العتيق والمراد به طواف الزيارة الذي هو ركن في الحج باتفاق الأئمة الاربعة ولا يحصل تمام التحلل الابه وهوآخر فرائض الحج الثلاثة ثم قال قال النسفي وهو مطاف أهل الغبراء كما أن العرش مطاف أهل السماء

(مطلب تسمية الكعبة البيت العتيق)

واختلف في تسميته بالعتيق فقيل لان الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار وقيل لقدمه لانه أول بيت وضع كما تقدم والعتيق القديم قاله الحسن وقيل لانه كريم على الله لانه لم يجر عليه ملك لاحد من خلق الله فلا يقال بيت فلان وانما يقال بيت الله وقيل لانه أعتق من الغرق لما أنه رفع زمن الطوفان وقيل لشرفه سمي عتيقاً وقيل لان الله تعالى يعتق فيه رقاب المؤمنين من العذاب وقيل لانه يعتق زائره من النار وهو قريب مما قبله وقيل غير ذلك والقول الاول هو المعتمد وفي هذا من التنويه بشأنه مالا يخفى (استطراد) قوله بعد هذه الآية ذلك ومن يعظم حرمات الله الآية قال النسفي الحرمة مالا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل أن يكون عاماً في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصاً فيما

يتعلق بالحج وقيل حرمات الله خمس البيت الحرام والمشعر الحرام والشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام أقول فعلى هذا القول يكون التعظيم خاصاً بهذه الخمس والله الموفق وذكر الزمخشري بدل المشعر المُحرِمُ حتى يحل ومن ذلك قوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق أى عنده والمراد الحرم الذي هو حريم البيت كقوله هدياً بالغ الكعبة كما تقدم والمعنى واحد فلا نطول (نكتة) ثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي فى الأحوال آنفاً والمعنى إن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دينكم ودنياكم وأعظمها وأبعدها شوطاً فى النفع محلها الى البيت العتيق كذا في الكشاف وهذا بعض ما ورد من الآيات بنصها على فضل هذا البيت وشرفه وأما ماذكره الله ضمن الآيات على سبيل الكناية فكثير كما ذكره المفسرون وأما الأحاديث والآثار فأكثر من أن تحصى من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم إن هذا البيت دعامة الاسلام ومن خرج يؤمُّ هذا البيت من حاج أو معتمر زائراً كان مضموناً على الله إن رده رده بأجر وغنيمة وان قبضه أن يدخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من خرج فى هذا الوجه لحج أو عمرة فمات لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم قال لا تزال هذه الامة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها يعني الكعبة والحرم فاذا ضيعوا ذلك هلكوا أخرجه ابن ماجه وسنده حسن الى غير ذلك من الاحاديث والآثار كما ستأتى مفرقة في الابواب الآتية في مظانها ان شاء الله تعالى مع مزيد بيان وايضاح والله أعلم

الباب الثاني

فيما ورد من الآيات الشريفة والعجائب الباهرة المنيفة
في زيادة تعظيم هذا البيت الشريف وما جاء في فضله وما
ورد في فضل المقام وما السبب في تسميته بالمقام وفيه فصلان

الاول في ذكر الحجر الاسود وما ورد فى فضله وشرفه وما سبب تسميته بالاسود والفصل الثاني في فضل الملتزم

اعلم أن لهذا البيت المعظم زاده الله تشريفاً وتعظيماً آيات كثيرة وعجائب غزيرة تدل على شرفه وفضله منها مقام ابراهيم صلوات الله عليه وهو لغة موضع قدم القائم ومقام ابراهيم هو الحجر الذى وقف عليه الخليل وفي سبب وقوفه عليه أقوال الاول انه وقف عليه لبناء البيت قاله سعيد بن جبير الثانى انه جاء يطلب ابنه اسماعيل عليهما السلام فلم يجده فقالت زوجته انزل فأبى فقالت دعني أغسل رأسك فأتته بحجر فوضع رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته وقد غابت رجله فيه فوضعته تحت الشق الآخر وغسلته فغابت رجله الثانية فيه فجعله الله من الشعائر وهذا القول منسوب الى ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما الثالث انه وقف عليه للاذان للحج وذكر الازرقى في تاريخه انه لما فرغ من التأذين جعل المقام قبلة فكان يصلى اليه مستقبل الباب وذكر

أيضا أن ذرع المقام ذراع وأن القدمين داخلان فيه سبعة أصابع وذكر القاضي عز الدين بن جماعة في منسكه أنه حرر مقدار ارتفاعه من الارض فكان نصف ذراع وربع وثمن بذراع القماش المستعمل بمصر في زمنه وذكر أن أعلي المقام مربع من كل جهة نصف ذراع وربع وموضع غوص القدمين في المقام ملبس بفضة وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط بالذراع المتقدم أقول لامناقضة بين ما ذكره الازرقى والقاضى عزّ الدين في ذرع المقام ويمكن الجمع بأن ذرع الازرقى كان باليد وذرع القاضى عزّ الدين بالذراع الجديد حسبما تقدم وبين ذراع اليد والحديد فرق نحو ثمن أو قريب منه بحسب الاشخاص فتأمل انتهى وأخرج الازرقى أيضاً أن السيول كانت تدخل المسجد الحرام فربما رفعت المقام عن موضعه حتى جاء سيل أم نهشل الذي ماتت فيه فاحتمل المقام فذهب به فوجد بأسفل مكة فأتى به فربط الى أستار الكعبة فى وجهها وكتب بذلك الى عمر فأقبل فزعاً فدخل معتمرًا فى رمضان وقد عفا السيل موضع المقام فدعا الناس وسألهم عن موضعه فقال المطلب بن أبى وداعة عندي علم ذلك كنت أخشى عليه هذا فأخذت قدره من موضعه الى الركن والى باب الحجر والى زمزم بمقاط وهو عندي فى البيت فقال له عمر اجلس عندي وارسل اليها فأرسل المطلب فأتى بها فوجدها عمر كما قال فشاور الناس عمر واستثبت فقالوا هذا موضعه فأمر باحكام ربطه تحته ثم حوله فهو فى مكانه الى هذا اليوم انتهى بمعناه ومكانه هذا هو مكانه فى زمن الخليل عليه السلام

كما نقله الامام مالك فى المدونة ثم قال وكانت قريش فى الجاهلية ألصقته بالبيت
خوفا عليه من السيول واستمر كذلك فى عهده صلى الله عليه وسلم
وعهد أبي بكر رضى الله عنه فلما ولى عمر رضى الله عنه رده الى موضعه
الآن كما سمعت انتهى وأخرج الازرقى عن ابن أبى مليكة أنه قال
موضع المقام هذا الذى هو فيه اليوم هو موضعه فى الجاهلية وفى عهد
النبى صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضى الله عنهما إلا أن السيل
ذهب به فى خلافة عمر ثم رد وجعل فى وجهة الكعبة حتى قدم عمر فرده
وفى هذا مناقضة لما قاله مالك رضى الله عنه في المدونة والله أعلم بالحقائق
وصحح ابن جماعة ما قاله مالك ويروى أن رجلاً يهودياً أو نصرانياً
كان بمكة يقال له جريج فأسلم ففقد المقام ذات ليلة فوجد عنده أراد
أن يخرجه الى ملك الروم فأخذ منه ثم قتل وتقل العلامة ابن خليل
فى منسكه الكبير أن الحجرين الكبيرين المفروشين خلف المقام الذي
يقف المصلى عليهما قد صلى عليهما بعض الصحابة

(مطلب تقبيل المقام واستلامه ليس بسنة)

وقال أيضاً إن مسح المقام ومسه وتقبيله ليس سنة انما أمرنا بالصلاة
عنده وروى أن ابن الزبير رأى قوماً يمسحون المقام فقال لم تؤمروا
بالمسح انما أمرتم بالصلاة عنده انتهى

(مطلب مهم)

(بحث) كون المسح والتقبيل ليس سنة لا يمنع من الاتيان بهن
على وجه التبرك فمن فعل ذلك تبركاً فالظاهر انه لا بأس به فتأمل والله

الموفق وروى أن عمر رضى الله عنه قال يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فقال عليه السلام لو أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزل قوله واتخذوا الآية وهذا أحد المواطن التى وافق فيها عمر ربه

(مطلب على مايتعلق بالحجر الاسود)

(ومنها) الحجر الاسود وحفظه وهو عين الله في الارض يشهد لمن استلمه بحق وانه من الجنة وسيأتى معنى كونه يمين الله وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الحجر ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلاً ثم التفت فاذا هو بعمر بن الخطاب يبكى فقال يا عمر ههنا تسكب العبرات رواه ابن ماجه والحاكم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من أحد يدعو عند هذا الركن الاسود إلا استجاب الله له أخرجه القاضى عياض فى الشفاء

(مطلب الحجر الاسود والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال من فاوض الحجر الاسود فانما يفاوض يد الرحمة ومعنى فاوض لابس كذا ذكره العلامة ابن جماعة وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو مسند ظهره الى الكعبة الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا أن الله طمس نورهما لأضاآ ما بين المشرق والمغرب وقد فضل الله بعض الاحجار على بعض كما فضل بعض البقاع والايام والبلدان على بعض وفى رواية ولولا ماسهما من خطايا بنى آدم لاضاآ ما بين المشرق والمغرب وفي رواية لابن أبي شيبة ما بين السماء والارض وما مسهما من ذي عاهة ولا سقيم إلا شفي وعن ابن عباس رضى الله

عنهما عنه صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم حديث حسن صحيح وفى رواية خطايا أهل الشرك وفى رواية لابن أبى شيبة من الثلج وفى رواية كأنه لؤلؤة بيضاء وفى رواية كأنه ياقوتة بيضاء وفي رواية للازرقى وانه لاشد بياضاً من الفضة وقال القاضى عز الدين بن جماعة وقد رأيته أول حجاتي سنة ثمان وسبعمائة وبه نقطة بيضاء ظاهرة لكل أحد ثم رأيت البياض بعد ذلك قد نقص نقصاً بيناً انتهى وقال العلامة ابن خليل فى منسكه الكبير وقد أدركت فى الحجر الاسود ثلاث مواضع بيض نقية في الناحية التى الى باب الكعبة المعظمة احداها وهي أكبرهن قدر حبة الذرة الكبيرة والاخرى الى جنبها وهى أصغر منها والثالثة الى جنب الثانية وهي أصغر من الثانية تأتي قدر حبة الدخن ثم انى أتلمح تلك النقط فاذا هى كل وقت في نقص انتهى بنصه

(لطيفة) أحسن ما ذكر في تسويده بالخطايا انه للاعتبار ليعلم أن الخطايا اذا أثرت في الحجر فتأثيرها في القلوب أعظم وأوقع فوجب لذلك أن تجتنب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الحجر الاسود يمين الله فى أرضه فمن لم يدرك بيعة النبى صلى الله عليه وسلم فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله ومعنى كونه يمين الله في أرضه ان من صافحه كان له عند الله عهد وجرت العادة بان العهد الذى يعقد الملك لمن يريد موالاته والاختصاص به انما هو بالمصافحة فخاطبهم بما يعهدونه قاله الخطابى ونقل عن المحب الطبرى ان كل ملك اذا قدم عليه الوافد

قبل يمينه فنزل الحجر منزلة يمين الملك ولله المثل الاعلى وروى الشيخان عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قبل الحجر ثم انه قال والله لقد علمت انك حجر لا تضر ولا تنفع قال بعض الفضلاء الا باذن ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك وقرأ لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وروى انه لما قال ذلك قال له أبي بن كعب انه يضر وينفع انه يأتى يوم القيامة وله لسان ذلق يشهد لمن قبله واستلمه فهذه منقبة وفى رواية أيضاً ان على بن أبي طالب كرم الله وجهه قال لعمر بلى ياأمير المؤمنين انه يضر و ينفع وان الله لما أخذ المواثيق على آدم كتب ذلك فى رق وألقمه الحجر وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالحجر الاسود يوم القيامة وله لسان يشهد لمن قبله بالتوحيد فقال عمر رضى الله عنه لا خير في عيش قوم لست ياأبا الحسن وفى رواية لا أحياني الله لمعضلة لا يكون فيها ابن أبى طالب حياً وفي أخرى للازرقى أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فيهم ياأبا الحسن

﴿ فوائد ﴾ الاولى انما قال عمر رضى الله عنه ذلك لان الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الاصنام فخشى أن يظن الجهال ان استلام الحجر من باب تعظيم بعض الاحجار كما كانت العرب تفعله فى الجاهلية فاراد عمر رضى الله عنه أن يعرف الناس ان استلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ان الحجر يضر وينفع بذاته كما اعتقدته الجاهليه في الاوثان كذا نقله الجد عن المحب الطبرى

الثانية ان قول عمر هذا فيه التسليم للشارع فى أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها وهى قاعدة عظيمة فى اتباعه صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ولو لم تعلم الحكمة فيه قال الشيخ زين الدين العراقى فى شرح الترمذي وفي قول عمر رضى الله عنه دليل على كراهة تقبيل مالم يرد الشرع بتقبيله وأما قول الشافعى وايما قبل من البيت فحسن [١] فلم يرد به الاستحباب لان المباح من جملة الحسن عند الاصوليين انتهى وأجيب عن الشافعى بان معنى قوله فحسن ان ذلك غير مكروه ولا مستحب كذا قاله الجد رحمه الله

الثالثة قال السهيلي الحكمة في كون خطايا بنى آدم سودته [٢] دون غيره من حجارة الكعبة ان العهد الذى فيه هى الفطرة التى فطر الناس عليها فى توحيد الله فكل مولود يولد على الفطرة وعلى ذلك فلولا ان أبويه يهودانه وينصرانه ويمجسانه حتى يسود قلبه بالشرك لما حال من العهد فقد صار قلب ابن آدم محلا لذلك العهد والميثاق وصار الحجر محلا لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق فتناسبا فاسود من الخطايا قلب ابن آدم بعد ما كان أبيض لما ولد عليه من ذلك العهد واسود الحجر بعد بياضه وكانت الخطايا سبباً فى ذلك حكمة من الله تعالى انتهى

الرابعة قد اعترض بعض الملحدين على الحديث المتقدم آنفاً فقال اذا سودته الخطايا ينبغى أن تبيضه الطاعات أجاب ابن قتيبة

(١) قف على قول الشافعى وايما قبل من البيت فحسن
(٢) قف على الحكمة في تسويد الخطايا للحجر الاسود فقط

عن ذلك بانه لو شاء الله لكان ثم قال أما علمت أيها المعترض ان السواد يصبغ به ولا ينصبغ والبياض ينصبغ ولا يصبغ به

(مطاب الحكمة في تغيير الحجر الاسود الى السواد)

الخامسة روى عن ابن عباس أنه قال انما غير بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا الى زينة الجنة قال المحب الطبرى ان ثبت هذا فهو الجواب قال ابن حجر أخرجه الجندى في فضائل مكة باسناد ضعيف وقيل ان شدة سواده أن الحريق أصابه مرتين فى الجاهلية والاسلام وسيأتي الكلام في سبب الحريق فيما بعد ان شاء الله تعالى

(مطاب هل كان الحجر يسمى أسود قبل اسوداده)
(حال كونه أبيض من اللبن أم لا)

السادسة قال الجد رحمه الله فان قلت هل كان الحجر يسمى بالاسود قبل اسوداده حال كونه أشد بياضاً من اللبن أو لا وانما تجدد له هذا الاسم بعد اسوداده قلت لم أر فى ذلك لاحد ويحتمل انه كان يسمى بذلك لما فيه منه السودد فيكون المراد بقولهم اسود أى ذو سودد ويحتمل انه لم يسم بذلك الا بعد اسوداده والله أعلم انتهى

(مطاب خواص الحجر)

السابعة من خواص الحجر الاسود انه اذا جعل فى الماء لا يغرق بل يطفو ويرتفع واذا جعل في النار لا يحمى ولا تعمل فيه النار بل يبقى باردا على حاله كذا نقله الطرسوسى (ومن آيات الحجر) انه أزيل عن مكانه غير مرة ثم أعاده الله اليه ووقع ذلك من جرهم واياد والعمالقة وخزاعة والقرامطة وآخرمن

أزاله منهم أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطي وذلك انه في موسم سنة سبع عشرة وثلثمائة حصل منه فى يوم التروية أذى عام وذلك انه نهب الحاج وسفك الدماء حتى سال بها الوادى ثم رمى ببعض القتلى في بئر زمزم حتى امتلأت وأصعد رجلا على أعلى البيت ليقلع الميزاب فتردى على رأسه ومات ثم انصرف ومعه الحجر الأسود فعلقه على الاسطوانة السابعة من جامع الكوفة لاعتقاده الفاسد وزعم ان الحج ينتقل اليها فاستمر عنده الى أن اشتراه منه المطيع لله أبو القاسم وقيل أبو العباس الفضل بن المقتدر بثلاثين الف دينار ثم أعيد الى مكانه سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وكانت مدة مكثه عندهم اثنان وعشرون سنة الا شهرا ولما ذهب به هلك تحته أربعون جملا ولما أعيد الى مكة حمل على قعود أعجف فسمن تحته وعن مجاهد انه قال يأتي الحجر والمقام يوم القيامة مثل أبي قبيس كل واحد منهما له عينان وشفتان يناديان بأعلى أصواتهما يشهدان لمن وافاهما بالوفاء وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يعيد الحجر الى ما خلقه أول مرة أخرجه الازرقى وأخرج ابن شيبة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال رفع الحجر الاسود يوم الاثنين وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مسح الحجر الاسود والركن اليمانى يحط الخطايا حطا وروى ان الحجر الاسود كان يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث

﴿ فروع ﴾ الاول السنة في تقبيل الحجر الاسود أن يكون بلا تصويت ولا تطنين ولا لحس باللسان ثم ان أمكنه أن يسجد عليه فعل

لانه جائز عندنا وعند الشافعي وأحمد لان فيه تقبيلا وزيادة سجود لله تعالى وقال مالك ان السجود عليه بدعة ثم ذلك مشروط بعدم الايذاء والزحام والمدافعة لان التقبيل سنة وترك الاذى عن الناس فريضة فلا يجوز الاتيان بالسنة مع ترك الفريضة ولان له خلفا وهو الاشارة

الثانى اذا كان الحجر مطيبا فقبله المحرم فلزق الطيب بفمه أو بيده أو بأكثرهما لزمه الدم والا فصدقة وهذا عندنا وعند الشافعي لا يشرع له التقبيل ولا المس

الثالث يستحب لمن أكل بصلا أو ثوما أو ماله رائحة كريهة وأراد تقبيل الحجر أن ينظف فاه بسواك ونحوه مما يذهب الرائحة فان كان به بخر لا يمكن زواله فهو معذور

الرابع لو أزيل الحجر من موضعه والعياذ بالله تعالى استلم ركنه وقبله وسجد عليه كذا نقله القاضى عز الدين بن جماعة الدارمى من الشافعية واستشكله بعض علمائهم ووجهه المجد رحمه الله وقال ان الخصوصية التى تثبت للحجر من كونه يمين الله في الارض ويشهد لمن استلمه بحق وتقبيله عليه السلام له غير موجود فى الركن الذى هو فيه انتهى أقول لم أقف على نقل لاصحابنا فى ذلك وما ذكره المجد من التوجيه في غاية القبول وربما يوافق أصولنا لانه حيث ثبت هذا الحكم للحجر اقتصر عليه واختص به دون الركن فلا ينتقل الحكم الى الركن ولا يقوم بدلا عن الحجر لان من أصلنا أن نصب البدل بالرأى لا يجوز أما من أراد الطواف ووقف مستقبل الركن ورفع يديه لاجل النية

فينبغى الجواز لانه محل البداءة فتأمل انتهى

﴿ فائدتان ﴾ الاولى قد تقدم في الفرع الاول ان الزحام المفضى الى الايذاء عند استلام الحجر ممنوع وقد ثبت عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنه انه كان يزاحم على الحجر حتى يدمى أنفه ولا يترك تقبيله فالجواب انه كان مجتهدا وان مذهبه أفضلية المزاحمة على الحجر وان أفضت الى الاذى

(مطلب أول من استلم الركن من الائمة قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير)

الثانية أول من استلم الركن الاسود من الائمة قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير فاستحسنت ذلك الولاة بعده فاتبعته أخرجه الازرقى

﴿ فصل فى فضل الركن اليماني وذكر شيء مما ورد فيه ﴾

روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مررت بالركن اليماني الا وعنده ملك ينادي آمين آمين فاذا مررتم به فقولوا اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال على الركن اليماني ملكان يؤمنان على دعاء من مر بهما وان على الحجر الاسود ما لا يحصى أخرجه الازرقى وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وكل بالركن اليمانى سبعون ملكا من قال اللهم اني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا آمين قال العلامة عز الدين بن جماعة رحمه الله ولا تضاد بين الاحاديث على تقدير الصحة اذ يحتمل ان السبعين موكلون به لم يكلفوا

التأمين وانمــا يؤمنون عند سماع الدعاء والملكان كلفا قول آمين ورواية ملك محمولة على الجنس انتهى بمعناه وروى الازرقى عن عطاء قال قيــل يارسول الله انك تكثر من استلام الركن اليمــاني قال ما أتيت عنده قط الا وجبريل عليه السلام قائم عنده يستغفر لمن يستلمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند الركن اليماني باب من أبواب الجنة والركن الاسود من أبواب الجنة وأخرج الازرقى عن مجاهد انه قال ما من انسان يضع يده على الركن اليماني ويدعو الا استجيب له وان بين اليمــاني والركن الاسود سبعين الف ملك لا يفارقونه هم هنالك منذ خلق الله البيت وفى رسالة الحسن البصرى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما بين الركن اليمانى الى الركن الاسود قبور سبعين نبيا وفى منسك ابن جمــاعة ما بين الركن والمقام وزمزم قبور نحو من الف نبي ونقل عن الشعبي أنه قال رأيت عجبا كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأخوه مصعب وعبد الملك بن مروان فقالوا بعد ان فرغوا من حديثهم ليقم رجل رجل فليأخذ بالركن اليمانى وليسأل الله تعــالى حاجته فانه يعطى من سعة ثم قالوا لعبد الله بن الزبير قم أولا فانك أول مولود في الهجرة فقام فاخذ بالركن اليمــانى ثم قال اللهم انك عظيم ترجى لكل عظيم أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك صلى الله عليه وسلم أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلم على بالخلافة وجاء وجلس ثم قام أخوه مصعب فاخذ بالركن اليمــانى فقال اللهم انك رب كل شيء واليك كل شيء أسألك بقدرتك على كل

شيء أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سكينة بنت الحسين وجاء وجلس ثم قام عبد الملك بن مروان فاخذ بالركن وقال اللهم رب السموات السبع والارض ذات النبات بعد القفر أسألك بما سألك عبادك المطيعون لامرك وأسألك بحرمة وجهك وأسألك بحقك على جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك أن لا تميتني حتى توليني شرق الارض وغربها ولا ينازعني أحد الا أتيت برأسه ثم جاء فجلس ثم قام عبد الله بن عمر حتى أخذ بالركن ثم قال اللهم يارحمن يارحيم أسألك برحمتك التي سبقت غضبك وأسألك بقدرتك على جميع خلقك أن لا تميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة قال الشعبي فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت كل واحد وقد أعطى ما سأل وبشر عبد الله بن عمر بالجنة (أقول) لقائل أن يقول ما الدليل على وجه البشرى ولم أر أحدا من المؤلفين في هذا المعنى ذكر شيئا مما يستدل به على ذلك ولا تعرض له فيما وقفت عليه ويحتمل أن يكون في ذلك وجهان (الاول) ان سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان قد كف بصره بعد ذلك وقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم من ابتلى بذلك بالجنة كما في صحيح البخاري (الثاني) ان الثلاثة لما أعطوا ما سألوه كان ذلك أدل دليل على اجابة دعاء الجميع اذ هو اللائق بكرم الله وسعة عطائه وكان سيدنا عبد الله رضي الله عنه من الورع والزهد والصلاح بالمكانة التي لا تجهل كما في مناقبه وفي منهاج التائبين من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الركن اليماني ليستلمه خاض في الرحمة فاذا استلمه غمرته الرحمة

وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما بين الركن اليماني والحجر الاسود روضة من رياض الجنة

﴿ فرع ﴾ استلام الركن اليماني عندنا حسن وتركه لا يضر لانه عليه السلام كان يستلمه مرة ويتركه أخرى وهو الصحيح كذا نقله الكرماني من أصحابنا وعن محمد انه يستلمه و يقبل يده وفي رواية عنه أنه يقبله وعند الشافعي رحمه الله يستلم الركن اليماني قولا واحدا

(مطلب في كيفية استلام الركن اليماني هل يقبل يده ثم ينقلها اليه)
(أو يضع يده عليه ثم يقبلها)

لكن اختلف أصحابه في كيفية استلامه قال بعضهم يقبل يده أولا ثم يضعها على الركن لينقل القبلة اليه وقال بعضهم يضع اليد على الركن أولا ثم يقبلها ليكون ناقلا بركته الى يده ونفسه وهو الاصح عندهم وعند مالك رحمه الله يستلم الركن اليماني ولا يقبل يده وانما يضعها علي فيه وعند أحمد رحمه الله انه يستلمه بيده ولا يقبله وفي تقبيل يده خلاف عند أصحابه كذا نقله الشيخ عز الدين بن جماعة ونقل الكرماني من أصحابنا رواية عن أحمد انه يقبله وفي الكل ورد النقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم

﴿ وأما الركنان الآخران ﴾ اللذان يليان الحجر فمذهب أهل العلم لا يستلمان كذا نقل عن كثير من الصحابة منهم عمر وابنه ومعاوية

فصل فى فضل الملتزم

والدعاء فيه انما سمى بذلك لان الناس يلتزمونه ويدعون عنده وهو من المواطن التى يستجاب فيها الدعاء روى القاضى عياض في الشفاء بقراءته على القاضى الحافظ أبى على رحمه الله عن أبي العباس العذرى عن أسامة محمد الهروى عن الحسن بن رشيق عن أبي الحسن محمد بن الحسن بن راشد عن أبي بكر محمد بن ادريس عن الحميدى عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لى وقال عمرو بن دينار وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لى وقال سفيان وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو بن دينار الا استجيب لى وقال الحميدى وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لى وقال محمد بن ادريس وأنا فما دعوت الله بشيء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى الا استجيب لى وقال أبو الحسن محمد بن الحسن وأنا فما دعوت الله بشيء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لى قال أبو أسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه

شيئاً وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن ابن رشيق الا استجيب لى من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لى في أمر الآخرة قال العذرى وأنا فما دعوت الله بشيء فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبى أسامة الا استجيب لى قال أبو علي وأنا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة فاستجيب لى بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لى بقيتها انتهى (يقول) الحقير مؤلف هذه الفضائل وجامعها قد دعوت الله فيه باشياء فاستجيب لى بفضل الله وأنا مستمر الدعاء فى أمور أخر منها حسن الخاتمة وأرجو الله اجابة الدعاء بحصولها وذكر القاضى عز الدين فى منسكه عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال من التزم الكعبة ودعا استجيب له ثم قال فيجوز أن يكون على عمومه ويجوز أن يكون محمولا على الملتزم انتهى

ذكر معرفة الملتزم والمستجاب والمتعوذ والمدعى والحطيم

﴿ أما الملتزم ﴾ فهو ما بين الحجر الاسود وباب الكعبة كما ثبت عن ابن عباس رضى الله عنه

﴿ وأما المستجاب ﴾ فهو ما بين الركن اليمانى والباب المسدود في دبر الكعبة والدعاء عنده مستجاب كما رواه ابن أبى الدنيا

﴿ وأما الحطيم ﴾ فهو ما بين الحجر الاسود ومقام ابراهيم وزمزم وحجر اسماعيل وسمى بذلك لان الناس كانوا يحطمون هنالك بالايمان ويستجاب فيها الدعاء للمظلوم على الظالم فقل من حلف هنالك كاذبا

الا عجلت له العقوبة وكان ذلك يحجز الناس عن المظالم وقيل لان الشاذروان هو الحطيم لان البيت رفع بناؤه وترك هو بالارض محطوما والحطيم عندنا هو الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم وهو الموضع الذي نصب فيه ميزاب البيت وانما سمي بالحطيم لانه حطم من البيت أى كسر كذا فى كتبنا

﴿ وأما المتعوذ والمدعى ﴾ فروى عن ابن عباس ان الملتزم والمتعوذ والمدعى ما بين الحجر الاسود والباب وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ان ما بين الركن الاسود والباب هو الملتزم وما بين الركن اليماني والباب المسدود هو المتعوذ كأنه جعل الاول موضع رغبة والثاني موضع استعاذة وعن عمرو بن العاص انه طاف بالبيت ثم استلم الحجر وقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه وبسطهما بسطا ثم قال كذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله

(مطلب دعاء آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام)

وأخرج الازرقى في تاريخه ان آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعاً حين نزل ثم صلى تجاه الكعبة ركعتين ثم أتي الملتزم فقال اللهم انك تعلم سريرتى وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم مافى نفسى وما عندى فاغفرلى ذنوبى وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى اللهم اني أسألك ايماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لى والرضى بما قضيت على فأوحى الله تعالى اليه يا آدم قد دعوتنى بدعوات واستجبت لك ولن يدعوني بها أحد من ولدك الا كشفت همومه وغمومه وكففت

عليه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنا بين عينيه وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها ثم قال فمنذ طاف آدم كانت سنة الطواف انتهى قال العلامة عز الدين بن جماعة ولعله يريد سنة الطواف فى العدد والا فقد ورد ان الملائكة طافت به قبل آدم عليه السلام فلعله كان بغير عدد او بغير ذلك العدد أو أراد سنة لبنيه من بعده والله أعلم انتهى وروى الازرقى ان ابن الزبير مر بعبد الله بن العباس وهو بين الباب والركن الاسود فقال له ليس ههنا الملتزم انما هو دبر البيت فقال ابن عباس هنالك ملتزم عجائز قريش وذكر أيضاً ان عائشة رضى الله عنها أرسلت الى أصحاب المصابيح فاطفؤها ثم طافت من وراء ستر وحجاب ثلاثة أسابيع تقف بعد كل أسبوع بين الباب والحجر تدعو

(مطلب الاولى عند الحنفية لمن أراد الملتزم ان يقدمه على ركعتي الطواف ثم يأتي بهما)

﴿ فرع ﴾ الاولى عندنا لمن انتهى طوافه وأحب أن يلتزم أن يقدمه على ركعتى الطواف ثم يأتي بهما بعد ذلك كذا فى منسك الكرماني من أصحابنا وذكر غيره تقديم الصلاة على الالتزام وهذا فيما عدا طواف الوداع وأما بعده فانه عقب الصلاة والشرب من ماء زمزم يأتي الملتزم ثم يدعو فيه بما أراد ثم ينصرف القهقرى فيكون آخر عهده الالتزام والله أعلم عدنا الى المقصود (ومنها) بقاء بنائه الموجود الآن وثباته ولا يبقى غيره من الابنية هذه المدة الطويلة كما ذكره المهندسون وذلك لان

الارياح والامطار فلما تواترت على بناء الا خرب وهذا البيت الشريف لم تزل الارياح العاصفة والامطار العظيمة تتوالى عليه منذ بنى والى تاريخه ولم يقع بحمد الله تغير فى بنائه ولا خلل

(مطلب ما وقع في الكعبة من الترميم) .

قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله ولم أقف في شيء من التواريخ على ان أحدا من الخلفاء ولا من دونهم غير من الكعبة شيئًا مما صنعه الحجاج الى الآن الا في الميزاب والباب وعتبته وكذا وقع الترميم في جدارها غير مرة وفى سقفها وسلم سطحها ووقع أيضًا في جدارها الشامى ترميم فى شهور سنة سبعين ومائتين ثم فى شهور سنة اثنين وأربعين وخمسمائة ثم فى شهور سنة تسع عشرة وستمائة ثم فى سنة ثمانين وستمائة ثم فى سنة أربع عشرة وثمان مائة ثم قال وقد ترادفت الاخبار الآن في وقتنا هذا فى سنة اثنين وعشرين ان جهة الميزاب فيها ما يحتاج الى ترميم فاهتم لذلك سلطان الاسلام الملك المؤيد ثم حججت سنة أربع وعشرين وتأملت المكان الذى قيل عنه فلم أجده بتلك الشناعة وقد نقض سقفها فيسنة سبع وعشرين على يدى بعض الجند فجدد لها سقفًا ورخم السطح فلما كان في سنة ثلاث وأربعين صار المطر اذا نزل ينزل الى داخل الكعبة أشد مما كان أولا فاداه رأيه الفاسد الى أن نقض السقف مرة أخرى وسد ما كان فى السطح من الطاقات التى كان يدخل منها الضوء الى الكعبة ولزم من ذلك امتهان الكعبة بل صار العمال يصعدون فيها بغير أدب فغار بعض المجاورين فكتب

الى القاهرة يشكو ذلك فبلغ السلطان الظاهر فانكر أن يكون أمر بذلك وجهز بعض الجند لكشف ذلك فتعصب للاول من جاور واجتمع الباقون رغبة ورهبة فكتبوا محضرا بانه ما فعل شيئاً الا عن ملأ منهم وان كل ما فعله مصلحة فسكن غيظ السلطان وغطى عليه الامر وقال أيضاً ومما يتعجب منه انه لم يبق الاحتياج فى الكعبة الى الاصلاح الا فيما صنعه الحجاج اما من الجدار الذي بناه فى الجهة الشامية واما في السلم الذي جدده للسطح والعتبة وما عدا ذلك مما وقع فانما هو لزيادة محضة كالرخام أو التحسين كالباب والميزاب قال الجد نور الله ضريحه وما ذكره من نقض سقفها سنة سبع وعشرين على يد بعض الجند وانه جدد لها سقفاً سبق قلم وصوابه سنة ثمان وثلاثين والله أعلم انتهى

(مطلب عقوبة من أخذ شيئاً من مال الكعبة و يسمى بالابرق)

(ومنها) ان فتى من الحجبة حضرته الوفاة واشتد عليه النزع جدا حتى مكث أياما ينزع نزعا شديدا فقال له أبوه لعلك أصبت من الابرق شيئاً يعني مال الكعبة فقال أربعمائة دينار فاشهد أبوه ان عليه للكعبة أربعمائة دينار فسرى عن الفتى ثم لم يلبث ان مات

(مطلب اذا وضع مفتاح البيت فى فم الصغير تكلم سريعاً)

(ومنها) ان مفتاح بابها اذا وضع فى فم الصغير الذى ثقل لسانه عن الكلام تكلم سريعاً ذكره الفاكهى وقال ان ذلك مجرب

(مطلب دخان البيت يصعد مستويا)

(ومنها) ما ذكره ابن الحاج ان دخان البيت لا يذهب يميناً

ولا شمالا ولا أمام ولا خلف بل يصعد مستويا الى السماء قال الفاسى ولعل المراد بالدخان دخان ما تجمر به الكعبة والله أعلم

(مطلب هيبته وتعظيمه في القلوب)

(ومنها) هيبته وتعظيمه في قلوب الناس وكف الجبابرة عنه على مر الدهور والاعصار واذعان نفوس العرب لتوقير هذه البقعة بدون ناه ولا زاجر روى ان الحجاج بن يوسف لما نصب المنجنيق على أبي قبيس بالحجارة والنيران واشتعلت النار فى أستار الكعبة جاءت سحابة من نحو جدة يسمع فيها الرعد ويرى البرق فمطرت فلم يجاوز مطرها الكعبة والمطاف فاطفأت النار وأرسل الله عليهم صاعقة فاحرقت منجنيقهم فتداركوه قال عكرمة وأحسب انها احترقت تحته أربعة رجال فقال الحجاج لا يهولنكم هذا فانها أرض صواعق فارسل الله صاعقة أخري فاحرقت المنجنيق وأحرقت معه أربعين رجلا وذلك فى سنة ثلاث وسبعين في أيام عبد الملك بن مروان قال الجد هذا والحجاج ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير ففعل ذلك لاخراجه كما أشير اليه قريباً ان شاء الله تعالى (أقول) وتوجيهه ان فعل الحجاج وان لم يقصد التسلط على البيت فهو مؤذن بجبروته وعدوانه وانتهاكه لحرمة البيت والمسجد والبلد واستباحته للقتال فى هذه البقعة الشريفة فهو جدير بارسال الصواعق على منجنيقه ورجاله بل وعليه فسبحان من لا يعجل بالعقوبة على من عصاه انتهي

(ومنها) أمن الخائف الثابت ذلك من قديم الدهر وكانت العرب

يغير بعضها على بعض و يتخطفون الناس بالقتل وأخذ الاموال وأنواع المظالم الا في الحرم وينبنى على هـذا أمن الحيوان فيه وسلامة الشجر وذلك للبركة والهيبة والعظمة التى جعلها الله فى هذا البيت وما جاوره وبركة دعوة الخليل صلوات الله عليه في قوله تعالى رب اجعل هـذا البلد آمناً الآية والعرب تقول في ضرب المثل آمن من حمام مكة لانها لا تهاج ولا تصاد حكى عن بعض العباد انه قال كنت أطوف بالبيت ليلا فقلت يارب انك قلت ومن دخله كان آمناً فمن ماذا هوآمن فسمعت من يكلمنى ويقول من النارفنظرت وتأملت فما كان فى المكان أحد

(مطلب لا يرى البيت أحد لم يكن رآه قبل الا ضحك أو بكى)

(ومنها) ما روي عن الجاحظ أنه قال لا يري البيت الحرام أحد ممن لم يكن رآه قبل ذلك الا ضحك أو بكي

(مطلب تعجيل العقوبة لمن قصد البيت بسوء)

(ومنها) تعجيل العقوبة لمن قصده بسوء كقصة تبع وأصحاب الفيل حين قصدوا تخريبه وعند ذكرهما رأيت أن أسوق خبرهما باختصار

﴿ أما قصة تبع ﴾ فذكر القرطبي في الاعلام انه كان من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا باسرها وكان كثير الوزراء فاختار منهم واحدا وأخرجه لينظر فى ملكه وكان اذا أتى بلدة يختار من حكمائها عشرة رجال وكان معه من العلماء والحكماء مائة ألف رجل هم الذين اختارهم من البلدان ولم يكونوا محسوبين من الجيش ثم انه قصد مكة فلما انتهى اليها لم يخضع له أهلها كخضوع غيرهم ولم يعظموه فغضب

لذلك ودعا وزيره وشكى عليه فعلهم فقال انهم عرب لا يعرفون شيئاً ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال ونهب النساء وسبيهم فاخذه الصداع وتفجر من عينيه وأذنيه ومنخريه وفمه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفة عين من شدة النتن (فقال لوزيره) اجمع العلماء والحكماء والاطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن على مداواة ما يعرض من أمور الارض وهذا من السماء لا نستطيع له ردا ثم اشتد أمره وتفرق الناس عنه فلما أقبل الليل جاء أحد العلماء [1] لوزيره فقال ان بيني وبينك سرا فان كان الملك يصدقني في حديثه عالجته فاستبشر الوزير بذلك وجمع بينه وبين الملك فلما خلا به قال له العالم أيها الملك أنت نويت لهذا البيت سوأ قال نعم فقال له العالم أيها الملك نيتك أحدثت لك هذا الداء ورب هذا البيت عالم بالاسرار فبادر وارجع عما نويت فقال الملك قد أخرجت ذلك من قلبي ونويت لهذا البيت وأهله كل خير فلم يخرج العالم من عنده الا وقد عافاه الله تعالى من علته فآمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب وهو أول من كسا الكعبة كما سأذكره بعد ان شاء الله تعالى (ثم خرج) الى يثرب وليس بها يومئذ بيت وانما فيها عين ماء فنزل عند العين ثم ان العلماء والحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائة وهم أعلمهم وتبايعوا أن لا يخرجوا من يثرب وان قتلهم الملك فلما علم الملك بذلك سألهم عن

---

(١) اسمه بلبانه

الحكمة التى اقتضت اقامتهم في هذه البلدة فقالوا أيها الملك ان ذلك البيت وهذه البقعة يشرفان برجل يبعث فى آخر الزمان اسمه محمد ووصفوه ثم قالوا طوبى لمن أدركه وآمن به ونحب أن ندركه أو يدركه أولادنا فلما سمع الملك بذلك هم بالمقام معهم فلم يقدر على ذلك فأمر بعمارة أربعمائة دار على عدة العلماء وأعطى كل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجه بها وأعطاهم مالا جزيلا (ثم كتب) كتابا وختمه بخاتم من ذهب ودفعه الى عالمهم الكبير الذى أبرأه من علته وأمره أن يدفعه الى محمد صلى الله عليه وسلم ان أدركه والا يوصى بذلك أولاده ثم أولادهم (وكان الكتاب) أما بعد فاني آمنت بك وبكتابك الذى ينزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وبكل ماجاء من ربك من شرائع الايمان والاسلام فان أدركتك فبها ونعمت والا فاشفع لي ولا تنسنى يوم القيامة فانى من أمتك الاولين وقد بايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة ابراهيم أبيك عليه السلام (ثم نقش عليه) لله الامر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه الى محمد بن عبد المطلب نبى الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول حمير ابن وردع ثم سار من يثرب الى بلاد الهند فمات بها وكان من يوم موته الى اليوم الذى بعث فيه النبى صلى الله عليه وسلم الف سنة لاتزيد ولا تنقص

(مطلب آباء الانصار أولئك الاربعمائة حكيم)

وكان الانصار من أولاد أولئك العلماء والحكماء (فلما ظهر خبره) صلى الله عليه وسلم بمكة أرسلوا اليه كتاب تبع مع

رجل منهم يقال له أبو ليلى الى مكة فوجد النبى صلى الله عليه وسلم في قبيلة بنى سليم فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنت أبو ليلى فقال نعم قال معك كتاب تبع الاول قال نعم وبقى أبو ليلى متفكرا ثم دفع الكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على بن أبي طالب فقرأه عليه فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام تبع قال مرحباً بالاخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلى بالرجوع الى المدينة يبشرهم بقدومه عليه السلام

(مطلب أبو أيوب الذى نزل عنده صلى الله عليه وسلم
من ولد العالم الذى شفى به تبع)

(فلما هاجر) النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم وصاروا يتعلقون بزمام ناقته وهو يقول خلوها فانها مأمورة حتى جاءت الى دار أبي أيوب الانصارى وكان من أولاد العالم الذى شفى تبع برأيه انتهى بمعناه

(مطلب على وجه تسميته قعيقعان وأجياد بذلك)

وقيل بل سبب عزمه على هدم البيت ان جماعة من هذيل ممن يحسد قريشاً حسنوا لتبع هدم الكعبة وأن يبنى بيتاً عنده ويصرف حجاج العرب اليه فلما سار لهذا القصد حصل له ما حصل فاقلع عن ذلك كما تقدم وأمر بقتل الهذليين ثم لما قدم مكة كان سلاحه بالموضع المعروف بقعيقعان فلذلك سمى به وقيل لغير ذلك وكانت خيله بالمكان المعروف باجياد فقيل سمي بذلك لهذا وقيل لغيره وكانت مطابخه

فى الشعب المعروف بعبد الله بن عامر بن كريز فلذلك سمى الشعب بالمطابخ وأقام بمكة أياما ينحر كل يوم مدة اقامته مائة بدنة لا يرزأ هو ولا أحد ممن في عسكره منها شيئاً بل يردها الناس ثم الطير ثم السباع

﴿ وأما قصة أصحاب الفيل ﴾ اذ قصدوا تخريب البيت فاهلكهم الله تعالى فروى ان الحبشة لما ملكت اليمن وعليهم أبرهة الاشرم بنوا كنيسة بصنعاء كالكعبة وصرفوا حجاج الكعبة اليها فسمع بذلك رجال من قريش فتوجهوا اليها ودخلوها ولطخوها بالعذرة وهربوا فبلغ ذلك أبرهة وعزم على هدم الكعبة وتجهز في جيش عظيم فلما شارف مكة أغار على سرحها فاستاق أموال قريش وأصاب ابلا لعبد المطلب ونزل بعرفة فخرج اليه عبد المطلب فلما رآه أبرهة نزل عن سرير ملكه اجلالا له وقال لترجمانه سله عن حاجته فسأله فقال حاجتى أن يرد على مائتى بعير أصابها قومه فقال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك حيث جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك لاهدمه فلم تكلمنى فيه وكلمتنى فى ابل أصبتها فقال عبد المطلب أنا رب الابل وللبيت رب سيمنعه وفى رواية يحميه فعظم كلامه عنده ورد عليه ابله ثم خرج عبد المطلب وأمر قريشاً أن يتفرقوا فى الشعاب ورؤس الجبال خوفاً عليهم من معرة الجيش اذا دخل ففعلوا وأتى عبد المطلب الى الكعبة وأخذ بحلقته وجعل يقول

لاهم ان المرء يمنع رحله ... وحلاله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم عدوا محالك

جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا محالك بكيدهم جهلا ومارقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعـبتنا فأمر ما بدا لك

ومعنى محالك اى مكرك ومه وهو شديد المحال وقال أيضاً

يارب لا أرجو لهم سواكا يارب فامنع منهم حماكا
ان عدوّ البيت قد عاداكا فامنعهم أن يخربوا قراكا

ثم ان أبرهة أصبح متهيئاً لدخول مكة ووجهوا الفيل اليها فنكص على عقبيه راجعاً وبرك فأدخلوا الحديدة فى أنفه حتى خرموه فلم يساعدهم على التوجه الى مكة فوجهوه الى اليمن والى غيره من الجهات فهرول فوجهوه الى مكة فأبى فبينما هم كذلك اذ أرسل عليهم طيرا من جهة البحر ابابيل اي جماعات تجيء شيئاً بعد شيء يحمل كل طير منهم ثلاثة أحجار صغار حجرين في رجليه وحجرا في منقاره اذا وقع الحجر على رأس أحدهم خرج من دبره فاهلكهم الله جميعا ويروى ان كل حجر كان مكتوبا عليه اسم الذى يقع عليه وبعث الله على أبرهة داء في جسده فتساقطت أنامله وانصدع صدره قطعتين فهلك واختلف في مقدار الحجارة فقيل كانت كامثال الحمص وقيل غير ذلك ورأى أهل مكة الطير لما أقبلت من ناحية البحر فقال عبد المطلب ان هذا الطير لغريب ثم بعث ابنه عبد الله أبا النبي صلى الله عليه وسلم على فرس ينظر فرجع وهو يركض ويقول هلك القوم جميعاً ثم خرج عبد المطلب وقريش وغنموا أموالهم وروي انه لم ينج منهم الا أبو يكسوم فسار راجعاً

وطائر يطير فوقه ولا يشعر به حتى دخل على النجاشى وأخبره بمصاب القوم فما استتم كلامه حتى رماه الطير فمات ومن يومئذ احترمت الناس قريشاً وقالوا هم جيران الله يدافع عنهم وذكر العلامة ابن بحرق الحضرمى رحمه الله فى سيرته النبوية انه صلى الله عليه وسلم كان يومئذ حملا وولد بعد الفيل بخمسين ليلة والله أعلم (ومنها) تعجيل الانتقام لمن تعاطى عنده ما لا يليق فمن ذلك ماحكي ان رجلا كان فى الطواف فبرق له ساعد امرأة فوضع ساعده عليه متلذذا به فلصق ساعداهما فقال له بعض الصالحين ارجع الى المكان الذى فعلت فيه فعاهد رب البيت أن لا تعود باخلاص وصدق نية ففعل فخلى عنه وانفصل ساعده (ومنها) قضية أساف لما فجر بنائلة فى البيت مسخا حجرين وهما الصنمان اللذان كانا على زمزم تنحر لهما قريش فى الجاهلية وتعبدهما وقالوا لولا ان الله رضى بهما أن يعبدا معه ما نكسهما فانزل الله تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ولم يزالا يعبدان حتى كان يوم فتح مكة فخرجت من نائلة عجوز شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور فيروى انه عليه السلام قال تلك نائلة أيست أن تعبد ببلادكم وكان اساف ونائلة من جرهم (ومنها) قصة المرأة التى جاءت الى البيت تعوذ به من ظالم فجاء فمد يده اليها فصار أشل (ومنها) قصة الرجل الذى سالت عيناه على خده من نظرة نظرها الى شخص في الطواف استحسنه (ومنها) ان البيت الشريف يفتح فيدخله الجم الغفير من الناس متزاحمين فيسعهم بقدرة الله تعالى ولم يعلم ان أحدا مات فيه من الزحام الا ماوقع

فى سنة احدى وثمانين وخمسمائة كما نقله المؤرخون فانه مات فيه أربع وثمانون نفرا قال العلامة ابن النقاش والكعبة تسع الف انسان واذا فتحت أيام المواسم دخلها آلاف كثير قال الجد بوأه الله دار كرامته فعلى هذا انها تتسع كما ورد ان منى تتسع كاتساع الرحم (ومنها) ما أخرجه الفاكهى في تاريخ مكة بسنده الى عبد الله بن بكر السهمى عن أبيه انه قال جاورت بمكة فعابت اسطوانة من أساطين البيت فاخرجت وأتى بأخرى ليدخلوها مكانها فطالت عن الموضع وأدركهم الليل والكعبة لا تفتح ليلا فتركوها ليعودوا من غد فيصلحوها فجاؤا فى الغد فاصابوها أقوم من قدح قال العلامة ابن حجر وهذا اسناد قوى رجاله ثقات وبكر هو ابن حبيب من كبار التابعين وكانت هذه القصة فى أوائل دولة بنى العباس والاسطوانة من خشب والله أعلم وعابت فيما رواه الفاكهى بالعين المهملة والموحدة وقدح بكسر القاف وبالحاء المهملة هو السهم (ومنها) كما نقل عن الجاحظ ان الفرقة من الطير من حمام وغيره تقبل حتى اذا كادت ان تبلغ الكعبة انفرقت فرقتين فلم يعل ظهرها شىء منها ونقل عن جمع من العلماء منهم العز بن جماعة ومكى رحمهما الله ان ما عوين من ارتفاع الطير على البيت فللاستشفاء وأنشدوا فى معنى ذلك

والطير لا يعلو على أركانها الا اذا أضحى بها متألما

قال ابن عطية رحمه الله والقول بان الطير لا يعلو ضعيف فانه يعاين يعلوه وقد علته العقاب التى أخذت الحية المشرفة على جداره وتلك

كانت من آياته انتهى قال الزركشي وليس فى هـذا ما ينافى كلام مكي انتهى قال الجد رحمه الله قلت وتوجيه عدم منافاته ان ماعوين من ذلك قد يكون للاستشفاء وأما العقاب فلاخذ الحية المذكورة ثم قال أيضاً والمعروف عند أهل مكة المشرفة قبل وقتنا هـذا ماقاله مكي وابن جماعة وغيرهما وأما فى وقتنا هذا فما قاله ابن عطية فان الطيور الآن تعلوه كثيرا ويتكرر منها ذلك في الساعة الواحدة وهذا مشاهد لا ينكر ولعل حدوث ذلك بسبب ماوقع من نقض السقف والتغيرات الواقعة والله أعلم انتهى بنصه أقول وتوجيه قول الجد رحمه الله ظاهر اذ يحتمل انه كان في السقف المنقوض وفيما غير منه شيء من الارصاد يمنع من ذلك فزال عند النقض والتغيير والله الموفق انتهى (ومنها) ماوقع عن التوربشتي في شرح المصابيح انه قال ولقد شاهدت من كرامة البيت أيام مجاورتي بمكة ان الطير كان لا يمر فوقه وكنت كثيرا أتدبر تحليق الطيور في ذلك الجو فاجدها مجتنبة عن محاذاة البيت وربما انقضت من الجو حتى تدانت فطافت به مرارا ثم ارتفعت ثم قال أيضاً ومن آيات الله البينة في كرامة البيت ان حمامات الحرم اذا نهضت للطيران طافت حوله مرارا من غير أن تعلوه فاذا وقفت عن الطيران وقعت على شرفات المسجد أو على بعض الاسطحة التى حول الكعبة من المسجد ولا تقع على ظهر البيت مع خلوها عما ينفرها وقد كنا نرى الحمامة اذا مرضت وتساقط ريشها وتناثر ترتفع من الارض حتى اذا دنت من ظهر البيت ألقت بنفسها على الميزاب أو على طرف ركن

من الأركان فتبق به زماناً طويلا كهيئة المتخشع لا حراك فيها ثم تنصرف بعد حين من غير أن تعلو شيئاً من سقف البيت (ومنها) ان المطر اذا عمه من جميع جوانبه دل ذلك على حصول الخصب في جميع جهات الارض فان كان المطر من جانب أخصب من الارض مابازائه من الجهة (ومنها) ان الله تعالى يلحظه في كل عام لحظة فى ليلة النصف من شعبان (ومنها) ان خمسة من جرهم تواعدوا أن يسرقوا ماقي خزانة الكعبة من الحلي فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم واقتحم الخامس فجعل الله تعالى أعلاه أسفله وسقط منكساً فهلك وفر الاربعة وبعث الله تعالى حية سوداء الرأس والذنب وباقيها أبيض فحرست البيت خمسمائة سنة وهى التى اختطفها العقاب كما تقدم ويروى ان هذه الحية هى الدابة التى تخرج عند قيام الساعة تكلم الناس كذا نقله ابن جماعة (ومنها) ماروى عن ابن عباس ان رجلا قرشيا قتل هاشمياً فى الجاهلية وأنكر قتله فقال له أبو طالب اختر احدى ثلاث اما أن تؤدى مائة من الابل واما أن يحلف خمسون رجلا من عشيرتك انك لم تقتله والا قتلناك فاختار عشيرته الحلف فقبل أبو طالب عن واحد منهم الفداء وأطلق آخر بشفاعة أمه اليه وحلف ثمانية وأربعون عند البيت قال ابن عباس فوالذى نفسي بيده ماجاء الحول ومنهم عين تطرف وقال ان ذلك أول قسامة فى الجاهلية (ومنها) أيضاً ان خمسين رجلا من بني عامر بن لؤى حلفوا في الجاهلية عند البيت على قسامة باطلا ثم خرجوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق نزلوا تحت صخرة فبينماهم قائلون اذ أقبلت الصخرة

عليهم فخرجوا من تحتها يسعون فانفلقت خمسين فلقة فادركت كل فلقة رجلا فقتلته (ومنها) ماروى انعمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل رجلا من بنى سليم عن ذهاب بصره فقال ياأمير المؤمنين كنا بنى الضبعاء عشرة وكان لنا ابن عم فظلمناه فكان يذكرنا بالله والرحم أن نكف عنه وكنا أهل جاهلية نرتكب كل الامور فلما رآنا لا نرد ظلامته انهل حتى اذا دخلت الاشهر الحرم انتهى الى الحرم فجعل يرفع يديه ويقول

لاهم ادعوك دعاء جاهدا أقتل بنى الضبعاء الا واحدا
ثم اضرب الرجل فذره قاعدا أعمى اذا ما قيد يعيا القائدا

فمات اخوة لى تسعة في تسعة أشهر في كل شهر واحد وبقيت أنا فعميت وليس يلاءمنى قائد (ومنها) ماروى عن حويطب بن عبد العزى انه قال كان فى الكعبة حلق يدخل الخائف يده فيها فلا يريبه أحد فجاء خائف فادخل يده فى حلقة منها فاجتذبه رجل فشلت يده فلقد رأيته فى الاسلام وانه لأشل ﴿ فائدة ﴾ روى ابن عباس رضى الله عنه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكر ما كان يعاقب به من حلف على ظلم ثم قال ان الناس اليوم ليركبون ما هو أعظم من هذا ولا تعجل لهم العقوبة مثل ما كانت تعجل لاولئك فما ترون ذلك فقالوا أنت أعلم يا أمير المؤمنين قال ان الله عز وجل جعل في الجاهلية اذ لادين حرمة حرمها وعظمها وشرفها وعجل العقوبة لمن استحل شيئاً منها لينتهوا عن الظلم مخافة تعجيل العقوبة فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم توعدهم فلما انتهكوا ماحرم الله توعدهم بالساعة فقال والساعة أدهى وأمر فأخر العقاب

الى القيامة (ومنها) ما يروي ان عبد الله بن عمرو بن العاص كان جالساً في جماعة من قريش بالمسجد الحرام بعد ما ارتفع النهار وقلصت الافياء واذا هم بربريق آيم داخل من جهة باب بني شيبة فاشرأبت أعينهم اليه وأبدوه أبصارهم فجاء حتى استلم الركن وطاف بالبيت سبعاً وهم يحصونه ثم ذهب الى دبر المقام فركع ركعتين وهم ينظرون اليه فقال عبد الله بن عمرو لبعض الجماعة اذهب الى هذا فحذره فانى أخاف عليه أن يقتل أو يعبث به فذهب اليه حتى وقف على رأسه وحذره فاصغى اليه برأسه حتى استنفد كلامه ثم ذهب في السماء حتى غاب فما يرى والآيم هي الحية الذكر وبريقه لمعانه (ومنها) ما روى ان طيرين أقبلا في الجاهلية كانهما نعامتان يسيران كل يوم ميلا أو بريدا حتى أتيا مكة فوقعا على الكعبة وكانت قريش تطعمهما وتسقيهما فاذا خف الطواف من الناس نزلا فدفا حول الكعبة حتى اذا اجتمع الناس طارا فوقعا على الكعبة فمكثا كذلك شهرا أو نحوه ثم ذهبا ومعنى دفا سارا وسيأتى فى فضائل الكعبة يدفون اليك دفيف النسور قال فى الصحاح الدفيف الدبيب وهو السير اللين ومنها ما أخرجه الازرقى فى تاريخه ان طائرا أقبل من ناحية أجياد الصغير لونه لون الحبرة بريشة حمراء وريشة سوداء دقيق الساقين طويلهما طويل العنق دقيق المنقار طويله كأنه من طير البحر وكان ذلك فى يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ست وعشرين ومائتين عند طلوع الشمس والناس اذ ذاك في الطواف كثير من الحاج وغيرهم فوقع في المسجد الحرام قريباً من مصباح زمزم

فقابل الركن الاسود ساعة طويلة ثم طار حتي صدم الكعبة فى نحو من وسطها ما بين الركن الاسود واليمانى وهو الى الركن الاسود أقرب ثم وقع على منكب رجل محرم من الحاج من أهل خراسان فى الطواف عند الحجر الاسود فطاف الرجل أسابيع وعيناه تدمعان على خديه ولحيته والطائر على منكبه الايمن والناس يدنون منه وينظرون اليه ويتعجبون منه وهو غير متوحش ثم طار حتى وقع بعين المقام ساعة طويلة يمد عنقه ويقبضه الى جناحه فاقبل فتى من الحجبة فاخذه ليريه رجلا منهم كان يركع خلف المقام فصاح أشد صياح لا يشبه صوته صوت الطير ففزع منه فارسله فطار حتى وقع بين يدى دار الندوة ثم خرج من باب المسجد الذى بين دار الندوة ودار العجلة نحو قعيقعان (ومنها) ما رواه أبو الطفيل قال كانت امرأة من الجن كانت تسكن ذا طوى فى الجاهلية وكان لها ابن ليس لها غيره وكانت تحبه حباً شديدا وكان شريفاً فى قومه فتزوج فلما كان يوم سابعه قال لامه اني أحب أن أطوف بالكعبة سبعاً نهارا فقالت أراني اني أخاف سفهاء قريش فقال أرجو السلامة فاذنت له فولى فى صورة جان فلما أدبر جعلت تعوذه تقول أعيذك بالكعبة المستورة ودعوات ابن أبي محذورة وما تلا محمد من سورة اني الى حيوته فقيرة واني بعيشه مسرورة ثم مضى فطاف سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين ثم أقبل راجعاً حتى اذا كان ببعض دور بنى سهم عرض له شاب من بنى سهم أحمر أزرق أحول أعسر فقتله فثارت بمكة غبرة حتى لم تر الجبال فقال أبو الطفيل وبلغنا ان الغبره انما تثور كذلك

عند موت عظيم من الجان قل فاصبح كثير من بنى سهم موتى على فرشهم من قبـل الجان فنهضت بنو سهم وحلفاؤها ومواليها وعبيدها فركبوا الجبال والشعاب بالثنية فمـا تركوا حية ولا عقربا ولا شيئاً من الهوام يدب على وجه الارض الا قتلوه وأقاموا علي ذلك ثلاثاً فسمعوا فى الليلة الثالثة هاتفاً على أبى قبيس يهتف بصوت جهورى يسمعه من بين الجبلين يامعشر قريش الله الله فان لكم أحلاما وعقولا أعذرونا من بنى سهم قد قتلوا منا أضعاف ما قتلنا منهم ادخلوا بيننا وبينهم بصلح نعطيهم ويعطونا العهد والميثاق أن لا يعود بعضنا لبعض بسوء أبدا ففعلت قريش ذلك واستوثق البعض من البعض فسميت بنو سهم العياطلة قتلة الجن لذلك (ومنها) ان الله تبارك وتعالى وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا أكملهم بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة من حجها تعلق باستارها حتى تدخلهم الجنة وان الملك اذا نزل الى الارض في بعض أمور الله تعالى فأول ما يأمره الله بزيارة البيت فينقض من تحت العرش محرما ملبياً حتى يستلم الحجر ثم يطوف بالبيت سبعاً ويركع ركعتين ثم يمضى لما أمر بعد وعن عمر رضى الله عنه انه قال من أتى هذا البيت لا ينهزه غير صلاة فيه رجع كيوم ولدته أمه ومعنى لاينهزه لا يحمله على ذلك (ومنها) ان هذا البيت منذ خلقه الله تعالى ماخلا عن طائف يطوف به من انس أو جن أو غير ذلك قال بعض السلف خرجت يوما فى هاجرة ذات سموم وقلت ان خلا البيت عن طائف فى هذا الحين ورأيت المطاف خاليا فدنوت

فرأيت حية عظيمة رافعة رأسها وهي تطوف حوله (ومنها) ما يروى ان الكعبة شكت الى الله تعالى مانصب حولها من الاصنام ومايستقسم به من الازلام فاوحى الله اليها اني منزل نورا وخالق بشرا يحنون اليك حنين الحمام الى بيضه ويدفون اليك دفيف النسور * ويحكى عن بعض السلف انه دخل الحجر فى الليل وصلى تحت الميزاب فسمع وهو ساجد كلاما بين أستار الكعبة والحجارة وهو أشكو الى الله ما يفعل هؤلاء الطائفون حولى من اسائهم قال فاولت ان البيت شكي (ومنها) ماذكر ان يوم قتل عبد الله بن الزبير بمكة اشتد الحرب واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة الا جمل يطوف بها (ومنها) ان من حجه ثلاث مرات حرم الله جسده على النار ولم تؤثر فيه روى القاضى عياض فى الشفاء عن بعض شيوخ المغرب ان قوما أتوه فاعلموه ان كتامة وهى قبيلة من البربر قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار فلم تعمل فيه وبقى أبيض البدن فقال لهم لعله حج ثلاث حجات فقالوا نعم فقال حدثت ان من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار (ومنها) ما روى عن الاوزاعي انه قال رأيت رجلا متعلقاً باستار الكعبة وهو يقول

يارب اني فقير كما ترى   وصبيتى قد عروا كما ترى

وناقتى قد عجفت كما ترى   وبردتي قد بليت كما ترى

فما ترى فيما ترى   يامن يرى ولا يرى

فاذا بصوت من خلفه ياعاصم الحق عمك قد هلك بالطائف وخلف

ألف نعجة وثلثمائة ناقة وأربعمائة دينار وأربعة عبيد وثلاثة أسياف يمانية فامض فخذها فليس له وارث غيرك قال الاوزاعى فقلت له ياعاصم انك دعوت قريبا فقال ياهذا أماسمعت قوله واذا سألك عبادى عنى فانى قريب (ومنها) ما روي عن على بن الموفق انه قل طفت بالبيت ليلة وصليت ركعتين بالحجر واستندت الى جداره أبكي وأقول كم أحضر هـذا البيت الشريف ولا أزداد فى نفسي خيرا فبينما أنا بين النائم واليقظان اذ هتف بى هاتف وهو يقول ياعلى سمعنا مقالتك أو تدعو أنت الى بيتك من لا نحبه (ومنها) ما ذكر عن أبى بن خلف وعبيد الله ابن عثمان انهما كانا في الحجر فى شهر رجب فلم يشعرا الا بحية قد أقبلت حتى مرت بهما فدخلت تحت أستار الكعبة وسمعنا كلاما من حيث دخلت يقول يامعشر قريش كفوا عما تأتون من الظلم قبل أن تنزل بكم النقم كفوا سفهاءكم فانكم فى بلد عظيم حرمته [1] ومنها ان امرأة عابدة جاءت حاجة فلما دخلت مكة جعلت تقول أين بيت ربى وتكرر ذلك فقيل لها هذا بيت ربك فاشتدت نحوه تسعى حتى الصقت جبينها بحائط البيت فما رفعت منه الا ميتة (ومنها) ان الشبلى رضى الله عنه لما وصل الى مكة ونظر الى البيت عظم عنده قدر ما ناله وأنشد طربا

---

(١) ولقائل ان يقول ما وجه عد هذه الثلاثة الاشخاص في آيات البيت الشريف لايخلو الحال فيه اما ان المصنف رحمه الله تعالى تبع غيره في ذكرها ومانظر الى ان فيها مناسبة لآياته أم لا واما انه اعتبر الحالة التى حصلت لهم عند رؤيته ومشاهدته فعدت من فضائله وكراماته وآياته

أبطحان مكة هذا الذى　　أراه عيانا وهــذا أنا

ثم لم يزل يكررها حتى غشي عليه (ومنها) ان أبا الفضل الجوهرى لما دخل الحرم ورأى الكعبة علاه حال فقال وقد دخله الطرب هــذه ديار المحبوب فأين المحبون وهذه آثار أسرار القلوب فأين المشتاقون هذه ساعة الاطلاع على الدموع فأين البكاؤن ثم شهق شهقة وأنشد

هذه دارهم وأنت محب　　ما بقاء الدموع فى الآماق

ثم بادر الى البيت باكيا وهو ينادى لبيك اللهم لبيك وهــذا بعض ما ذكر من فضائل هذا البيت وهذه الاوراق لا تسع أكثر من ذلك وفيما ذكر مقنع والله تعالى أعلم

الباب الثانى

فيما يتعلق ببناء الـكعبة الشريفة

وكم بنت مرة وما ورد فى ذلك من الاقوال والروايات والاختلاف وبيان أسباب البناء وها أنا أذكره مبينا مفصلا مع التنبيه على أشهر الاقوال

(اعلم) ان الكعبة زادها الله تعــالى شرفا بنيت مرات قال في منهاج التائبين بنيت الكعبة خمس مرات (احداها) بناء الملائكة

وقيل آدم (الثانية) بناء الخليل عليه السلام (الثالثة) بناء قريش في الجاهلية (الرابعة) بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنه (الخامسة) بناء الحجاج وقد قيل انها بنيت مرتين أخريين (الاولى) بناء العمالقة بعد ابراهيم عليه السلام (والثانية) بناء جرهم بعد العمالقة ثم بنته قريش والله أعلم انتهى وفى شفاء الغرام للقاضى تقى الدين الفاسى رحمه الله انها بنيت عشر مرات (الاولى) الملائكة عليهم السلام ثم آدم صلوات الله عليه ثم أولاده ثم الخليل عليه الصلاة والسلام ثم العمالقة ثم جرهم ثم قصى بن كلاب ثم قريش ثم عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ثم الحجاج بن يوسف الثقفى قل القاضى تقى الدين المشار اليه واطلاق العبارة بانه اى الحجاج بنى الكعبة تجوز لانه لم يبن الا بعضها كما سيأتى بيانه ولولا ان السهيلى والنووى ذكراه لما ذكرته انتهى وفي الروض الانف للسهيلي ان أول من بنى الكعبة شيث بن آدم عليهما السلام وذكر في موضع آخر ان الملائكة هى التى أسست الكعبة ذكر القاضي تقى الدين أيضاً انه وجد بخط عبد الله المرجانى ان عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم بنى الكعبة بعد قصى وقبل بناء قريش ثم قال ولا أعلم له فى ذلك سلفاً ولا خلفاً والله أعلم واختلف هل بناء الملائكة قبل آدم أو بناء آدم قبل الملائكة وذكر الازرقى رحمه الله ما يشهد للقولين وفي منسك الجد نور الله ضريحه بنيت الكعبة الشريفة خمس مرات الاول بناء الملائكة الثانى بناء آدم عليه السلام الثالث بناء ابراهيم عليه السلام الرابع بناء قريش في

الجاهلية الخامس بناء ابن الزبير ثم هدم الحجاج بعضه وبناه قال الجد رحمه الله وهذا هو المشهور المعروف وأخرج الفاكهى عن على كرم الله وجهه ان أول من بنى البيت الخليل عليه السلام وجزم به ابن كثير في تفسيره وقال لم يجئ خبر عن معصوم ان البيت كان مبنيا قبله وقال في تاريخه عند قوله تعالى ان أول بيت وضع للناس الآية يذكر تعالى عن عبده وخليله انه بني البيت العتيق الذى هو أول مسجد وضع لعموم الناس يعبدون الله فيه وبوأه مكانه اي أرشده اليه ودله عليه وعن على وغيره انه أرشده اليه بوحى من الله ولم يجئ خبر صحيح عن معصوم وذكر ما تقدم ثم قال ومن تمسك فى هذا بقوله تعالى مكان البيت فليس بناهض ولا ظاهر لان المراد مكانه الكائن في علم الله المعظم عند الانبياء موضعه من لدن آدم الى زمن ابراهيم وقد ذكر ان آدم نصب عليه قبة وان الملائكة قالوا له قد طفنا قبلك بهذا البيت وان السفينة طافت به أربعين يوما أونحو ذلك وكل هذه أخبار عن بنى اسرائيل وهي لا تصدق ولا تكذب فلا يحتج بها انتهى أقول فعلى هذا يكون بناء البيت ثلاث مرات الاول الخليل عليه السلام الثاني بناء قريش الثالث بناء ابن الزبير والحجاج لان بناء الخليل ثابت بنص الكتاب وبناء قريش ثابت فى صحيح البخارى وغيره وبناء ابن الزبير والحجاج ذكره عامة المفسرين وأهل التواريخ وغيرهم من العلماء ويحتمل ان يقال أيضاً ان الكعبة بنيت أربع مرات الاول بناء الملائكة وآدم معاً في آن واحد ويشهد له ما سيأتى آنفاً عن ابن عباس عند

ذكر السبب فى بناء آدم عليه السلام كما ستقف عليه وهو مجرد تأسيس
الثاني بناء الخليل الثالث بناء قريش الرابع بناء ابن الزبير والحجاج
ويكون البناء الاول والرابع مشتركا ثم القول بان ذلك في آنين فهو
تأسيس أيضاً كما ذكره الفاسى في شفاء الغرام لا بناء مرتفع كغيره من
الابنية الآتى وصفها لانه حينئذ يحتاج الى معرفة السبب فى نقض بناء
الملائكة على تقدير أوليته حتى بناه آدم وفى نقض بناء آدم ان لو كان
أولا حتى بنته الملائكة كما ستعلمه عند ذكر أسباب الابنية الآتية
ان شاء الله تعالى ولم أر أحدا ذكر ذلك فيما وقفت عليه ولا تعرض لمقدار
ارتفاع بناء الملائكه وآدم فى السماء كم هو فيحتمل انه كان مرتفعا وحفظ
من الهدم والتغير الى ان بنى عليه آدم أو الملائكة على الخلاف أيهما
كان أولا أو انه انهدم لتناسخ القرون فبنى ثانياً على ما وجد من الاساس
أو لم يكن هناك ارتفاع أصلا بل مجرد تأسيس فبنى عليه ويحتمل غير
ذلك والله أعلم بحقائق الامور انتهى وقد آن الشروع في ذكر الاسباب
المشار اليها

﴿ أما سبب بناء الملائكة عليهم الصلاة والسلام ﴾ فروى عن على
ابن الحسين رضى الله عنهما انه قال لما قال الله للملائكة اني جاعل فى الارض
خليفة قالت أى رب خليفة من غيرنا ممن يفسد فيها ويسفك الدماء فغضب
عليهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤسهم وأشاروا بالاصابع يتضرعون
ويبكون اشفاقا لغضبه فطافوا بالعرش ثلاث ساعات وفي رواية
سبعة أطواف يسترضون ربهم فرضى عنهم وقال لهم ابنوا لى في الارض

بيتا يعوذ به كل من سخطت عليه من خلقي فيطوف حوله كما فعلتم بعرشي فاغفر له كما غفرت لكم فبنوا البيت الحرام قال العلامة عماد الدين بن كثير رحمه الله قول الملائكة عليهم السلام أتجعل فيها الآية سؤال على وجه الاستكشاف والاستعلام على وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم والحسد لهم كما توهمه بعض جهلة المفسرين وفي الروض الأنف للسهيلي لما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها خافت أن يكون الله عاتبا عليهم لاعتراضهم في علمه فطافوا بالعرش سبعا وذكر ما تقدم عن علي بن الحسين رضي الله عنه كذا حكاه الجد نور الله ضريحه وجعل الرحمة غبوقه وصبوحه في منسكه ثم قال بعد ذلك ظاهر قول السهيلي خافت ان يكون الله عاتبا عليهم انه لم يقع من الله غضب عليهم وهو الموافق للحكم بعصمتهم وقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وما تقدم عن علي بن الحسين يخالف ذلك وقوله لاعتراضهم في علمه يخالف ما تقدم عن ابن كثير من ان ذلك منهم على وجه الاستكشاف لا الاعتراض اللهم الا ان يراد ما صورته صورة الاعتراض فلا مخالفة انتهى وفي بعض الروايات ان الله تعالى بعث ملائكة فقال لهم ابنوا بيتا على مثال البيت المعمور وقدره ففعلوا وأمر الله تعالى ان يطاف به كما يطاف بالبيت المعمور وان هذا كان قبل خلق آدم عليه السلام وقبل خلق الارض بالفي عام وان الارض دحيت من تحته

﴿ فصل في الكلام على البيت المعمور ﴾

وشيء من خبره على سبيل الاستطراد

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال هذا البيت يعنى الكعبة المشرفة خامس خمسة عشر بيتا سبعة منها في السماء الى العرش وسبعة منها الى تخوم الارض وأعلاها الذى يلى العرش البيت المعمور لكل بيت منها حرم كحرم هـذا البيت لو سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض الى تخوم الارض السفلى ولكل بيت من أهل السماء ومن أهل الارض من يعمره كما يعمر هذا البيت أخرجه الازرق

(مطلب في كل من السبع الارضين بيت يعمره أهلها)

(بحث) فان قيل في قوله عليه السلام ولكل بيت الخ اشارة الى تسمية كل بيت منهـا بالمعمور بهذا المعنى فحصل الاشتراك فايها البيت المعمور المراد فالجواب من وجوه الاول ان البيت المعمور قد غلب عليه هذا الاسم واسمه وصار علما عليه عند الاطلاق والثانى انه تميز بكونه فى السماء السابعة على الرواية المشهورة كما ستقف عليها قريبا فيكون هو المراد دون غيره الثالث انه يسمى بالضراح دون بقية البيوت الأخر والله الموفق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسـلم قال البيت المعمور الذى فى السماء يقال له الضراح وهو على البيت الحرام لو سقط سقط عليه يعمره كل يوم سبعون الف ملك لم يروه قط والضراح بالضاد المعجمة بعدها راء فالف فحاء مهملة

وقيل بالصاد المهملة والمشهور الاول وعند مجاهد البيت المعمور هو الضريح يعنى بالضاد المعجمة والضريح لغة البعيد

(الخلاف في البيت المعمور وفي مكة)

واختلف فى البيت المعمور وفي مقره فقيل انه البيت الذى بناه آدم أول ما نزل الى الارض كما سأذكره قريبا ثم رفع الي السماء أيام الطوفان وتسميه الملائكة بالضراح لانه ضرح عن الارض الى السماء بمعنى أبعد وقيل ان البيت بمكة معمور بمن يطوف به وهذا منسوب الى ابن عباس والحسن وعن محمد بن عباد بن جعفر انه كان يستقبل الكعبة الشريفة ويقول واحبذا بيت ربى ما أحسنه وأجمله هـذا والله البيت المعمور وظاهر هذين القولين ينافي ما تقدم وأما مقره فللازرقى ثلاث روايات الاولى انه فى السماء السابعة الثانية انه في السادسة الثالثة انه فوق السموات السبع تحت العرش وفي رواية لغير الازرق انه في السماء الرابعة أقول الرواية الاولي هى المشهورة الصحيحة الموافقة لمـا رواه مسلم فى صحيحه من حديث ثابت البناني عن أنس رضى الله عنه من كونه صلى الله عليه وسلم اجتمع بابراهيم عليه السلام فى السماء السابعة ورآه مسندا ظهره الى البيت المعمور وهـذا الحديث أولى بالاعتماد عليه دون غيره قال القاضى عياض رحمه الله في الشفاء جود ثابت هذا الحديث ما شاء ولم يأت عنه أحد باصوب من هـذا وقد خلط فيه غيره عن أنس تخليطا كثيرا لا سيما شريك ابن أبى نمر انتهى

﴿ وأما سبب بناء آدم صلوات الله عليه ﴾ فروى عن ابن عباس

رضى الله عنهما ان الله تعالى لما أهبط آدم كان رأسه فى السماء ورجلاه فى الارض وهو مثل الفلك من رعدته فطأطأ الله عز وجل منه الى ستين ذراعا فقال يارب مالى لا أسمع صوت الملائكة فقال له خطيئتك يا آدم ولكن اذهب فابن لى بيتا واذكرني حوله كنحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى فاقبل آدم يتخطى فطويت له الارض ولم يقع قدمه فى شيء من الارض الا صار عمرانا وبركة حتى انتهى الى مكة فبنى البيت الحرام بعد ان ضرب جبريل عليه السلام بجناحه الارض فابرز عن أس ثابت في الارض السفلى فقذفت فيه الملائكة الصخر مالا يطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلا قال ابن عباس رضى الله عنه فكان أول من أسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم عليه السلام ولم يزل كذلك حتى بعث الله الطوفان فدرس موضع البيت أقول هذا ما يشهد لبناء الملائكة وآدم فى آن واحد كما سبقت الاشارة اليه انتهى

(مطلب الاجبل التي بنيت منها الكعبة خمسة)

ويروى ان بناءه من خمسة أجبل لبنان وطور زيتا وطور سينا والجودى وحرا حتى استوى مع وجه الارض اي لم يرتفع عن وجه الارض كما قدمته وسيأتى بيان موضع هذه الجبال عند ذكر بناء الخليل ان شاء الله تعالى والفلك فيما تقدم بضم الفاء هو السفينة ووجه التشبيه ان آدم عليه السلام حال الهبوط كان فيه اضطراب كاضطراب السفينة فى البحر حال هبوب الرياح وفي بعض الروايات ان آدم عليه السلام لما أهبط بارض الهند اشتد بكاؤه وحزنه فتاب الله عليه وأمره

بالمسير الى مكة فلما انتهى اليها عزاه الله بخيمة من خيام الجنة ووضعها له موضع البيت وكانت تلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة فيها ثلاثة قناديل من ذهب من تبر الجنة فيها نور يلتهب من نور الجنة وعن قتادة ان آدم عليه السلام أهبط ومعه بيت فكان يطوف به والمؤمنون من ولده كذلك الى زمن الغرق ثم رفعه الله عز وجل فصار فى السماء وهو الذى يدعى البيت المعمور ذكره الحليمى فى منهاجه ثم قال يجوز ان يكون معنى قول قتادة من انه أهبط مع آدم بيت أى مقدار البيت المعمور طولا وعرضاً وسمكا ثم قيل له ابن بقدره وحياله فكان حياله موضع الكعبة فبناها فيه وأما الخيمة فقد يجوز أن يكون أنزلت وضربت فى موضع الكعبه فلما بنى الكعبة كانت الخيمة حولها طمأنينة لقلب آدم ماعاش ثم رفعت فتتفق هذه الاخبار كذا فى منسك الجد رحمه الله تعالى

﴿ وأما سبب بناء الخليل صلوات الله عليه ﴾ فروى عن مجاهد رضى الله عنه ان موضع البيت كان قد خفى ودرس من الغرق أيام الطوفان فصار موضعه أكمة حمراء مدرة لا تعلوها السيول غير ان الناس يعلمون ان موضع البيت فيما هنالك ولا يثبتونه وكان المظلوم يأتيه من أقطار الارض ويدعو عنده المكروب فقل من دعى هنالك الا استجيب له وعن ابن عمر كانت الانبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لخليله وأعلمه مكانه

(مطلب الخلاف في هود وصالح هل حجا أم لا)

وروي ان هودا وصالحا ومن آمن بهما حجوا البيت وهو كذلك ونقل العلامة السيوطى فى بعض كتبه ان جميع الانبياء حجوا البيت الا هودا وصالحا فانهما كانا تشاغلا بامر قومهما فماتا ولم يحجا

(مطلب سبب معرفة ابراهيم أساس البيت الحرام)

وان آدم لما حج حلق جبريل رأسه بياقوتة من الجنة فلما بوأ الله تعالى لخليله مكان البيت وأمره ببنائه بقوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وقوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت الآيتان أقبل من الشام وسنه يومئذ مائة سنة وسن اسماعيل ستة وثلاثون سنة وأرسل الله معه السكينة والصرد والملك دليلا حتى تبوأ البيت الحرام فقال لابنه اسماعيل عليه السلام ان الله قد أمرنى ان أبني له بيتاً فقال له اسماعيل وأين هو فاشار الى أكمة مرتفعة عليها رضراض من حصباء فقاما يحفران عن القواعد ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ويحمل اسماعيل الحجارة على رقبته وابراهيم يبنى فلما ارتفع البناء وشق على الخليل تناول الاحجار قرب له اسماعيل المقام فكان يقوم عليه وقد تقدم الكلام عليه مستوفى والصرد بضم الصاد وفتح الراء المهملتين طائر ضخم الرأس فوق العصفور يصيد العصافير وقيل انه أول طائر صام لله والسكينة لها رأس كرأس الهرة وجناحان وفى رواية كانها غمامة أو ضبابة تغشى الارض كالدخان في وسطها كهيئة الرأس يتكلم وكانت بمقدار البيت فلما انتهى الخليل صلوات الله عليه الى

مكة وقفت فى موضع البيت ونادت يا ابراهيم ابن على مقدار ظلى لا تزيد ولا تنقص وفي رواية انها تطوقت بالاساس الاول كانها حية وفي أخرى انها لم تزل را كدة تظل ابراهيم وتهديه مكان القواعد فلما رفع القواعد قدر قامة انكشفت قال السهيلى فى روضه والسكينة من شأن الصلاة قال صلى الله عليه وسلم وأتوها وعايكم السكينة انتهى فجعله علما على قبلتها حكمة من الله تعالى وروى ان السكينة قالت لابراهيم ربض عليّ البيت فلذلك لا يطوف بالبيت ملك ولا اعرابي نافر ولا جبار الا رأيت عايه السكينة كذا في منسك المجد رحمه الله وذكر ان الخليل لما حفر القواعد أبرز عن ربض كامثال خلف الابل لا يحرك الصخرة الاثلاثون رجلا وكان يبنى كل يوم ساقا وهو المدماك في عرفنا الآن قال ابن عباس رضى الله عنه أما والله ما بنياه بقصة ولا مدر ولا كان معهما مايسقفانه ولكنهما أعلماه وطافا به وفى رواية رضماه رضما فوق القامة ولم يسقفا والرضم أن ترص الحجارة بعضها فوق بعض بغير ملاط والقصة بفتح القاف هي النورة أو شبهها قال السهيلى بناه الخليل من خمسة أجبل كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها وهى طورسيناء وطورزيتا اللذين بالشام والجودى وهو بالجزيرة ولبنان وحرا وهما بالحرم ثم قال وانتبه لحكمة الله كيف جعل بناءها من خمسة أجبل فشا كل ذلك معناها اذ هي قبلة للصلوات الخمس وعمود الاسلام وقد بنى على خمس انتهى قال المجد رحمه الله تعالى وفي كون لبنان بالحرم نظر اذ لا يعرف ذلك ويروى ان ذا القرنين قدم مكة والخليل وابنه

يبنيان فقال ما هذا فقالا نحن عبدان أمرنا بالبناء فطلب منهما البرهان على ذلك فشهد بذلك خمسة أكبش فقال قد رضيت وسلمت ثم مضى

(مطلب الكلام على ذى القرنين صاحب الخضر ولم لقب بذلك
وتعريف نبوته وعدمها)

﴿ فائدة استطرادية ﴾ اعلم ان ذا القرنين اثنان رومى ومقدوني والذي اجتمع بالخليل هو الرومى الذى ذكره الله تعالى في القرآن وهو صاحب الخضر واختلف فى تسميته بذى القرنين وكان نبيا أم عبدا صالحا فقيل سمي بذى القرنين لانه بلغ لمغرب الشمس ومطلعها وقيل لانه ملك الروم وفارس أو الروم والترك وقيل لانه انقرض فى زمنه قرنان من الناس وهو حي وقال الواحدى لانه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فمات فبعثه الله ثم أمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وقيل كان له قرنان وقيل كان كريم الطرفين أما وأبا وهذان القولان فى المدارك وقيل لانه عاش قرنين وعن على سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عنده سواء

﴿ وأما انه نبى أو ملك ﴾ فعن عبد الله بن عمر ومجاهد انه كان نبيا وعن على كرم الله وجهه انه كان عبدا صالحا أحب الله وناصحه فاحبه الله وناصحه وعن وهب انه كان ملكا عادلا قال المفسرون ملك الدنيا أربعة مؤمنان وكافران أما المؤمنان فذو القرنين وسليمان بن داود عليهما السلام وأما الكافران فنمرود وبخت نصر قال القرطبي

وسيملك الدنيا من هذه الامة خامس وهو المهدى لقوله تعالى ليظهره على الدين كله انتهى (أقول) وسيملكها سادس أيضا وهو عيسى صلوات الله عليه كما جاءت به السنة فى غير موضع من الصحيحين وغيرهما انتهى

(مطلب سن ذى القرنين)

وكان عمر ذى القرنين الفا وستمائة سنة واختلف فى زمنه واسمه فقيل كان فى زمن نمرود ويؤيده اجتماعه بالخليل حال بنائه البيت كما تقدم لان الخليل والنمرود فى زمن واحد وعن وهب انه كان فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل كان بعد ثمود وأما اسمه فقيل عبد الله وقيل اسكندر وقيل مرزبان بن مرزبة

(مطلب الحجر الاسود وهل كان قبل ابراهيم أم لا)

عدنا الى المقصود فلما انتهى الخليل عليه السلام في البناء الى موضع الحجر بالفتح طلب من اسماعيل حجرا يضعه ليكون علما على بداءة الطواف فجاءه جبريل بالحجر الاسود قيل نزل به من الجنة وقيل جاء به من أبى قبيس لان الله استودع الحجر أبا قبيس لما غرقت الارض وفى رواية ان الحجر نفسه نادى الخليل من أبى قبيس ها أنا ذا فرقا اليه فاخذه فوضعه فى موضعه هذا وجعل الخليل صلوات الله عليه طول البيت فى السماء تسعة أذرع وعرضه فى الارض اثنين وثلاثين ذراعا من الركن الاسود الى الركن الشامى الذى عنده الحجر بكسر الحاء من وجهه وجعل عرض ما بين الركن الشامى الغربي الذى فيه

الحجر بالكسر اثنين وعشرين ذراعا وجعل طول ظهرها من الركن الغربي الى الركن اليماني احدا وثلاثين ذراعا وجعل عرض سقفها اليماني من الركن الاسود الى الركن اليماني عشرين ذراعا فلذلك سميت كعبة لانها على خلقة الكعب وكذلك بنيان أساس آدم عليه السلام وجعل بابها بالارض غير مبوب حتى كان تبع أسعد الحميري هو الذى جعل لها بابا وغلقا فارسيا وكساها كسوة تامة ونحر عندها كما علمته فيما تقدم وسيأتي الكلام على ذلك في محله مستوفى ان شاء الله تعالى وجعل الخليل الحجر بكسر الحاء الى جنب البيت عريشا من أراك تقتحمه العنز فكان زربا لغنم اسماعيل وحفر فى بطن الكعبة جبا على يمين الداخل يكون خزانة للبيت يلقى فيه ما يهدى للكعبة وهو الذى نصب عليه عمرو ابن لحى هبل صنم قريش الذى كانت تعبده وتستقسم عنده بالازلام (أقول) ولعله والله أعلم هو المراد بقول أبى سفيان بن حرب فى يوم أحد أعل هبل انتهى ثم عدا على ذلك الجب قوم من جرهم فسرقوا مافيه من أموال الكعبة وحليتها مرة بعد أخرى فبعث الله الحية لحراسته وهى التى اختطفها العقاب كما تقدم والله أعلم

﴿ وأما سبب بناء قريش للبيت ﴾ فروي ان امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت شرارات من مجمرتها فاحترقت كسوتها وكانت ركاما بعضها فوق بعض فحصل في الاحجار تصدع ووهن ثم تواترت السيول بعد ذلك أيضا فجاء سيل عظيم فدخل البيت فازداد تصدع الجدران ففزعت لذلك قريش فزعا شديدا وهابوا هدمها وخافوا أن مسوها ينزل

عليهم العذاب فبينما هم على تلك الحال يتشاورون اذ أقبلت سفينة من الروم حتى اذا كانت بمحل يقال له الشمية بضم الشين المعجمة وهو يومئذ ساحل مكة قبل جدة انكسرت

﴿ استطراد فى الكلام على فضل جدة ﴾ التى هى الآن ساحل مكة وشيء من خبرها روى الفاكهي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة رباط وجدة جهاد وعن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول انما جدة خزانة مكة وان ما يؤتى به الى مكة لا يخرج به منها ثم قال أعنى ابن جريج اني لارجو أن يكون فضل مرابط جدة علي سائر المرابط كفضل مكة على سائر البلدان وعن عباد بن كثير انه قال الصلاة بجدة سبعة عشر ألف الف صلاة والدرهم فيها مائة الف وأعمالها بقدر ذلك يغفر للناظر فيها مد بصره مما يلي البحر وعن فرقد السبخى انه قال انى رجل اقرأ هذه الكتب واني لاجد فيما أنزل الله من كتبه جدة أو جديدة يكون بها قتلي وشهداء لاشهداء يومئذ على ظهر الارض أفضل منهم وعن بعض المكيين ان الحبشة جاءت الى جدة فى سنة ثلاث وثمانين فى مصدرها فوقعوا بأهل جدة فخرج الناس من مكة الى جدة غزاة فى البحر وعليهم أميرهم عبد الله بن محمد بن ابراهيم المخزومى انتهى قال الفاسى رحمه الله عبد الله بن محمد هذا ولى مكة للرشيد العباسى فيكون المراد سنة ثلاث وثمانين ومائة وأول من جعل جدة ساحلا لمكة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى سنة ست وعشرين من الهجرة وكانت الشمية

ساحل مكة قبل ذلك وذكر ابن جبير انه رأى بجدة أثر سور محدق
وان بها مسجدين ينسبان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أحدهما يقال
له مسجد الابنوس وهو معروف الى الآن والآخر غير معروف ولعله
والله أعلم المسجد الذى يقام فيه الجمعة وهو من عمارة المظفر صاحب اليمن
انتهى ويروى ان قبر حواء بجدة والله أعلم ولنرجع الى المقصود فلما
انكسرت السفينة بالشعيبة وبلغ قريشاً فقصدوها واشتروا خشبها وأذنوا
لاهلها أن يدخلوا مكة فيبيعوا ما معهم من المتاع حتى ان لا يعشروهم
وكانوا قبل ذلك يعشرون من دخلها من تجار الروم وكان الروم أيضا
تعشر قريشاً اذا دخلوا بلادهم وكان فى السفينة نجار بناء اسمه باقوم
وهو الذى بنى الكعبة لقريش كما روي عن سفيان بن عيينة ويروى
ان قريشا لما هابوا هدمها قال الوليد ان الله لا يهلك من يريد الصلاح
فارتقى على ظهر البيت ومعه الفأس ثم هدم فلما رأوه سالما تابعوه وفي
بعض الروايات ان قريشاً كانوا كلما أرادوا هدم البيت بدت لهم حية
فاتحة فاها فبعث الله طيرا أعظم من النسر فغرز مخالبه فيها فالقاها نحو
أجياد فهدمتها قريش وبنوها بحجارة الوادى ورفعوها ثمانية عشر ذراعا
فى السماء وقيل عشرين وحضر النبى صلى الله عليه وسلم هذا البناء مع
قريش وكان يحمل الحجارة وسنه اذ ذاك خمس وثلاثون سنة وهو
الاشهر وقيل خمس وعشرون وهو مشهور وعن الفاكهى كان قد
ناهز الحلم وفى تاريخ الازرقى ما يؤيده وهو ضعيف جدا فلا يعتبر
بمخالفته القولين الاولين فبينما هو يحملها وعليه نمرة قد ضاقت فذهب

بعضها على عاتقه فبدت عورته فنودي يامحمد خمر عورتك فلم ير بعدها عريانا وكان بين ذلك وبين المبعث خمس سنين واختلفت قريش فيمن يضع الحجر الاسود حتى رضوا باول داخل فكان هو أول داخل صلى الله عليه وسلم فوضعه بيده الشريفة وأخرج الازرق في رواية ان طول الكعبة كان سبعة وعشرين ذراعا فاقتصرت قريش على ثمانية عشر ذراعا ونقصوا من عرضها أذرعا أدخلوها في الحجر (أقول) بناء قريش ثابت على القول المشهور بعد بناء الخليل وقد علمت فيما سبق ان الخليل صلوات الله عليه جعل طولها فى السماء تسعة أذرع كما تظافرت به الاقوال وستقف على ذلك من كلام الازرقى أيضاً عند ذكر بناء ابن الزبير آنفا فما نقله من ان طول الكعبة كان سبعة وعشرين ذراعا الخ فيه مناقضة لما سيأتي عنه ولم يثبت من طريق صحيح ان أحدا بناها بعد الخليل وجعل طولها سبعة وعشرين ذراعا وما تقدم من بناء العمالقة وجرهم وقصى بعد الخليل انما هو مجرد خبر وهو يحتمل ولم يتأيد بدليل وعلى تقدير الصحة فلم يذكر أحد مقدار ارتفاع بنائهم مطلقا على ان الازرقى نفسه ذكر بناء العمالقة وجرهم ولم يبين مقدار ارتفاعهما نعم نقل الفاسى رحمه الله عن الزبير بن بكار ان قصيا بنى الكعبة بناء محكما على خمس وعشرين ذراعا وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل ثم قال وفيه نظر لانه ان أريد به ان قصيا جعل ارتفاع الكعبة خمسا وعشرين كان مخالفا لما اشتهر من ان الخليل جعل طولها تسعة أذرع وان قريشا زادت تسعة أذرع وان أريد ان قصيا جعل عرضها

خمسة وعشرين ذراعا فالمعروف ان عرضها من الجهة الشرقية والغربية
لا ينقص عن ثلاثين في بناء الخليل ومن الجهة الشامية واليمانية لا يبلغ
خمسة وعشرين وكل من بني الكعبة بعد ابراهيم لم يبنها الا على قواعده
غير ان قريشا استقصرت عن عرضها فى الجهة الشرقية والغربية أذرعا
لامر اقتضاه الحال هذا معنى كلام الفاسى ثم على تقدير حمل الخمسة
والعشرين ذراعا في بناء قصي على انه ارتفاع البيت فى السماء وان كان
يخالف المشهور فليس فيه دلالة لما رواه الازرق لنقصه ذراعين فيكون
مانقله الازرقى مجرد رواية لم يعضدها شيء فلا يعول عليه والله الموفق
وروى ان أبا وهب المخزومى قال لقريش عند بناء البيت لا تدخلوا فيه
من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيه مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد
من الناس فلهذا قصرت بهم النفقة فنقصوا بناء الكعبة عن قواعد
ابراهيم والله أعلم

﴿ وأما سبب بناء ابن الزبير رضى الله عنهما ﴾ فهو ان الحصين
ابن نمير لما قدم مكة ومعه الجيش من قبل يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير
جمع ابن الزبير أصحابه فتحصن بهم فى المسجد الحرام حول الكعبة ونصب
خياما يستظلون فيها من الشمس وكان الحصين قد نصب المنجنيق على أخشبي
مكة وهما أبو قبيس والاحمر الذى يقابله وصار يرمى به على ابن الزبير
وأصحابه فتصيب الاحجار الكعبة فوهنت لذلك وتخرقت كسوتها عليها
وصارت كانها جيوب النساء ثم ان رجلا من أصحاب ابن الزبير أوقد
نارا فى بعض تلك الخيام مما يلى الصفا بين الركن الاسود واليماني

والمسجد يومئذ صغير وكانت في ذلك اليوم رياح شديدة والكعبة اذ ذاك مبنية بناء قريش مدماك من ساج ومدماك من حجارة فطارت الريح بشرارة من تلك النار فتعلقت بكسوة الكعبة فاحترقت واحترق الساج الذي بين البناء فازداد تصدع البيت وضعفت جدرانه وتصدع الحجر الاسود أيضا حتى ربطه ابن الزبير بعد ذلك بالفضة ففزع لذلك أهل مكة وأهل الشام أعني الحصين وجماعته وعن الفاكهي ان سبب حريق البيت انما كان من بعض أهل الشام أحرق على باب بني جمح وفي المسجد يومئذ خيام فمشى الحريق حتى أخذ في البيت فظن الفريقان انهم هالكون قال الجد رحمه الله قلت وهذا يخالف ما ذكر من ان السبب في ذلك انما هو من بعض أصحاب ابن الزبير ولعل ماذكره الفاكهي أصوب على انه يمكن الجمع بوقوع كل من ذلك فيكون السبب مركبا والله أعلم انتهى بمعناه

﴿ فائدة ﴾ أخرج الازرقي عن محمد بن الحنفية انه قال أول ماتكلم في القدر حين احترقت الكعبة فقال رجل احترقت ثياب الكعبة وهذا من قدر الله وقال آخر ماقدر الله هذا ثم جاء نعي يزيد بعد ذلك بتسعة وعشرين يوما والحصين مستمر على حصار ابن الزبير فارسل ابن الزبير الى الحصين جماعة من قريش فكلموه وعظموا عليه ما أصاب الكعبة وقالوا له ان هذا من رميكم لها فانكر ذلك ثم ولى راجعا الى الشام فدعا ابن الزبير حينئذ وجوه الناس واستشارهم في هدم الكعبة فاشار عليه القليل من الناس بذلك وأبى الكثير وكان أشدهم أباعبد الله بن

عباس وقال دعها على ما أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها فلا تزال تهدم وتبنى فيتهاون الناس بحرمتها ولكن ارقعها فقال ابن الزبير والله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه فكيف أرقع بيت الله واستقر رأيه على هدمها رجاء ان يكون هو الذى يردها على قواعد الخليل صلوات الله عليه لقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها لو لا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين وفي رواية حديث عهدهم بكفر

﴿ نكتة ﴾ اعلم ان للمبتدأ الواقع بعد لولا ثلاثة أحوال مخبر عنه بكون غير مقيد ومخبر عنه بكون مقيد لا يدرك معناه عند حذفه ومخبر عنه بكون يدرك معناه عند حذفه فمن الثانى قوله صلى الله عليه وسلم لو لا قومك حديثو عهد الحديث ولولا زيد غائب لم أزرك فالخبر فى هذا النوع واجب الثبوت بعد لولا لانه لو اقتصر فى هذا الحديث على المبتدأ لصار المراد لولا قومك على كل حال من أحوالهم لنقضت الكعبة وهوخلاف المقصود اذ من أحوالهم بعدعهدهم بالكفرفيما يستقبل وفى هذاالحال لا مانع من نقض الكعبة و بنائها على الوجه المذكور وقد ذكره ابن مالك في شواهده على صحيح البخارى بابسط من هذا فراجعه ان أردته ثم ان ابن الزبير رضي الله عنه أمر بهدم الكعبة وكان ذلك سنة أربع وستين من الهجرة في يوم السبت النصف من جمادى الآخرة أخرجه الازرقي وقيل سنة خمس وستين فلم يجترئ على ذلك أحد وخرج أهل مكة الى منى وأقاموا بها ثلاثا خوفا ان ينزل عليهم عذاب بسبب ذلك

وخرج عبد الله بن عباس الى الطائف فلما رأى ذلك ابن الزبير علاها بنفسه وأخذ المعول وجعل يهدمها فلما رأوا انه لم يصبه شيء صعدوا معه وهدموا وأرقى ابن الزبير عبيدا من الحبش يهدمونها رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشي الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة

﴿ لطيفة ﴾ قال بعض العلماء انما صغر ذو السويقتين لان فى سيقان الحبشة دقة وحموشة أى بالحاء المهملة والشين المعجمة قال فى الصحاح رجل أحمش الساقين دقيقهما (أقول) فعلى هذا يكون العطف تفسيريا انتهى قال الجد رحمه الله فان قلت هذا الحديث ظاهره معارض لقوله تعالى أو لم يروا انا جعلنا حرماً آمناً ولان الله تعالى حبس عن مكة الفيل ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة ولم تكن اذ ذاك قبلة فكيف يسلط عليها الحبشة بعد ان صارت قبلة للمسلمين قلت (الجواب) ان ذلك محمول على وقوعه فى آخر الزمان قريب من قيام الساعة حيث لا يبقى فى الارض قرآن ولا ايمان انتهى بمعناه (أقول) ويؤيده ما روى عن على بن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال قال الله تعالى اذا أردت ان أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربت ثم أخرب الدنيا على أثره انتهى قال شيخ الاسلام فى فتح البارى وما وقع قبل ذلك فيه من القتال وغزو أهل الشام له في زمن يزيد بن معاوية ثم من بعده في وقائع كثيرة من أعظمها وقعة القرامطة كل ذلك لا يعارض الآية أعنى قوله أو لم يروا لان ذلك انما وقع بايدي المسلمين فهو مطابق لقوله

صلى الله عليه وسلم ولن يستحل هذا البيت الا أهله وليس في الآية ما يدل على استمرار الامن المذكور فيها انتهى وقال الزركشي والحق في الجواب انه لا يلزم من قوله حرما آمنا وجود ذلك فى كل الاوقات فلا يعارضه ارتفاع هذا المعنى فى وقت آخر فان قيل قد قال صلى الله عليه وسلم انى أحلت لى مكة ساعة من نهار ثم عادت حرمتها الى يوم القيامة قلنا اما الحكم بالحرمة والامن فلم يرتفع الى يوم القيامة وأما وقوع الخوف فيها وترك حرمتها فقد وجد ذلك فى أيام يزيد وغيرها انتهى وعن الحليمى من الشافعية ان تخريب الحبشة للبيت يكون فى زمن عيسى عليه السلام والصحيح ان ذلك بعد موته ولما انتهى ابن الزبير رضى الله عنه من هدم البيت حفر عن الاساس من نحو الحجر بكسر الحاء ليقف على قواعد ابراهيم فلم يصب شيئاً فشق عليه ذلك فبالغ فى الحفر ونزل بنفسه فكشفوا له عن قواعد ابراهيم فاذا هى صخر أمثال الخلف من الابل بالخاء المعجمة واللام وعن عطاء انه قال كنت فى الامناء الذين جمعوا على حفره فحفروا قامة ونصفاً فهجموا على حجارة لها عروق تتصل بزرد عروق المروة فحركوها بالعتل فتحركت قواعد البيت وارتجت مكة باسرها ورأوه بنياناً مربوطا بعضه ببعض فحمد الله ابن الزبير وكبر ثم أحضر الناس وأمرهم بالاشراف فنزلوا وشاهدوا ذلك فشرع حينئذ في أمر البناء وأراد أن يبنيها بالورس فقيل له ان الورس يذهب ولكن ابنها بالقصة وأخبر أن قصة صفا أجود فارسل باربعمائة دينار يشترى بها ذلك وفى الزهر الباسم انه بناها بالرصاص المذاب بالورس ثم انه

سأل رجالا من أهل العلم بمكة من أين أخذت قريش حجارتها فاخبروه بمقلعها فنقل ما احتاج اليه وعزل من حجارة البيت مايصلح أن يعاد فيه ثم بنى على تلك القواعد بعد ان جعل أعمدة من الخشب وستر عليها الستور ليطوف الناس من ورائها ويصلون اليها حتى ارتفع البناء وأخرج الازرقي ان البناء لما صار ثمانية عشر ذراعا في السماء وكان هذا طولها يوم هدمها قصرت حينئذ لاجل الزيادة التي زادها من الحجر فلم يعجب ابن الزبير ذلك اذ صارت عريضة لاطول لها فقال قد ما كانت قبل قريش تسعة أذرع وزادت قريش تسعة أذرع وأنا أزيد تسعة أخرى فبناها سبعة وعشرين ذراعا وعرض الجدار ذراعان وجعل فيها ثلاث دعائم في صف واحد وكانت قريش جعلت فيها ست دعائم في صفين وأرسل الى صنعاء فأتي برخام منها يقال له البلق فجعله فى الروزان الذي فى سقفها للضوء انتهى (أقول) هذا يخالف ما تقدم عن الازرقى من ان طول البيت كان سبعة وعشرين ذراعا فاقتصرت قريش الخ كما سبق الكلام فيه انتهى وجعل ابن الزبير للبيت بابين متقابلين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه وفى شفاء الغرام انهما لاصقان بالارض قال الحافظ ابن حجر جميع الروايات التى جمعتها في هذه القصة متفقة على ان ابن الزبير جعل الباب بالارض ومقتضاه ان يكون الباب الذى زاده على سمته وقد ذكر الازرقي ان جملة ما غيره الحجاج الجدار الذى من جهة الحجر والباب المسدود الذى في الجانب الغربي عن يمين الركن اليماني وما تحت عتبة الباب الاصلى وهو أربعة أذرع وشبر وهذا موافق لما في الرواية المذكورة لكن

المشاهد الآن في ظهر الكعبة باب مسدود يقابل الباب الاصلي وهو في الارتفاع مثله ومقتضاه أن يكون الباب الذي في عهد ابن الزبير لم يكن لاصقاً بالارض فيحتمل أن يكون لاصقاً كما صرحت به الروايات لكن الحجاج لما غيره رفعه ورفع الباب الذي يقابله أيضاً ثم بدا له فسد الباب المجدد لكن لم أر النقل بذلك صريحاً ثم قال وذكر الفاكهي انه شاهد هذا الباب المسدود من داخل الكعبة في سنة ثلاث وستين ومائتين فاذا هو مقابل باب الكعبة وهو بقدره في الطول والعرض وفي أعلاه كلاليب ثلاثة كما في الباب الموجود سواء والله أعلم انتهى قال الجد رحمه الله قوله ويحتمل أن يكون لاصقاً كما صرحت به الرواة فيه بعد اذ مشاهدة البناء من أسفل الباب وارتباط بعضه ببعض يقضي بخلاف ذلك والله أعلم انتهي (أقول) وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعا واحدا فجعله مصراعين ولما انتهى الى موضع الحجر الاسود تحرى غفلة الناس نصف النهار في يوم صائف وجاء بالحجر هو وولده وجبير ابن شيبة ووضعوه بايديهم كذا في الزهر الباسم وقيل بل الحجبة تواعدوا لوضع الركن فلما دخل ابن الزبير في صلاة الظهر خرجوا به فوضعوه فادركهم حمزة بن عبد الله بن الزبير فاخذ بطرف الثوب فرفعه معهم وقيل بل وضعه ابن الزبير بنفسه وشده بالفضة وقيل وضعه عباد بن عبد الله بن الزبير وجبير بن شيبة أمرهما عبد الله بن الزبير أن يجعلا الركن في ثوب ويخرجا به وهو يصلي بالناس الظهر على غفلة من الناس لئلا يعلموا بذلك فيتنافسوا في وضعه أخرجه الازرقي وقيل وضعه

حمزة ابنه وحده بامر أبيه نقله السهيلي بالصواب وكان الحجر قد تصدع
من الحريق وانفرق ثلاث فرق وانشظت منه شظية كانت عند بعض
آل شيبة بعد الحريق بدهر طويل فشده ابن الزبير بالفضة الا تلك
الشظية وموضعها بين في أعلى الركن ثم تزلزلت تلك الفضة بعد ذلك
وتقلقلت حتى خيف على الحجر فلما اعتمر هارون الرشيد في سنة تسع
وثمانين ومائة أمر بنقب الاحجار التي فوق الحجر والتي تحته فنقبت
بالماس من فوقها ومن تحتها ثم أفرغ فيها الفضة ولما فرغ ابن الزبير
رضى الله عنه من بناء الكعبة وذلك في سابع عشرين من رجب من سنة
خمس وستين خلق جوفها بالعنبر والمسك ولطخ جدرانها من خارج بذلك
من أعلاها الى أسفلها وسترها بالديباج وقيل بالقباطي ومافضل من
الحجارة فرشها حول البيت وقال من كانت لي عليه طاعة فليعتمر من
التنعيم شكرا لله عز وجل ومن قدر أن ينحر بدنة فليفعل ومن لم يقدر
على بدنة فليذبح شاة ومن لم يقدر فليتصدق بقدر طوله ثم خرج ماشيا
حافيا وخرج معه رجال من قريش مشاة حفاة عبد الله بن صفوان وعبيد
ابن عمير فاحرم من أكمة امام مسجد عائشة رضى الله عنها بمقدار غلوة
تقارب المسجد المنسوب لعلي وجعل طريقه على ثنية الحجون ودخل
من أعلى مكة وطاف بالبيت واستلم الاركان الاربعة وقال انما كان
ترك استلام الركنين يعنى الشامي والغربي لان البيت لم يكن تاماً يعنى
على قواعد ابراهيم وصارت هذه العمرة سنة عند أهل مكة في هذا
اليوم يعتمرونها في كل سنة الى يومنا هذا وأهدى ابن الزبير في تلك

العمرة مائة بدنة نحرها فى جهة التنعيم و بعض طرق الحل ولم يبق من أشراف مكة وذوى الاستطاعة بها الأمن أهدى وأقاموا أياما يتطاعمون ويتهادون شكرا لله تعالى على الاعانة والتيسير على بناء بيته الحرام بالصفة التى كان عليها مدة الخليل عليه السلام والله أعلم

﴿ وأما سبب بناء الحجاج وتغييره ﴾ بعض ماصنعه ابن الزبير فهو ان ابن الزبير رضى الله عنه لما قتل كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يخبره ان ابن الزبير قد زاد فى الكعبة ماليس منها وأحدث فيها بابا آخر واستأذنه فى رد ذلك على ما كان عليه من بناء قريش فكتب اليه عبد الملك لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء اما مازاد في طوله فأخره وأما ما زاد فيه من الحجر بكسر الحاء فرده الى بنائه وسد بابه الذى فتحه يعني الغربي فبادر الحجاج عند ذلك ونقض الشق الذى يلى الحجر بالكسر أيضا وبناه ورفع بابها وسدالباب الغربي وقدروى غيرواحدمن أهل العلم ان عبدالملك ندم على اذنه للحجاج في ذلك ولعن الحجاج لما أخبره الحارث أن عبد الله بن أبي رفيعة سمع الحديث من عائشة رضى الله عنها الذى اعتمده ابن الزبير فيما فعله فى الكعبة وهو قوله صلى الله عليه وسلم لولا قومك الخ وكل شيء فيها الآن بناء ابن الزبير ماعدا الجدار الذي فى الحجر وسد الباب الغربى وتغيير ما تحت عتبة الباب الشرقى والدرجة التى فى باطنها وروى ان هرون الرشيد أو أباه المهدى أو جده المنصور سأل مالك بن أنس رضى الله عنه فى هدمها وردها الى بناء ابن الزبير للحديث المذكور فقال مالك نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل

هذا البيت ملعبة للملوك لا يشاء أحد الا نقضه و بناه فتذهب هيبته من صدور الناس قال الفاسي وكأن مالكا لحظ في ذلك كون درء المفاسد أولى من جلب المصالح وهي قاعدة مشهوره معتمدة انتهى والله أعلم

﴿ فصل في ذكر كنز الكعبة والحكم فيه ﴾

روى البخارى عن أبي وائل قال جلست مع شيبة يعني ابن عثمان على الكرسى في الكعبة فقال لقد جلس هذا المجلس عمر ثم قال لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمته قلت ان صاحبيك لم يفعلا قال يعني عمرهما المرآن اقتدى بهما (أقول) جلوس شيبة على الكرسى في الكعبة قال المحب الطبرى لما أخبر شيبة ان النبي صلي الله عليه وسلم وأبا بكر لم يتعرضا للمال رأي عمر ان ذلك هو الصواب وكانه رأى حينئذ ان ماجعل في الكعبة يجرى مجرى الوقف عليها فلا يجوز تغييره أو رأى ترك ذلك تورعا حين أخبر انه تركه صاحباه مع رؤيته جواز انفاقه في سبيل الله لان صاحبيه انما تركاه للعذر الذي تضمنه حديث عائشة رضى الله عنها انتهى وقال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله يحتمل أن يكون تركه صلى الله عليه وسلم لذلك رعاية لقلوب قريش كما ترك بناء الكعبة على قواعد بناء ابراهيم ويؤيده ماوقع عند مسلم في بعض طرق الحديث ولأ نفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالارض وهذا التعليل هو المعتمد عليه فانفاقه جائز كما جاز لابن الزبير بناؤها على

قواعد ابراهيم لزوال سبب الامتناع انتهى

﴿ فائدة ﴾ أخرج الازرقي في تاريخه ان النبي صلى الله عليه وسلم وجد في الجب الذى في الكعبة سبعين الف أوقية من ذهب مما كان يهدى للبيت وان على بن أبي طالب رضى الله عنه قال يارسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يحركه ثم ذكر لابي بكر فلم يحركه وأخرج أيضا ان الحسين بن الحسين العلوى عمد الى خزانة الكعبة في سنة مائتين من الفتنة حين أخذ مكة فاخذ مما فيها مالا عظيما وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال نحن أحق به نستعين به على حربنا ويروى ان مال الكعبة كان يدعى الابرق ولم يخالط مالا قط الا محق وأدنى ما يصيب آخذه ان يشدد عليه عند الموت

﴿ فروع الاول ﴾ تختص الكعبة الشريفة بما يهدى اليها وما ينذرلها من الاموال وامتناع صرف شيء منها الى الفقراء والمصالح الا ان يعرض لها نفسها عمارة فيصرف فيه والا فلا يغير شيء عن وجهه نبه عليه الزركشي من الشافعية (الثاني) اذا نذر شمعا يشعله فيها أو زيتا ونحوه وضعه في مصابيحها وان كان لا يستعمل فيها بيع وصرف الثمن في مصالحها صرح به الماوردى (الثالث) نقل الجد في منسكه مسألة تعم بها البلوى فقال شخص نذر ان يوقد شمعا على باب الكعبة فارسل به مع غيره ليوقده فجاء المرسل به وأوقده على الباب قليلا فجاء الحجبة فاخذوه ومنعوا استمرار وقوده وقالوا هذه عادتنا مع كل أحد وربما سرقه نوابهم على غفلة بعد ايقاده قليلا فهل تبرأ ذمة الناذر والمرسل معه

أو ذمة الناذر دون المرسل معه أم كيف الحال (الجواب) الناذر خاص عن عهدة المنذور لبلوغه محله وكون الحجبة يأخذونه أمر آخر لا يتعلق ببقاء النذر في ذمة الناذر ولا المرسل معه وان كان على الحجبة ابقاؤه موقودا الى نفاذه ولاخفاء ان الناذر نفسه لوحضر بالشمع فكان ما تقدم كان الحكم كذلك ومحل صحة هذا النذر من أصله ان ينتفع بهذا الموقود ولو على ندور مصل هناك أو غيره والا فان كان المقصد بالنذر وهو الغالب تعظيم البقعة ففيه وقفة ومقتضى كلام النووى عدم الصحة وصرح به الاذرعى وتبعه الزركشى انتهى (أقول) مقتضى مذهبنا ان المرسل بالشمع لا يخلص عن العهدة بمجرد ايصال الشمع الى المحل بل ولا بوقوده قليلا ما لم يوقد ثلثاه فاكثر وأما الحجبة فلهم أخذه بغير اذن المرسل اذ جرى العرف بذلك بعد ان وقد معظمه نص عليه في القنية من كتب المذهب انتهي (الرابع) تصح صلاة الفرض والنفل عندنا في الكعبة من غير كراهة بجماعة وغيرها وتجوز فوق سطحها من غير سائر مع الكراهة ومذهب الامام الشافعى رحمه الله كمذهبنا في جواز الفرض والنفل في باطن الكعبة بل هو الافضل عنده لكن يشترط فى الفريضة ان لا يرجو المصلى جماعة خارج الكعبة قال الشافعي رحمه الله ما تفوتنى فريضة فى جماعة فاصليها في موضع أحب الى من بطن البيت لان البقاع اذا فضلت بقربها منه فبطنها أفضل منها وأما صحة الصلاة على سطحها فيشترط أن يكون أمام المصلى شاخص قدر ثلثى ذراع تقريبا من جدار الكعبة وهو الصحيح من مذهبه ومذهب الامام

مالك رضي الله عنه عدم جواز الفريضة في جوف البيت وكذلك السنن المؤكدة كالعيدين والوتر وركعتي الفجر وما أشبهها على مشهور مذهبه وأما النفل فيجوز وأما الصلاة على سطحها فالمشهور عنده المنع ومذهب الامام أحمد رضي الله عنه ان الصلاة الفريضة في الكعبة لا تصح وفى النافلة خلاف بين أصحابه والا صح الصحة وكذا الحكم فى السطح عندهم في الفريضة والنافلة

﴿ فصل في الكلام على دخوله صلى الله عليه وسلم ﴾
الكعبة الشريفة بعد الهجرة وصلاته فيها
وبيان مصلاه منها وعدم دخوله

روى ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة يوم الفتح نزل بفناء الكعبة وبعث الى عثمان بن طلحة فجاء بالمفتاح وفتح له الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فاغلقها عليهم ومكث فيها ما شاء ثم خرج قال ابن عمر رضي الله عنهما فسألت بلالا حين خرج ماذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى ركعتين وفي البخاري عن ابن عمر أيضاً انه كان اذا دخل الكعبة مشى قبل الوجه حين يدخل ويجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار الذى قبل وجهه قريب من ثلاثة أذرع فيصلى توخى المكان الذى

أخبره بلال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه وقد أوضح ابن عمر رضى الله عنه موضع مصلاه صلى الله عليه وسلم فى الحديث ايضاحا شافيا وأخرج الازرقي ان معاوية لما دخل الكعبة استدعى ابن عمر وهو فيها فقال له يا أبا عبد الرحمن أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قال بين العمودين المقدمين اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة ﴿ فوائد الاولى ﴾ قال الحافظ أبو الفضل العراقي وينبغى المصلى ان لا يجعل بينه وبين الجدار أقل من ثلاثة أذرع فان كان الواقع انه ثلاثة فقد صادف مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان ذراعين فقد وقع وجه المصلى وذراعاه فى مكان قدمى النبى صلى الله عليه وسلم فهذا أولى من التقدم عنه والله أعلم انتهي (الثانية) ادخال النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الثلاثة معه لمعان تخص كل واحد منهم

﴿ أما دخول عثمان بن طلحة ﴾ فلئلا يتوهم الناس انه عزله أولانه كان يقوم بفتح الباب واغلاقه

﴿ وأما بلال ﴾ فلكونه مؤذنه وخادم أمر صلاته

﴿ وأما أسامة ﴾ فلانه كان يتولى خدمة ما يحتاج اليه (الثالثة) ان الحكمة فى غلق عثمان الباب عليهم لامرين لئلا يزدحم الناس عليه صلى الله عليه وسلم ولئلا يظنوا ان الصلاة فيه سنة قاله الكرماني وهذا الدخول الذى وقع فى يوم الفتح هو أول دخوله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ولا خلاف فيه بين العلماء كما ثبت ذلك عن ابن عمر في الصحيحين وغيرهما وقيل انه دخل البيت بعد ذلك ثلاث مرات أخر الاولى

في ثاني الفتح لحديث أخرجه الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه في مسنده عن أسامة رضى الله عنه وفيه انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين ولم يصل يوم الفتح الثانية في عمرة القضية لما رواه المحب الطبرى في القرى عن عروة بن الزبير الثالثة فى حجة الوداع لما أخرجه أبو داود في سننه عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضى الله عنها وقد ضعفها العلماء وبين الفاسى رحمه الله ما فيها من الوهن والضعف ونقل الازرقى أيضاً انه صلى الله عليه وسلم انما دخل الكعبة مرة واحدة عام الفتح ثم حج ولم يدخلها انتهى والله أعلم وهذا يدل على عدم دخوله فى المرات الثلاثة

﴿ استطراد مفيد ﴾ أجمع العلماء وأصحاب السير والمحدثون ان حجة الوداع كانت وقفتها الجمعة بلا ريب ونقل النووى فى الروضة ان وفاة النبى صلى الله عليه وسلم كانت ضحوة يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلت من ربيع الاول كذا نقله ابن سيد الناس وغيره من أصحاب السير وهو مذهب الجمهور الراجح واعترضه بعض العلماء بانه لا يستقيم ان تكون وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الاول حيث كانت الوقفة فى عام حجة الوداع [1] سواء تمت الشهور الثلاثة التى بقيت من عمره صلى الله عليه وسلم أم نقصت أم تم بعضها لانها ان تمت كان الثاني عشر من ربيع الاحد لانه يكون أول ذى الحجة الخميس وآخره الجمعة وأول المحرم السبت وآخره الاحد وأول صفر الاثنين وآخره

(١) الظاهر الجمعة

الثلاثاء وأول ربيع الاربعاء وحينئذ يكون ثاني عشره الاحد وان نقص شهر واحد كان أول ربيع الثلاثاء فيكون ثاني عشره السبت وان نقص شهران كان أول ربيع الاثنين وثاني عشره الجمعة وان نقصت الثلاثة كان أول ربيع الاحد وثانى عشره الجمعة قال العلامة ابن العماد وهذا الاعتراض ساقط من أصله والصواب ماقاله الجمهور وصاحب الروضة وذلك ان التاريخ انما يقع برؤية الهلال والاهلة تختلف بحسب اختلاف المطالع وكل قطر يؤرخون ويصومون برؤيتهم ولا يعتبرون رؤية من بعدعنهم كما قاله الاصحاب واتفقوا عليه فى كتاب الصيام فحينئذ فأهل مكة رأوا هلال الحجة ليلة الخيس ووقفوا الجمعة وأهل المدينة يجوز انهم رأوه ليلة الجمعة لان مطلعهم مختلف مع أهل مكة فاذا تمت الشهور كان أول ذى الحجة الجمعة وآخره السبت وكان أول ربيع الاول الخيس فيكون ثانى عشره الاثنين وهذا الجواب صحيح ويتصور أيضاً بغير هذا والعجب ممن يقدم على تغليط جمهور العلماء ويغفل عن قاعدة التاريخ وأقوال العلماء فى اختلاف المطالع ورؤية الاهلة انتهى ماقاله ابن العماد ملخصا من سيرته وهو قول عظيم وبحث مستقيم فلهذا أثبته والله أعلم

﴿وقد استحب الائمة الاربعة رضى الله عنهم﴾ دخول الكعبة. واستحسن مالك كثرة دخولها ونقل عن بعض العلماء عدم استحباب ذلك مستدلا بما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندى وهو قرير العين وطيب النفس ثم

رجع الى وهو حزين فسألته فقال اني دخلت الكعبة ووددت أني لم أكن فعلت اني أخاف أن أكون أتعبت أمتى من بعدى أخرجه أحمد والترمذي ولا دلالة فيه على ذلك بل دخوله صلى الله عليه وسلم دليل الاستحباب وتمنيه عدم الدخول قد علله عليه السلام بالشفقة على أمته ولا يرفع ذلك حكم الاستحباب قاله المحب الطبري (اعلم) ان لدخول الكعبة آدابا كثيرة (منها) الاغتسال كما روي عن بعض العلماء (ومنها) نزع الخف والنعل لما فى سنن سعيد بن منصور عن عطاء ومجاهد وكرهه مالك رضى الله عنه وهو مذهب أحمد رضى الله عنه (أقول) مقتضى مذهبنا عدم كراهة ذلك قياساً على الصلاة فى الخف والنعل قال فى النصاب من كتب المذهب المختار ان الصلاة فى الخفاف والنعل أقرب الى حسن الادب انتهى والله الموفق

(فائدة) أخرج الازرقى ان قريشاً لما فرغت من بناء الكعبة كان أول من خلع الخف والنعل ولم يدخل بهما الكعبة اعظاما لها الوليد ابن المغيرة فجرى ذلك سنة والوليد هذا هو جدنا لان نسب بنى ظهيرة متصل به وكان اسلامه[1] (ومنها) أن لا يرفع بصره الى السقف لحديث عائشة رضى الله عنها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها أخرجه البيهقى في سننه والحاكم فى المستدرك قال المحب الطبرى وانما كره ذلك لانه يولد الغفلة واللهو عن القصد (ومنها) ان لا يزاحم زحمة شديدة يتأذى بها

---

(١) بياض بالأصل

أو يؤذى نص عليه النووى وغيره (ومنها) أن لا يكلم أحدا الا لضرورة أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر (ومنها) أن يلزم قلبه الخشوع والخضوع وعينيه الدموع ان استطاع ذلك (ومنها) ان لا يسأل مخلوقا لما روي عن سفيان بن عيينة انه قال لما دخل هشام بن عبد الملك الكعبة وجد سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال سلنى حاجتك فقال انى أستحي من الله أن أسأل فى بيته غيره وذكر الفاكهي ان التارك لسؤال هشام انما هو منصور الحجبي والله أعلم

﴿ فصل فى ثواب دخول الكعبة الشريفة ﴾

وفيما يطلب من الامور التى فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما ثواب دخولها فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل البيت فصلى فيه دخل فى حسنة وخرج من سيئة مغفورا له ومثله عن ابن عمر رضى الله عنهما وفى رسالة الحسن البصرى عنه صلى الله عليه وسلم من دخل الكعبة دخل فى رحمة الله عز وجل وفي حمى الله عز وجل وفى أمن الله عز وجل ومن خرج خرج مغفورا له وفى رواية عن مجاهد انه زاد يخرج معصوما فيما بقى نقله ابن جماعة ثم قال يحتمل انه يريد بذلك العصمة من الكفر فتكون فيه البشارة لمن دخله بالموت على الاسلام وعن عطاء رضى الله عنه قال لان أصلى ركعتين فى الكعبة أحب الى من أن أصلى أربعا فى المسجد الحرام وعن الحسن انه قال الصلاة فى الكعبة تعدل

مائة الف صلاة أخرجهما الفاكهى وأخرج الازرقى عن موسى بن عقبة قال طفت مع سالم بن عبد الله بن عمر خمسة أسابيع كما طفنا سبعا دخل الكعبة فصلى فيها ركعتين وما أحسن ما أنشده الحافظ أبو طاهر السلفى لنفسه بعد ان دخل الكعبة

أبعد دخول البيت والله ضامن　　يبقى قبيح والخطايا الكوامن
فحاشا وكلا بل تسامح كلها　　ويرجع كل وهو جذلان آمن

﴿ وأما ما يطلب فى الكعبة من الامور التى فعلها رسول الله ﴾ صلى الله عليه وسلم فالتكبير والتسبيح والتهليل والتحميد والثناء على الله تعالى والدعاء والاستغفار للاحاديث الدالة على ذلك فى الصحيحين وغيرهما وفيهما أيضا عن أسامة انه صلى الله عليه وسلم حين خرج من البيت ركع قبل البيت ركعتين وقال هذه القبلة وقبل بضم القاف والباء الموحدة ويجوز اسكان الموحدة وهو ما استقبلك منها وفى معنى قوله صلى الله عليه وسلم هذه القبلة ثلاث احتمالات (الاول) ان أمر القبلة قد استقر على استقبال هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم وصلوا اليه أبدا (والثاني) ان معنى ذلك انه صلى الله عليه وسلم علمهم سنة موقف الامام وانه يقف فى وجه الكعبة دون أركانها وجوانبها وان كانت الصلاة في جميع جهاتها مجزئة قالهما أبو سليمان الخطابى رحمه الله (الثالث) قاله النووى رحمه الله في شرح مسلم بعد ذكره للاحتمالين الاولين وهو ان معناه هذه الكعبة هى المسجد الحرام الذي أمرتم باستقباله لا كل الحرم ولا مكة ولا كل المسجد الذى حول الكعبة بل هي

الـكعبة نفسها فقط والله أعلم (أقول) قد ظهر لى احتمال آخر لم أر أحدا ذكره وهو انه يحتمل أن يكون المراد بقوله هذه القبلة التعظيم والتشريف والتأكيد لامرها والاشادة بذكرها على حد قوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه عند الحجر الاسود ههنا تسكب العبرات والله الموفق وروي انه صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت وقف عند كل ركن واستقبله بالتكبير والثناء والاستغفار وأخرج الفاكهى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا بماء فصبه على جسده قال الفاسى رحمه الله وهـذا غريب جدا والله أعلم بصحته ولا أعلم أحدا من أهل العلم قال باستحبابه انتهى (ومن الامور) التى صنعها النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة على ماقيل انه الصق بطنه وظهره بها واستحب ذلك الحافظ العراق ونقل الطبرى الكراهة فى ذلك والله تعالى أعلم

﴿ فائدة ﴾ ذكر ابن الصلاح رحمه الله في منسكه ان مما أحدثه بعض الفجرة فى جوف الكعبة بعد الستمائة بدعتين احداهمـا العروة الوثقى وذلك انهم عمدوا الى موضع عال داخل الـكعبة مقابل الداخل من بابها فسموه بالعروة الوثقى وأوقعوا فى العقول الضعيفة ان من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى فالجأهم ذلك الى أن يقاسوا فى الوصول الى ذلك المحل عناء وشدة بحيث يركب بعضهم بعضاً وربمـا صعدت الانثى فوق الذكر ولامست الرجال ولامسوها فيلحقهم بذلك أنواع الضرر دنيا ودينا الثانية ان فى وسط البيت مسمارا سموه سرة الدنيا وحملوا العامة على أن يكشف أحدهم سرته وينبطح على ذلك المسمار

فلا قوة الا بالله انتهى قال السيد الفاسى رحمه الله وهذان الامران لا أثر لهما الآن في الكعبة وكان زوال البدعة المسماة بالعروة الوثقى فى سنة احدى وسبعمائة بامر بعض العلماء الواردين فى السنة المذكورة انتهى ولم يذكروا زوال البدعة الاخرى متى كان (أقول) قول ابن الصلاح رحمه الله فيما تقدم وربما صعدت الانثى فوق الذكر فيه دلالة على دخول النساء والرجال اذ ذاك جميعاً وانما اختص النساء بانفرادهن فى الدخول بعد ذلك انتهى

الباب الرابع

﴿ فى الكلام على كسوة الكعبة الشريفة ﴾

زادها الله شرفاً وتطييبها وتحليتها ومعاليقها

روى الازرقى رحمه الله عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن سب أسعد الحميرى وهو تبع لانه أول من كسا الكعبة فى الجاهلية كما تقدم فكساها المسوح ثم الانطاع ثم الحصر ثم الوصائل وجعل لها بابا يغلق وفى ذلك يقول

وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء مقصبا وبرودا

وأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه اقليدا
وخرجنا منه نؤم سهيلا قد رفعنا لواءنا معقودا

ويروى انه لما كساها المسوح والانطاع انتفضت فازال ذلك عنها وكساها الخصف فانتفضت أيضاً فلما كساها الملاء والوصائل قبلتها (أقول) مقتضى ماروواه الازرقي من النهي عن سب تبع كونه كسا البيت وقد علمت فيما سبق من خبره انه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وانه كتب بذلك كتاباً وأودعه للعالم الذي أبرأه من علته وأوصاه أن يوصله الى النبي صلى الله عليه وسلم ان أدركه هو أو واحد من ولده وكان الامر كذلك وان الكتاب وصل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ عليه فقال مرحبا بالاخ الصالح فينبغى أن لا يسب تبع مطلقاً لانه من جملة المؤمنين والمؤمن لا يباح سبه وأيضاً قد تقدم ان تبع لما كسا البيت وخرج من مكة قصد المدينة المشرفة وقوله هنا في ثالث الابيات المنسوبة اليه وخرجنا منه نؤم سهيلا يدل علي خلاف ذلك والله أعلم بالحقائق انتهى وقيل ان اسماعيل عليه السلام أول من كسا الكعبة وكانت فى الجاهلية تكسى أكسية شتي ما بين وصائل وانطاع وكرار وخز ونمارق عراقية واذا خلق منها شيء أخلف مكانه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شيء من ذلك وكساها فى الاسلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الثياب اليمنية ثم كساها أبو بكر وعمر وعثمان ثم معاوية وابن الزبير ومن بعدهما ويقال ان أول من كسا البيت الديباج الحجاج وقيل يزيد بن معاوية وقيل ابن الزبير وقيل عبد الملك بن مروان وكانت الكعبة فيما مضى

انما تكسى يوم عاشوراء اذا ذهب آخر الحجاج حتى كانت دولة بنى هاشم فكانوا يعلقون عليها القميص من الديباج يوم التروية لكى يرى الناس ذلك عليها بهاء وجمالا فاذا كان يوم عاشوراء علقوا الازار وكان عمر رضى الله عنه يكسوها من بيت المال وكساها عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ما كان يجلل به بدنه من القباطي والحبرات والانماط وكان المأمون يكسوها ثلاث مرات فيكسوها الديباج الاحمر يوم التروية والقباطى يوم هلال رجب والديباج الابيض يوم سبع وعشرين من رمضان لاجل العيد والقباطي بفتح القاف جمع قبطية بضم القاف وهو ثوب رقيق أبيض من ثياب مصر كانه منسوب الى القبط والضم فيه من تغيير النسب والضم خاص بالثياب وأما في الناس فقبطى بكسر القاف لاغير والوصائل ثياب حمر مخططة يمانية والحبرات جمع حبرة وهو ما كان من البرود مخططاً أيضاً وهو من ثياب اليمن ويقال له برد حبرة وبرد حبر على الوصف وعلى الاضافة والعصب برود يمانية يعصب غزلها ويشد ثم يصبغ وهو على الوصف والاضافة أيضاً والانماط ضرب من البسط واحدها نمط وممن كسا البيت الصليحي صاحب اليمن ومكة وذلك في زمن الحاكم العبيدي والمستنصر العبيدى وكانت من الديباج الابيض وكساه أيضاً من ملوك العجم السلطان شاه رخ صاحب شيراز بعد مراسلته واستئذانه لملوك مصر وارسال الكسوة الى مصر ثم وصلت الى مكة صحبة الحاج وذلك سنة خمس وخمسين وثمانمائة وكساه أيضاً السلطان محمود بن سبكتكين

الديباج الاصفر وذلك فى سنة ستة وستين وأربعمائة

﴿ فوائد الاولى ﴾ كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينزع ثياب الكعبة في كل سنة فيقسمها على الحاج (الثانية) ذكر بعض العلماء حكمة حسنة فى سواد كسوة الكعبة فقال كأن البيت يشير الى أنه فقد أناسا كانوا حوله فلبس السواد حزنا عليهم (الثالثة) ممن كسا الكعبة من غير الملوك أم العباس بن عبد المطلب كستها الحرير وسبب ذلك انها أضلت العباس وهو صغير فنذرت ان وجدته أن تكسو الكعبة فوفت بذلك وهي أول عربية كسته الحرير ومنهم الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط بمكة كساها الحبرات وغيرها وكانت كسوته بثمانية عشر الف دينار وقيل بأربعة آلاف دينار وذلك في سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة ورباطه المذكور يعرف الآن برباط ناظر الخاص على يمين الخارج من باب الحزورة أحد أبواب المسجد الحرام ويقال انعدنان كساها أيضاً كذلك وخالدبنجعفر بن كلاب (الرابعة) نقل القاضى تقى الدين رحمه الله ان كسوة البيت فيما مضى كان يطلع بها أمير الحاج معه الى الموقف بعرفة فاذا كان يوم النحر يأتي بها من منى الى مكة لاجل اللبس ثم صار أمراء الحاج بعد ذلك يضعونها فى الكعبة قبل الصعود الى الحج وموجبه ان بعضها كان سرق في بعض السنين من محلة أمير الحاج بمنى ثم عاد اليه بمال بذله انتهى بمعناه (الخامسة) أول من كسا الكعبة الديباج الاسود الناصر العباسى فاستمر ذلك الى يومنا هذا ولم تزل الملوك يتداولون كسوتها الى ان وقف عليها الصالح

اسماعيل بن الناصر بن قلاوون قرية من قرى نواحي القاهرة يقال لها يسوس وذلك في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وكان الناصر العباسى كسا البيت ديباجا أخضر قبل الاسود (السادسة) نقل الفاسى رحمه الله ان أمراء مكة كانوا يأخذون من السدنة ستارة باب الكعبة في كل سنة مع جانب كبير من كسوتها أو ستة آلاف درهم كاملية عوضاً عن ذلك الى ان رفع ذلك عنهم السيد عنان بن مغامس لما ولى أمر مكة فى آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وتبعه أمراء مكة في الغالب ثم ان السيد حسن بن عجلان بعد سنين من ولايته صار يأخذ منهم الستارة وكسوة المقام ويهديهما لمن يريد من الملوك وغيرهم انتهى وقد استمر الامر كذلك من أمراء مكة بعد السيد حسن مع الحجبة الى يومنا هـذا وأخرج الازرقى رحمه الله عن شيبة بن عثمان انه دخل على عائشة رضى الله عنها فقال يا أم المؤمنين ان الكعبة تجتمع عليها الثياب فتكثر فنعمد الى بئر فنحفرها وندفن فيها ثياب الكعبة لئلا يلبسها الجنب والحائض فقالت عائشة رضى الله عنها ما أصبت وبئس ماصنعت ان ثياب الكعبة اذا نزعت عنها لا يضرها من لبسها من حائض أو جنب ولكن بعها وتصدق بثمنها ونقل جواز البيع عن ابن عباس أيضاً

﴿ فروع الاول ﴾ يجوز بيع ثياب الكعبة عندنا اذا استغنت عنه وقال به جماعة من فقهاء الشافعية وغيرهم ويجوز الشراء من بنى شيبة لان الامر مفوض اليهم من قبل الامام نص عليه الطرسوسى من أصحابنا فى شرح منظومته ووافقه السبكي من الشافعية ثم قال وعليه عمل

الناس والمنقول عن ابن الصلاح ان الامر فيها الى الامام يصرفها في بعض مصارف بيت المال بيعاً واعطاء واستدل بما تقدم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي قواعد صلاح الدين خليل بن كليكلندى انه لا يتردد فى جواز ذلك الآن لاجل وقف الامام ضيعة معينة على ان يصرف ريعها فى كسوة الكعبة والوقف بعد استقرار هذه العادة والعلم بها فينزل لفظ الواقف عليها واستحسن النووى الجواز أيضاً قال الجد رحمه الله هذا في الستور الظاهرة وأما الستور الداخلة فلا تزال بل تبقى على ماهي عليه لان الكلام انما هو في الستور التى جرت العادة ان تغير في كل عام فلو قدر جريان العادة بمثل ذلك فى الستور الباطنة سلك بها مسلك الظاهرة انتهى (الثاني) لونذر شخص أن يكسو البيت صح نذره وستره ابالحرير أو بغيره لان ذلك من القربات ذكره النووى رحمه الله (الثالث) لو سرق انسان شيئاً من ستر الكعبة أو من فضة بابها لا يقطع عندنا لعدم الجواز والله أعلم

﴿ ذكر تطييب الكعبة المشرفة ﴾

روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت طيبوا البيت فان ذلك من تطهيره ولان أطيب الكعبة أحب الى من أن أهدى لها ذهبا وفضة أخرجه الازرقى وقد تقدم ان ابن الزبير لما فرغ من بناء الكعبة خلق باطنها وظاهرها بالعنبر والمسك من أعلاها الى أسفلها ثم كساها وكان يجمرها في كل يوم برطل من الطيب وفي يوم الجمعة برطلين

وأجرى لها معاوية الطيب لكل صلاة فكان يبعث به فى الموسم وفي رجب وأخدمها عبيدا بعث بهم اليها ثم تبعه الولاة بعد ذلك وهو أول من أجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال ولما حج المهدى أمير المؤمنين سنة ستين ومائة رفع اليه انه قد اجتمع على الكعبة ثياب كثيرة حتى انها قد أثقلتها ويخشى على الجدران من ذلك فامر بتجريدها ثم ضمخها من خارجها وداخلها بالغالية والمسك والعنبر ثم كساها ثلاثة ثياب قباطى وخز وديباج وهو جالس في المسجد مما يلى دار الندوة ينظر اليها وهي تطلى وقيل انما في أحجارها من السمرة انما حصل من آثار تلك الغالية (فرع) قال النووى رحمه الله لا يجوز أخذ شيء من طيب الكعبة لا للتبرك ولا لغيره ومن أخذ شيئا من ذلك لزمه رده فان أراد التبرك أتى بطيب من عنده فمسحها به ثم أخذه

﴿ ذكر تحلية الكعبة شرفها الله تعالى ﴾

أخرج الازرقى رحمه الله ان أول من حلى الكعبة في الجاهلية عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بالغزالين الذهب اللذين وجدهما في زمزم حين حفرها وسيأتى الكلام على سبب حفر زمزم فى محله ان شاء الله تعالى وأما فى الاسلام فالوليد بن عبد الملك بعث الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسرى بستة وثلاثين الف دينار فضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الاساطين التى في داخلها والاركان ثم لما ولى الامين بن الرشيد أرسل أيضا الى عامله بمكة

سالم بن الجراح بثمانية عشر الف دينار ليحلى بها باب الكعبة فقلع ما كان على الباب من الصفائح وزاد عليها مابعثه الامين وضرب به صفائح ومسامير وحلى به الباب وجعل له حلقتين ذهبا وقيل أول من حلى البيت عبد الملك أبو الوليد وقيل ابن الزبير ثم حلاه الملوك وغيرهم بعد ذلك (فرع) قال النووى والرافعى تحرم تحلية الكعبة بالذهب والفضة وكذا سائر المساجد وخالفهما السبكي وأفتى بالحل وقال ان المنع لاسيما فى الكعبة بعيد وغريب في المذاهب كلها قل من ذكره فلا وجه له ولا دليل يعضده وهذا في التحلية بصفائح النقدين وأما التمويه فلا أمنع من جريان خلاف فيه لان في ذلك افساد مالية انتهى ونقل الامام أبو الليث السمرقندى من أئمتنا اباحة ذلك عن أبي حنيفة رضى الله عنه ثم قال وعندى أنه لا بأس به اذا لم يكن من غلة المسجد

﴿ ذكر معاليق البيت الشريف ﴾
وما أهدى بعد مضى الجاهلية

أخرج الازرقى رحمه الله فى أخبار مكة ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح مدائن كسرى كان مما بعث اليه هلالان من الذهب فبعثهما عمر الى الكعبة وعلقهما فى جوفها وبعث عبد الملك بن مروان بشمستين وقدحين من قوارير وبعث ابنه الوليد بقدحين أيضا وبعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بهلالين أيضاً وبالسرير الزينبي وبعث السفاح بصحفة خضراء وبعث المنصور بالقارورة الفرعونية وبعث

المأمون بياقوتة فاخرة وبعث الخليفة المتوكل العباسي بشمسة من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت والزبرجد وسلسلة من ذهب وبعث بعض الملوك لما أسلم بصنم من ذهب كان يعبده على صورة انسان وبالتاج الذي كان على رأس الصنم وبالسرير الذي كان يوضع عليه هذا ملخص ما ذكره الازرقي وأهدى الى الكعبة بعد ذلك أشياء أخر ذكرها الفاسي تقي الدين وغيره ومن ذلك قفل فيه الف دينار بعثه اليها المعتصم العباسي في سنة تسع عشر ومائتين ومن ذلك طوق من ذهب مكلل بأنواع الجواهر الفاخرة مع ياقوتة خضراء كبيرة وزنها كما قيل أربعة وعشرون مثقالا بعث بذلك بعض ملوك السند لما أسلم ومن ذلك عدة قناديل كلها فضة ماعدا واحدا منها كان ذهبا زنته ستمائة مثقال بعث بها المطيع العباسي في سنة تسع وخمسين وثلثمائة ومن ذلك قناديل محكمة الصناعة ومحاريب مبنية زنة كل محراب أزيد من قنطار بعثها عثمان صاحب عمان بعد العشرين والاربعمائة ومن ذلك قناديل ذهب وفضة بعثها الملك المنصور عمر بن على بن رسول صاحب اليمن في سنة اثنين وثلاثين وستمائة ومن ذلك قفل ومفتاح بعث بهما الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر وركب القفل على باب الكعبة ومن ذلك حلقتان من ذهب مرصعتان باللؤلؤ والبلخش كل حلقة وزنها الف مثقال وفي كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات وبينها ست قطع بلخش فاخرات أيضاً بعث بذلك الوزير على شاه وزير السلطان أبي سعيد بن خربندا ملك التتار فى سنة ثمان عشرة وسبعمائة فاراد الرسول

تعليقهما على باب الكعبة كما أمر فنعه أمير الركب المصرى فى السنة المذكورة وقال لا يمكن ذلك الا باذن السلطان يريد صاحب مصر وهو اذ ذاك الناصر محمد بن قلاوون فلوطف الامير وعرفه الرسول بان الوزير نذر أن يعلقهما على باب الكعبة فاذن له في ذلك فعلقتا زمنا قليلا ثم أخذهما أميرمكة اذذاك وهو رميثة بن أبي نمى ومن ذلك أربعة قناديل كبار كل قنديل منها على ما قيل قدر الدورق من دوارق مكة اثنان ذهبا واثنان فضة بعث بذلك السلطان شيخ بن أويس صاحب بغداد فى اثنى عشر لسبعين وسبعمائة فعلق ذلك فى الكعبة يسيرا ثم أخذه أمير مكة عجلان بن رميثه هذا ملخص ما ذكره الفاسى ثم قال وليس فى الكعبة الآن يعنى في زمنه شىء من المعاليق التى ذكرها الازرقى والتى ذكرناها سوى ستة عشر قنديلا منها ثلاثة فضة وواحد ذهب وواحد بلور واثنان نحاس والتسعة الباقية زجاج وسبب ذلك توالى الايدى عليه من الولاة وغيرهم فمن ذلك ما وقع لابي الفتوح الحسن بن جعفر العلوى حين خرج عن طاعة الحاكم ودعا لنفسه بالامامة انه أخذ من حلية الكعبة وضربها دنانير ودراهم وسميت بالفتحية وأخذ المحاريب التى أهداها صاحب عمان ومن ذلك ما وقع لمحمد بن جعفر المعروف بابن أبى هاشم الحسنى انه في سنة اثنين وستين وأربعمائة أخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح الباب لكون صاحب مصر المستنصر العبيدى لم يرسل له بشىء لاشتغاله بالقحط الذى كادت مصر أن تخرب بسببه ومما أهدى للكعبة بعد الفاسى (بياض بالاصل)

﴿ فصل في الكلام على سدانة البيت ﴾

وهي خدمته وتوالى أمره وفتح بابه واغلاقه

وكانت السدانة قبل قريش لطسم قبيلة من عاد فاستخفوا بحقه أيضاً فاهلكهم الله ثم وليته خزاعة بعد جرهم دهرا طويلا حتى صار الامر الى أبي غبشان فباع مفتاح البيت من قصى بن كلاب بزق من خمر فقيل فى ذلك أخس من صفقة أبى غبشان فذهبت مثلا وصارت حجابة الكعبة من بعد خزاعة لقصى وانتهى اليه أمر مكة بعد ذلك فاعطى ولده عبد الدار السدانة وهى الحجابة وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة ثم جعل عبد الدار الحجابة الى ولده عثمان ولم تزل تنتقل في أولاده الى أن انتهت الى عثمان بن طلحة ثم الى ابن عمه شيبة بن عثمان ابن أبى طلحة وهي في ولده الى الآن ويروى ان عثمان بن طلحة قال فتحنا البيت يوما فى الجاهلية فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخل مع الناس فتكامت بشيء فحلم عنى ثم قال ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال بل عزت ودخل الكعبة ووقعت كلمته منى موقعا ظننت ان الامر سيصير الى ماقال فاردت الاسلام فخشيت من قومى فقدمت المدينة فبايعته وأقمت معه حتى خرج فى غزوة الفتح فلما دخل مكة قال ياعثمان ائت بالمفتاح فاتيت به فاخذه منى ثم دفعه الى وقال خذوها يابنى طلحة خالدة تالدة الى يوم القيامة لا ينزعها منكم الا ظالم وفى ذلك

نزل قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وفي سنن سعيد بن منصور انه صلى الله عليه وسلم لما أخذ المفتاح من بنى شيبة أشفقوا أن ينزعه منهم ثم قال يابنى شيبة هاكم المفتاح وكلوا بالمعروف قال العلماء ان هذه ولاية من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لاحد أن ينزعها منهم وأعظم من ذلك أن يشرك معهم غيرهم قال الشيخ محب الدين الطبرى فى القرى لا يبعد أن يقال هذا اذا حافظوا على حرمته ولازموا الادب فى خدمته أما اذا لم يحفظوا حرمته فلا يبعد ان يجعل عليهم مشرف يمنعهم من هتك حرمته ثم قال أيضا وربما تعلق الجاهل المعكوس الفهم بقوله صلى الله عليه وسلم وكلوا بالمعروف فاستباح أخذ الاجرة على دخول البيت ولا خلاف بين الامة فى تحريم ذلك وانه من أشنع البدع وأقبح الفواحش وهذه اللفظة ان صحت فيستدل بها على اقامة الحرمة لان أخذ الاجرة ليس من المعروف وانما الاشارة والله أعلم الى ما يتصدق به من البر والصلة على وجه التبرر فلهم أخذه وذلك أكل بالمعروف لامحالة أو الى ما يأخذونه من بيت المال على مايتولونه من خدمته والقيام بمصالحه فلا يحل لهم الا قدر مايستحقونه والله تعالى أعلم انتهى كلام المحب

﴿ وأما الرفادة ﴾ فأصلها خرج من قريش كانت تخرجه من أموالها الى قصى يصنع به طعاما للحاج يأكله من ليس له سعة وكان قصي ينحر على كل طريق من طرق مكة جزرا كثيرة ويطعم الناس وكان يحمل راجل الحاج ويكسو عاريهم ثم صارت بعد عبد مناف بن قصى

الى ابنه هاشم فكان يطعم الناس في كل موسم الى ان توفى فقام بذلك بعده عبد المطلب ثم بعده أبو طالب واستمر الى أن جاء الاسلام فقام به النبي صلي الله عليه وسلم وأرسل بمال يعمل به الطعام مع أبى بكر رضى الله عنه حين حج بالناس سنة تسع ثم عمل سنة عشر في حجة الوداع ثم أقامه أبو بكر فى خلافته ثم عمر ثم الخلفاء بعده ثم لما ولى معاوية رضى الله عنه اشترى دارا بمكة وسماها دار المراحل وجعل فيها قدورا فكانت الجزر والغنم تطبخ فيهـا أيام الحج فى الموسم ثم يفعل ذلك في شهر رمضان ويروى ان أول من أطعم الحاج الفالوذج بمكة عبد الله بن جدعان وفد على كسرى فا كل عنده الفالوذج فسأل عنه فقالوا لباب البر مع العسل فقال ابغوني غلاما يصنعه فأتوه بغلام فاشتراه وقدم به مكة فصنع الفالوذج للحاج ووضع الموائد من الابطح الى باب المسجد ثم نادى مناديه ألا من أراد الفالوذج فليحضر فحضر الناس وما زال ذلك اطعامه للحاج فى الجاهلية

﴿ وأما السقاية ﴾ فكان أصلها حياضاً من أدم توضع على عهد قصى بفناء الكعبة وتملأ ماء للحاج وكان قصى يسقى اللبن المخيض ويسقى المـاء المنبوذ بالزبيب أيضاً ومازال ذلك فعله حتى هلك فقام به هاشم بعده ثم أخوه المطلب بعده ثم عبد المطلب وكان يسقى لبنا وعسلا فى حوض من أدم عند زمزم ثم قام به العباس رضى الله عنه بتولية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تزل في ولده من بعده (أقول) الى يومنا هذا

﴿ تتميم بذكر شيء من خبر قصي ﴾ روى الازرقي رحمه الله ان قصيا لما انتهت اليه رياسة مكة وقرب أجله قسم رياسته ومكارمه بين ولده فأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة وأعطي عبد الدار السدانة وهي حجابة البيت ودار الندوة واللواء وقد تقدم ذكر السدانة والسقاية والرفادة وتفسيرهم مستوفى

﴿ وأما الندوة ﴾ فهي دار بناها قصي حين صار أمر مكة اليه ليحكم فيها بين قريش وكانت أول دار بنيت بمكة ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي الا ابن أربعين سنة للمشورة وأما ولد قصي فيدخلونها كلهم وحلفاؤهم ولم تزل دار الندوة بيد عبد الدار ثم جعلها بعده لولده عبد مناف بن عبد الدار ثم صارت لبنيه من بعده دون ولد عبد الدار وانما سميت دار الندوة لاجتماع الندى فيها لانهم كانوا يندونها فيجلسون فيها لتشاورهم وابرام أمرهم وعقد الالوية لحروبهم وهذه الدار في الرواق الشامي من المسجد الحرام بالزيادة وهي معروفة مشهورة

﴿ وأما اللواء ﴾ فكان في أيدي بني عبد الدار يليه منهم ذو السن في الجاهلية حتى كان يوم أحد فقتل عليه من قتل منهم

﴿ وأما القيادة ﴾ فوليها من بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف ثم وليها بعده ابنه أمية ثم من بعده ابنه حرب فقاد الناس يوم عكاظ وغيره من حروب قريش ثم قاد الناس بعده أبو سفيان ابنه الا يوم بدر قاد الناس عتبة بن ربيعة فلما كان يوم أحد والاحزاب قادهم أبو سفيان وكانت الاحزاب آخر وقعة لقريش ثم أيد الله الاسلام

ومنّ بفتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم هذا ملخص مارواه الازرقى من خبر قصى وذكر غيره فى قسمة قصى غير هذا والله أعلم

﴿ فائدتان الاولى ﴾ روي الفاكهى رحمه الله ان الكعبة شرفها الله تعالى كانت تفتح فى الجاهلية يوم الاثنين ويوم الجمعة وفى تاريخ الازرقى انها كانت تفتح يوم الاثنين ويوم الخميس يعنى فى الجاهلية قال الفاسي رحمه الله وفتحها يوم الجمعة مستمر الى الآن يعنى في زمنه وفتحها يوم الاثنين متروك (أقول) قد أعيد فتحها يوم الاثنين بعد ذلك وصارت تفتح يوم الاثنين ويوم الجمعة الى يومنا هذا وفي هذا دلالة لصحة ما رواه الفاكهى ومما يؤيده أيضا ما ذكره ابن جبير في خبر رحلته وكانت فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة من أن الكعبة تفتح يوم الاثنين ويوم الجمعة الا في رجب فتفتح كل يوم وما يروى عن عثمان بن طلحة انه قال كنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين ويوم الجمعة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريد أن يدخل مع الناس فتكلمت بشيء الى آخر ماقدمته آنفا فيه تأييد لما ذكره الازرقى أيضا على ان الجمع بين روايتى الازرقى والفاكهى ممكن بانه يحتمل ان كلا الامرين وقع وانها كانت تفتح يوم الخميس أولا ومكث ذلك مدة ثم تغير وصارت تفتح يوم الجمعة أو العكس انتهى (الثانية) روي عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة يوم الفتح أمر بلالا فرقى على ظهر الكعبة فاذن بالصلاة وقام المسلمون وتجردوا فى الازر وأخذوا الدلاء وارتجزوا على زمزم فغسلوا الكعبة ظهرها وبطنها فلم يدعوا أثرا من

آثار المشركين الا محوه وغسلوه وهذا الخبر في الجملة يصلح أن يكون شاهدا لما يفعله الحجبة من غسل باطن الكعبة فى كل عام والله أعلم

الباب الخامس

(في فضل الطواف بالبيت المشرف والطائفين به)

وفضل النظر اليه وبيان المواضع التى فيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم حول البيت وبيان جهة المصلين اليه من سائر الآفاق وذكر وليطوفوا بالبيت العتيق

وقال جل اسمه لخليله عليه السلام وطهر بيتى للطائفين وقال تعالى وتقدس وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين الآيات واختلف في معنى التطهير فقيل طهره من الآفات والريب وقيل من الاوثان فلا ينصب حوله وثن وقال السدى معني طهرا بيتي أمنا بيتى وقيل غير ذلك وقد سبق بعض الكلام على ذلك في أول الكتاب

﴿ وأما الاحاديث ﴾ فاكثر من أن تحصى (فمن ذلك) ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه وفى رواية يحصيه كان كعتق رقبة ومعنى أحصاه أو يحصيه قال بعض العلماء يتحفظ فيه أن لا يغلط وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب

من ماء زمزم غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت أخرجه الواحدى فى تفسيره وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض فى الرحمة فاذا دخل غمرته ثم لا يرفع قدما ولا يضعها الا كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة وحط عنه خمسمائة سيئة ورفعت له خمسمائة درجة فاذا فرغ من الطواف فصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وكتب له أجر عشر رقاب من ولد اسماعيل واستقبله ملك على الركن وقال له استأنف العمل فيما تستقبل فقد كفيت مامضى وشفع فى سبعين من أهل بيته أخرجه الازرقى وغيره وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الكعبة محفوفة بسبعين الفا من الملائكة يستغفرون الله تعالى لمن طاف بها (أقول) وعن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل فى الركعتين قبل الطواف ثواب عتق رقبة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين ذكره القاضى عياض فى الشفاء وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الطواف بالبيت خوض في رحمة الله تعالى ذكره الحسن في رسالته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه رواه الترمذى وقال حديث غريب قال القاضى عز الدين بن جماعة رحمه الله والمراد بخمسين مرة والله أعلم خمسون أسبوعا لان الشوط الواحد لا يتعبد به ويدل لذلك ان جماعة رووه فقالوا من طاف خمسين

أسبوعا كان كما ولدته أمه فهذه الرواية مفسرة للاولى وليس المراد
بان يأتي بالخمسين فى آن واحد بل ان توجد فى صحيفة حسناته انتهى
ملخصاً وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يباهى بالطائفين
ملائكته وقال صلى الله عليه وسلم استكثروا من الطواف بالبيت فانه
أقل شيء تجدونه فى صحفكم وأغبط عمل تجدونه وعن ابن عمر عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال طوافان لا يوافقهما عبد مسلم الا خرج من
ذنوبه كما ولدته أمه وغفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت طواف بعد الصبح
يكون فراغه عند طلوع الشمس وطواف بعد العصر يكون فراغه عند غروب
الشمس فقال رجل يارسول الله لم يستحب هاتان الساعتان قال انهما ساعتان
لا تعدوهما الملائكة قال المحب يحتمل أن يريد بالبعدية ماقبل الطلوع
والغروب ولو بلحظة تسع أسبوعا ويحتمل أن يريد استيعاب الزمنين
بالعبادة ولعله الا ظهر والا لقال طواف قبل الطلوع وقبل الغروب
وعلى هذا فيكون حجة على من كرهه في الوقتين انتهى وعن أبي هريرة
رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أكرم سكان أهل
السماء على الله الذين يطوفون حول عرشه وأكرم سكان أهل الارض
على الله الذين يطوفون حول بيته وعن أبي هريرة أيضاً ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من طاف بالبيت سبعا ولا يتكلم الا سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله محيت عنه عشر
سيئات وكتبت له عشر حسنات ورفع له عشر درجات ومن طاف
فتكلم في الحال خاض فى الرحمة برجليه كخائض الماء برجليه وعنه صلى

الله عليه وسلم قال لو ان الملائكة صافحت أحد الصافحت الغازى في سبيل الله والبار بوالديه والطائف ببيت الله الحرام والاحاديث الواردة فى هـذا المعنى كثيرة جدا وفيما ذكرته كفاية وإذا كان الطائف بهذه المزية وثبت له هذا الفضل العظيم فينبغى له الاخلاص وليحذر من أن يكون كما قال بعض العلماء العارفين

يامن يطوف ببيت الله بالجسد ، والجسم فى بلد والروح في بلد
ماذا فعلت وماذا أنت فاعله مبهرجا فى التقى للواحد الصمد
ان الطواف بلا قلب ولا بصر على الحقيقة لا يشفى من الكمد

﴿ وأما الآثار ﴾ فروى عن ابن عمر انه قال كان أحب الاعمال الى النبي صلى الله عليه وسلم اذا قدم مكة الطواف وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه انه قال من حج البيت فطاف خمسين أسبوعا قبل ان يرجع كان كما ولدته أمه وعن ابن عمر أيضاً انه قال من طاف وصلى ركعتين فهاتان يكفران ما امامهما وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه طاف بالبيت وهو متكيء على غلام له يسمى طهمان وهو يقول والله لان أطوف بهذا البيت أسبوعا لا أقول فيه هجرا وأصلى ركعتين أحب الى من أن أعتق طهمان والهجر بضم الهاء هو الافحاش فى المنطق قاله في الصحاح وفى الاحياء للغزالى لاتغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا وطاف واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض وروي الازرقى رحمه الله ان ابن عمر كان يطوف سبعة

أسابيع بالليل وخمسة بالنهار وان آدم عليه السلام كان يطوف كذلك وذكر غير الازرقي ان آدم كان يقول في طوافه اللهم اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتي وعن محمد بن فضيل انه قال رأيت ابن طارق في الطواف وقد انفرج الطائفون له وفي رجليه نعلان فحزروا طوافه في ذلك الزمان فاذا هو يطوف في اليوم والليلة عشرة فراسخ والحزر هو التقدير والخوض يقال حزرت الشيء أحزره وأحزره بالضم والكسر كذا في الصحاح وذكر ابن الجوزي في الصفوة ان محمد بن طارق كان يطوف كل يوم وليلة سبعين سبعا

﴿ فائدة ﴾ اعداد الطواف لها سبع مراتب ذكرها الامام أبو عبد الله بن أبي الصيف اليمني رحمه الله (الاولى) ان من طاف خمسين أسبوعا في اليوم والليلة يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه للحديث الذي قدمته آنفا (الثانية) أحدا وعشرين أسبوعا كل يوم فيكون بحجة وقد قيل سبع أسابيع بعمرة وقيل في الحديث ثلاث عمر بحجة (الثالثة) أربعة عشر أسبوعا فيكون بحجة أيضا لانه ورد في حديث آخر عمرتان بحجة وهذا في غير عمرة رمضان لان العمرة فيه كحجة مطلقة كما جاء في الحديث وفي حديث آخر كحجة معه صلى الله عليه وسلم (الرابعة) اثنى عشر أسبوعا خمسة بالنهار وسبعة بالليل لما سبق قريبا من فعل آدم وابن عمر ويستحب أن يكون ثلاثة أسابيع من الخمسة التي في النهار قبيل طلوع الشمس بحيث تطلع وهو في الطواف للحديث الذي رواه ابن عمر قاله الجد (الخامسة) سبعة أسابيع فيكون بعمرة لما تقدم في

المرتبة الثانية (السادسة) ثلاثة أسابيع قال الجد يأتي في الاولى باذكار الطواف ودعواته الخاصة وفى الثانية بالباقيات الصالحات ففى ذلك حديث وفي الثالثة بما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (السابعة) أسبوعا واحدا كل يوم فقد جاء فى الحديث ان الاسبوع بعتق رقبة ويدخل بهذا الاسبوع فى جملة الطائفين الذين لهم ستون رحمة من المائة والعشرين كما سيأتي قريبا ان شاء الله تعالى والباقيات الصالحات هى قولك سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر

﴿ فائدة ﴾ المراد بحسنة الدنيا فيما تقدم العلم والعبادة قاله الحسن وقيل العافية وقيل المال وقيل المرأة الحسنة وقيل العفة وقيل الرزق الواسع وبحسنة الآخرة الجنة بالاجماع كذا قاله الدميري وقيل الحور العين أوالجنة أو العفو والمعافاة (واعلم) انه ينبغي المثابرة على الطواف فى أوقات (منها) ما تقدم من الطواف بعد الصبح والعصر للحديث السابق (ومنها) فى وقت المطر لما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من طاف بالكعبة فى يوم مطر كتب الله له بكل قطرة تصيبه حسنة ومحا عنه بالاخرى سيئة وعن أبي عقال قال طفت مع أنس بن مالك رضي الله عنه فى مطر فلما قضينا الطواف أتينا المقام فصلينا ركعتين فقال لنا أنس ائتنفوا العمل فقد غفر لكم هكذا قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفنا معه فى مطر وعن مجاهد قال كان كل شىء لا يطيقه الناس

من العبادة يتكلفه ابن الزبير فجاء سيل فطبق البيت فامتنع الناس من الطواف فجعل ابن الزبير يطوف سباحة وذكر القاضى عز الدين بن جماعة عن جده انه طاف بالبيت سباحة وكان كلما حاذى الحجر غطس لتقبيله . وذكر ان بعض المكيين أخبره انه اتفق له مثل ذلك (ومنها) فى شدة الحر فقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال من طاف حول البيت أسبوعا فى يوم صائف شديد الحر واستلم الحجر فى كل طواف من غير أن يؤذى أحدا وأقل كلامه الا بذكر الله تعالى كان له بكل قدم يرفعها ويضعها سبعون الف حسنة ويمحى عنه سبعون ألف سيئة ويرفع له سبعون الف درجة وفى رواية عن ابن عباس بعد شديد الحر وحسر عن رأسه وقارب خطاه وأقل التفاته وغض بصره ثم ذكر بقية الحديث و زاد يعتق عنه سبعين رقبة عن كل رقبة عشرة آلاف درهم ويعطيه الله سبعين شفاعة ان شاء فى أهل بيته من المسلمين وان شاء فى العامة وان شاء عجلت له فى الدنيا وان شاء أخرت له في الآخرة (أقول) فان قيل هل يستوى الطائف في شدة الحر بغير خف أو نحوه بمن طاف لابساً لذلك أم غير اللابس أفضل وأكثر ثوابا لانه حينئذ أكثر مشقة (الجواب) ان اطلاق الحديث يقتضى التسوية بين اللابس وغيره لكن سياق الحديث يفهم منه ان غير اللابس أكثر ثوابا حيث علل بشدة الحر لان المراد تجشم المشقة ولاشك ان غير اللابس أكثر مشقة ويؤيده قوله فى رواية ابن عباس حاسرا عن رأسه اذ المراد المصابرة علي ذلك وينبغي في رواية حسر الرأس ان يحمل

على الاستطاعة وعدم الضرر وأما من تضرر بكشف الرأس أو خشي الضرر فالافضل له تغطية رأسه فان الحرج مدفوع شرعا والله الموفق

(ومنها) عند خلو المطاف لانه حينئذ يكون قائما بهذه العبادة العظيمة من غير مشارك له فى سائر أقطار الارض وكذلك قال العلماء لو حلف ليعبدن الله بعبادة لا يشركه أحد فيها فالخلاص ان يخلى له المطاف فيطوف به وحده

(فوائد) الاولى ان قيل ما العلة في جعل الكعبة على يسار المطاف دون يمينه وما الحكمة فى ذلك (اعلم) ان العلة فى ذلك اجتماع القلبين فى جهة واحدة لان القلب بيت الرب والقلب في الجانب الايسر قال الجد رحمه الله قلت وقد يقال أيضاً في وجه المناسبة ان المستحب فى ابتداء الطواف استقبال الحجر الاسود الذى هو يمين الله في الارض وحينئذ فشقه الايمن الى جهة باب البيت وشقه الايسر الى جهة الركن اليماني والانفتال الى جهة اليمين أولى من الانفتال الى جهة اليسار ويستأنس لذلك بان داخل المسجد يستحب له أن يبدأ برجله اليمنى والبداءة بجهة الشق الايمن يبتدأ فيها بالرجل اليمنى حيث مشى على الاسلوب المعتاد وأيضاً لاخفاء ان جهة الباب أفضل الجهات فجهة الركن اليمانى بالنسبة اليها مفضولة والمسارعة الى الافضل أفضل من المسارعة الى المفضول انتهى (الثانية) قال بعض العلماء انما يجعل الطائف البيت على يساره ويبتدئ بالحجر الاسود لان الحجر اذا استقبلت البيت من ثنية كدا من باب بنى شيبة يبقى فى ركن البيت

على يسارك وهو يمين البيت لانك اذا قابلت شخصاً فيمينه يسارك ويسارك يمينه والذي يلاقيك من البيت هو وجهه لان فيه بابه وباب البيت وجهه اى بيت كان والادب أن لا يؤتي الا فاضل الا من قبل وجوههم ولاجل ذلك كان الابتدائية كذا والاصل فى كل قربة يصح فعلها باليمين واليسار ان لا تفعل الا باليمين كالوضوء وغيره فاذا ابتدأ بالحجر وجعل البيت على يساره كان قد ابتدأ باليمين والوجه معاً فيجمع بين الفاضلين ولو عكس ذلك فاته الجمع المذكور ويمين البيت جميع الحائط الذى بين الركنين الاسود واليمانى ويسار البيت الحائط الذى عند الحجر بكسر الحاء ودبر البيت الحائط الذى فيه الباب المسدود وانما سمي الشام لانه على شمال البيت واليمن لانه على يمين البيت وسميت ريح الدبور لانها تأتي من دبر البيت وريح الشمال لانها تأتى من شمال البيت (الثالثة) كان النساء والرجال يطوفون معاً مختلطين حتى ولى مكة خالد بن عبد الله القسرى لعبد الملك بن مروان ففرق بين الرجال والنساء وأجلس عند كل ركن حرسا معهم السياط وسببه انه بلغه قول بعض الشعراء

ياحبذا الموسم من موفد وحبذا الكعبة من مشهد
وحبذا اللاتى تزاحمنا عنداستلام الحجر الاسود

فقال اما انهن لايزاحمنك بعد فامر بالتفريق (الرابعة) أول من استصبح لاهل الطواف في المسجد عقبة بن الازرق بن عمرو وكانت داره لاصقة بالمسجد من ناحية وجه الكعبة فكان يضع في جدار داره

مصباحا كبيرا يضيء على وجه الكعبة أخرجهما الازرقي

(فروع الاول) قال الجد الآتى باسبوع بسكينة ووقار وتؤدة بحيث يطوف غيره أسابيع فى زمن طوافه الاسبوع مع تساوى أوصافهما في الحضور والخشوع هل يستويان قال المحب الطبرى هذا يبنى على ان طول القيام في الصلاة أفضل أم تكثير الركعات وهو يقتضى أفضلية الاسبوع قال النسائى ونص عليه الشافعى (أقول) وهو مقتضى مذهب محمد بن الحسن من أصحابنا حيث قال طول القنوت أحب الى من كثرة الركوع والسجود وهو محمول على المنفرد لقوله صلى الله عليه وسلم من أم قوما فليخفف فان وراءه الكبير والضعيف وذا الحاجة واذا صلى منفردا فليطول ماشاء انتهى واعتبر بعض المتأخرين الخطا فوجد كل طوفة مائة وعشر خطوات اذا كان بينه وبين البيت ذراع أو فوقه قليلا فتكون للطوافات السبع سبعمائة وسبعون خطوة انتهى وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال أسعد الناس بهذا الطواف قريش وأهل مكة وذلك انهم ألين الناس فيه مناكب وانهم يمشون فيه التؤدة أخرجه الازرقى (الثانى) الترتيب فى الطواف ليس بشرط عندنا حتى لو طاف منكوسا صح مع الكراهة وكذا لو طاف عاريا أو بغير طهر فان أمكن اعادته في طوافي الحج والعمرة أعاد والا جبر بالدم خلافا للثلاثة (الثالث) اختلف العلماء هل الطواف بمكة أفضل أم الصلاة وهل الاعتمار أفضل أم الطواف فمذهب الجمهور ان الصلاة أفضل فرضها ونفلها لانها أفضل عبادات البدن وذكر جماعة من علمائنا ان الطواف

أفضل فى حق الآفاقى والصلاة فى حق المكي أفضل وهو مذهب المالكية ومتأخرى الشافعية وذهب الماوردى الى ان الطواف أفضل ورجحه ابن عبد السلام واحتج بما سيأتى قريبا عن ابن عباس فيما ينزل من الرحمات حيث جعل للطائفين أكثر

﴿ وأما المفاضلة ﴾ بين الطواف والعمرة عن أنس بن مالك انه سأل عن الطواف للغرباء أفضل أم العمرة فقال بل الطواف أخرجه الازرقي قال المحب الطبرى مراد أنس والله أعلم ان تكرار الطواف أفضل من العمرة ولا يريد طواف أسبوع واحد فانه موجود في العمرة انتهى وله فى هذا المعنى تأليف لطيف سماه عواطف النصرة فى تفضيل الطواف على العمرة ذهب فيه الى ان الاشتغال بتكرار الطواف فى مثل مدة العمرة أفضل من الاشتغال بالعمرة واستدل رحمه الله على ذلك بجملة أدلة وذهب جماعة من الشافعية منهم السبكى والبلقينى الى تفضيل الاعتمار مطلقا على الطواف (الرابع) لا بأس عندنا للطائف أن يقرأ القرآن في نفسه لانه ذكر مشرف فى مكان مشرف ويكره ان يرفع صوته بالقراءة فيه كى لا يقع في الرياء والسمعة ولفظة لا بأس تدل على ان الاولى الاشتغال بالدعاء دون القراءة فانه صلى الله عليه وسلم اشتغل بالدعاء دون القراءة لكون الطواف محلا لاجابة الدعاء وعند مالك لا يقرأ الا قوله ربنا آتنا الى قوله وقنا عذاب النار كذا نقله الكرمانى من أصحابنا والصحيح من مذهب الشافعي ان الدعاء المأثور في الطواف أفضل من القراءة للاتباع واستدل أصحابه بانه قد نهى عن

القراءة في الركوع والسجود لتعلق الدعاء الخاص بهما قال الزركشي وقد ينازع في عبارتهم في هذه المسألة اذ لا شيء من الذكر أفضل من القرآن فكيف يكون الاشتغال بالمأثور أفضل من الاشتغال بالقرآن وأجيب بان القراءة فعل القادر وهي حادثة والقرآن قديم والتفضيل بين القراءة والذكر والصواب ان القرآن من حيث حقيقته أفضل وقد الف أبو بكر الآجري تأليفاً يتضمن الانكار على الجاهر في الطواف بذكر أو تلاوة وغلظ في ذلك وشدد وينبغي أيضاً لمن كان في المسجد قريبا من الطواف ان لا يرفع صوته بتلاوة أوذكر لئلا يشوش على الطائفين أوالمصلين (الخامس) من سنن الطواف للرجل القرب من البيت لينال الشرف والبركة ليكون أيسر في الاستلام والتقبيل وهذا اذا لم يؤذ أو يتأذ بزحمة أو غيرها واذا لم يفته الرمل أيضاً بسبب الزحمة فان خشي فوات الرمل فالبعد أولى للاتيان به لان الرمل عندنا لا بدل له ولهذا اذا اشتدت الزحمة يقف وأيضا في قرب الرجل من البيت بعده عن النساء فان طوافهن غالبا من جهة حاشية المطاف لا سيا عند من يقول بنقضهن والمستحب للمرأة البعد عن البيت لئلا تخالط الرجال الا في وقت خلو المطاف فالقرب أولى والخنثى كالمرأة (السادس) التطوع بشوط واحد في الطواف هل يسوغ ويؤجر عليه أم لا فمذهب الشافعي ان من تطوع ابتداء بطوفة واحدة لا يجوز ولا يثاب على ذلك لما فيه من التلاعب بالعبادة أما لو نوى ان يطوف أسبوعا ثم بدا له بعد ان طاف طوفة واحدة مثلا انه لم يوف فله أجر الطوفة ولا يحبط ذلك ترك ما بقي

من السبع (أقول) مقتضى مذهبنا أيضاً عدم جواز التطوع بالشوط الواحد قياساً على الركعة الواحدة في حق عدم المشروعية عندنا لا في حق الحنث فان حلف لا يصلي يحنث باداء ركعة واحدة انتهى (السابع) يجوز الطواف عندنا على الشاذروان لانه ليس من البيت نص على ذلك الاصحاب ومذهب الشافعية والحنابلة وبعض متأخرى المالكية انه يجب ان يكون الطائف بجميع بدنه خارجا عن البيت والحجر والشاذروان وينبغي الاحتراز عند الشافعي لمن قبل واستلم من ان يمر وشيء من بدنه في الشاذروان بل يقر قدميه الى أن يعتدل بعد التقبيل أوالاستلام فان لم يقرهما فليرجع الى مكانه قبل الاستلام لئلا يقع بعض طوافه في البيت لا بالبيت لان الشاذروان عندهم جزء نقصته قريش من عرض جدار أساس الكعبة حين ظهر على الارض قال الجد رحمه الله لم ينقل وقوع هـذا التحرز عن أحد من السلف الصالح ولو وقع لنقل ولكن القواعد المقررة اقتضت ذلك مع انه لا يلزم من عدم الاطلاع على النقل ان لا يكون منقولا اذ لا يلزم من عدم الوجدان عدم الوجود وعند الحنابلة ان الطائف لو كان يمس الجدار بيده في موازاة الشاذروان صح طوافه لان معظمه خارج البيت وأفاد الشيخ القدوة أبو عبد الله خليل امام مقام المالكية بالمسجد الحرام بانه لم يشترط أحد من متقدمي المالكية فيما علمه الطواف خارج الشاذروان وان الشيخ أبا الطيب القابسي المالكي كان ينكر ذلك ولا يثبته في مذهب مالك قال الفاسي رحمه الله ينبغي الاحتراز منه لانه ان كان من البيت كما قيل فالاحتراز منه واجب والا فلا

محذور فى ذلك كيف والخروج من الخلاف مطلوب وهوهناقوى والله أعلم

﴿ نكتة ﴾ اعلم ان منشأ الخلاف بين الائمة فى ذلك حديث عائشة المتقدم المصرح بان قريشا اقتصروا على قواعد ابراهيم وقد صح ان ابن الزبير رضى الله عنه لما بلغه هذا الحديث قال أنا اليوم أجد ما أنفق ولست أخاف الناس فهدم الكعبة كما قدمته و بناها على قواعد ابراهيم وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين على ما كان فى زمن قريش الى آخر ماتقدم فاذا علمت هذا ظهر ان ما ذكره الشافعية من انه ينبغي الاحتراز عن الشاذروان عند التقبيل ليس بناهض فينبغى حينئذ صحة الطواف على الشاذروان كما قال ابن الميلق من الشافعية وفيه تأييد لمذهبنا ولو وقع ما قاله الشافعية لنبه النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة على ذلك لكونه مما تمس الحاجة اليه بقول أو فعل ولنقل ذلك هذا مع توفر الدواعي على النقل ونازع الفاسى فى ذلك فقال و بعض الناس يعارض القول بان الشاذروان من البيت بكون ابن الزبير بنى البيت على أساس ابراهيم عليه السلام كما في خبر بنائه وهذا المعارض لايخلو من حالين أحدهما ان يدعى ان ابن الزبير استوفى البناء على جميع أساس جدار البيت بعد ارتفاعها عن الارض والآخر ان يدعى ان البناء اذا نقص من عرض أساسه بعد ارتفاعه عن الارض لا يكون مبنياً على أساسه والاول لا يقوم عليه دليل لان ما ذكر من صفة بناء ابن الزبير للبيت لا يقتضى ان يكون بناؤه مستوفى على جميع أساس جدرانه بعد ارتفاعها من الارض ولا ناقصاً عن أساسها و وقوع هذا فى بنائه أقرب

من الاول لان العادة جرت بتقصير عرض أساس الجدار بعد ارتفاعه لمصلحة البناء وإذا كان هذا مصلحة فلا مانع من فعله في البيت لما بنى في زمن ابن الزبير نعم في بناء ابن الزبير على أساس ابراهيم دليل واضح على انه أدخل في البيت ما أخرجته منه قريش من الحجر فانه بنى ذلك على أساس ابراهيم لا أساس قريش والثاني غير مسلم لان الجدار اذا اقتصر عن عرضه بعد ارتفاعه من الارض لا يخرجه ذلك عن كونه مبنياً على أساسه وهذا مما لا ريب فيه وانكاره مكابرة والله أعلم انتهى (الثامن) يجب على الطائف عندنا ان يكون طوافه من وراء الحجر فلو طاف الطواف الواجب فى جوف الحجر بان يدخل من احدى الفتحتين ويخرج من الاخرى عليه الاعادة وتجزئ على الحجر خاصة والافضل الاعادة على البيت كله وذكر قاضى خان في شرح الجامع الصغير في صفة الاعادة على الحجر صورتين الاولى أن يأخذ عن يمينه خارج الحجر حتى ينتهى الى آخره ثم يدخل الحجر من الفرجة ويخرج من الجانب الآخر يفعل ذلك سبعا الثانية أن يأخذ عن يمينه خارج الحجر حتى ينتهى الى آخره ثم يرجع ولا يدخل الحجر ويبتدئ من أول الحجر من المكان الذى ابتدأ منه أولا ولا يعد رجوعه الى ذلك شوطاً يفعل ذلك سبعاً فان رجع الى أهله ولم يعد لزمه دم كما قاله صاحب الهداية وحكى ابن عبد البر اجماع العلماء على ان من طاف بالبيت يلزمه أن يطوف من وراء الحجر ولو لم يطف من ورائه لم يجزه (التاسع) لوطافت المرأة متنقبة في غير حالة الاحرام

فمقتضى مذهب الشافعى الكراهة كما تكره صلاتها متنقبة قاله النووى وهو مذهب مالك قال المجد رحمه الله محل هذا حيث أمنت من رؤية الرجال لوجهها أما حيث لم تأمن كما هو الغالب من حال الطواف فلا كراهة بل تنقبها حينئذ متعين وعندنا لا يكره لها ذلك فى الطواف نص عليه السروجى فى غايته (العاشر) قال ابن جماعة فى منسكه ومن البدع ما يفعله كثير من الجهلة من ملازمة التزام البيت وتقبيله عند ارادة الطواف قبل استلام الحجر الاسود وتقبيله والذى سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو الابتداء بالحجر لانه يمين الله فلا يناسب البداءة بغيره والله أعلم

﴿ فصل في ثواب النظر الي البيت زاده الله شرفا ﴾

وبيان مصلى النبى صلى الله عليه وسلم حول البيت وذكر ذرع أرض المطاف

روى الحسن البصرى رحمه الله في رسالته انه صلى الله عليه وسلم قال من جلس مستقبل القبلة ساعة واحدة محتسباً لله عز وجل ولرسوله تعظيما للبيت كان له كأجر الحاج والمعتمر والمرابط القائم وأول ما ينظر الله الى أهل الحرم فمن رآه مصلياً غفرله ومن رآه قائما غفرله ومن رآه جالسا مستقبل القبلة غفرله وروى ابن عباس رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ينزل في كل يوم وليلة مائة وعشرين رحمة على هذا البيت ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون

للناظرين (أقول) هـذا الحديث وان كان ضعيفاً فقد نص النووى وغيره من الحفاظ على جواز رواية الضعيف فى الفضائل انتهى وفى رواية أخرى ينزل الله على أهل المسجد مسجد مكة كل يوم عشرين ومائة رحمة الحديث قال المحب الطبرى ولا تضاد بين الروايتين بل يجوز ان يريد بمسجد مكة البيت ويطلق عليه مسجد بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام ويجوز أن يريد مسجد الجماعة وهو الاظهر ويكون هو المراد بالتنزيل على أهل المسجد ولهذا انسحبت على أنواع العبادات الكائنة فى المسجد انتهي ثم قال أيضاً عند كلامه على هذا الحديث يحتمل في تأويل القسم بين كل فريق وجهان الاول قسمة الرحمات بينهم على المسمى بالسوية لا على العمل بالنظر الى قلته وكثرته وصفته وما زاد على المسمى فله ثواب من غير هذا الوجه ونظير هذا أعط الداخلين بيتى مائة دينار فدخل واحد مرة وآخر مرارا فلا خلاف في تساويهما في القسم الوجه الثانى وهو الاظهر قسمها بينهم على قدر العمل لان الحديث ورد فى سياق الحث والتحضيض وما هذا سبيله لا يستوى فيه الآتي بالاقل والاكثر ثم قال بعد أن استوفى الكلام في كيفية قسمة الرحمات اذا تقرر ذلك فالتفصيل فى الرحمات بين المتعبدين بأنواع العبادات الثلاثة أدل دليل على أفضلية الطواف على الصلاة والصلاة على النظر اذا تساووا في الوصف هذا هو المتبادر الى الفهم عند سماع ذلك فيخص به وبما ورد من الاحاديث المتقدمة فى فضل الطواف عموم قوله صلى الله عليه وسلم واعلموا ان خير أعمالكم

الصلاة اونقول الطواف نوع من الصلاة فيكون داخلا فى عموم حديث
تفضيل الصلاة على سائر أعمال البدن ولا ينكر ان بعض الصلاة أفضل
من بعض ثم قال بعد كلام آخر ووجه تفضيل هذا النوع من الصلاة
وهو الطواف على غيره من الأنواع الاخصية له بتعلق الثلاثة وهو البيت
الحرام ولا خفاء بذلك ولذلك بدأ به فى الذكر هنا وفي قوله تعالى
وطهر بيتى للطائفين الآيتين ولما كانت الصلاة على تنوعها لم نشرع
الا عبادة والنظر قد يكون عبادة اذا قصد التعبد به وقد لا يكون وذلك
اذا لم يقصد به التعبد تأخر في الرتبة وقولنا اذا تساووا في الوصف
نحترز مما اذا اختلف وصف المتعبدين فكان الطائف ساهيا غافلا والمصلى
والناظر خاشعا يعبد الله كانه يراه كان المتصف بذلك أفضل اذ ذلك
الوصف لا يعد له عمل جارحة خاليا عنه وهو المشار اليه والله أعلم فى
قوله تعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا انتهى باختصار وهو كلام
عظيم كاف شاف حر ان يكتب بماء الذهب فى بياض الحدق وقد ذكره
في كتابه القرى بابسط من هذا واستدل بامور معنوية قوية ظاهرة
لا يحتمله هـذا التعليق فليراجعه مريده فى محله فرحمه الله ولله دره من
عالم محقق وفى رسالة الحسن أيضاً انه صلى الله عليه وسلم قال من
نظر الى البيت ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر
يوم القيامة فى الآمنين وفيها عنه صلى الله عليه وسلم من نظر الى البيت
نظرة من غير طواف ولا صلاة كان عند الله عز وجل أفضل من عبادة
سنة يعنى صائما وقائما وراكعا وساجدا وعن ابن عباس انه قال النظر

الى الكعبة محض الايمان أخرجه الجندى وعن سعيد بن المسيب من نظر الى الكعبة ايمانا وتصديقا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وعن عطاء النظر الى البيت الحرام عبادة والناظر له بمنزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد فى سبيل الله عز وجل وعن أبي السائب المدينى من نظر الى الكعبة ايمانا وتصديقا تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر وعن زهير بن محمد قال الجالس في المسجد ينظر الي البيت لا يطوف به ولا يصلى أفضل من المصلى في بيته لا ينظر الى البيت أخرجها الازرقى

﴿ فصل في ذكر المواضع التى صلى فيها صلى الله عليه وسلم ﴾
حول الكعبة و بيانها ملخصة كما نقله الفاسي عن القرى
للمحب الطبرى مع زيادة أدلة

(الاول) خلف مقام الخليل عليه السلام لما رواه جابر فى صفة حجه صلى الله عليه وسلم من قوله ثم نفر الى مقام ابراهيم فقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وجعل المقام بينه وبين البيت ثم صلى الركعتين (الثاني) تلقاء الحجر الاسود عند حاشية المطاف كما فى النسائى من حديث المطلب بن أبى وداعة (الثالث) قريبا من الركن الشامى مما يلى الحجر بسكون الجيم كما فى سنن أبى داود من حديث عبد الله بن السائب (الرابع) عند باب الكعبة كما فى تاريخ الازرقى من حديث ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم أمنى جبريل عند باب الكعبة مرتين

قال الفاسي ويحتمل ثلاثة وجوه الاول ان يكون صلى وجاه الباب الثانى ان يكون في الحفرة المرخمة التى عند باب الكعبة على يمينه الثالث أن يكون في الملتزم وهو بعيد والوجه الاول أقرب لانه عند الباب حقيقة وانما نبهنا على ذلك لان الشيخ عز الدين بن عبد السلام والشيخ أحمد بن موسى بن العجيل ذكرا أن مصلى جبريل بالنبى صلى الله عليه وسلم فى الحفرة المرخمة ولم أقف على كلام ابن عجيل ولكن بلغنى ان الطبرى امام المقام سأله عن ذلك فحققه له بطريق الكشف وأما كلام ابن عبد السلام فنقله ابن جماعة انتهى قال ابن جماعة بعد ذلك عن ابن عبد السلام ولم أر ذلك لغيره وفيه بعد لانه لو كان صحيحا لنبهوا عليه بالكتابة فى الحفرة ولما اقتصروا على من أمر بعمل المطاف والله أعلم انتهى (الخامس) تلقاء الركن الذى يلى الحجر من جهة المغرب جانحا الى جهة الغرب قليلا بحيث يكون باب المسجد المعروف اليوم بباب العمرة خلف ظهره كما فى مسند أحمد وسنن أبي داود وغيرهما من حديث المطلب بن أبي وداعة انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى مما يلى باب بنى سهم والناس يمرون بين يديه وباب بنى سهم هو باب العمرة المذكور (والسادس) في وجه الكعبة كما فى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج من البيت صلى قبل البيت ركعتين وقال هذه القبلة كما تقدم قال المحب الطبري وجه الكعبة يطلق على بابها ولهذا قيل للمحاذى له خلفها دبر الكعبة ويطلق على جميع الجانب الذى فيه الباب وهو المتعارف

والظاهر ان هذا الموضع تلقاء المقام في فناء الكعبة بحيث يكون المقام خلف ظهر المصلى فيه ثم قال ويحتمل على بعد ان يكون الموضع الرابع يعنى المتقدم عند باب الكعبة قال ابن جماعة وقد ورد تفضيل وجه الكعبة على غيره من الجهات فعن ابن عمر البيت كله قبلة وقبلته وجهه فان فاتك ذلك فعليك بقبلة النبى صلى الله عليه وسلم تحت الميزاب ومثله عن عمرو بن العاص المراد بقبلة النبي صلى الله عليه وسلم قبلته بالمدينة الشريفة انتهى (السابع) بين الركنين اليمانيين ذكره ابن اسحاق فى سيرته فى قصة طويلة قال الفاسي ولم يبينه المحب ويحتمل أن يكون عليه السلام صلى الى وسط الجدار كما نقله ابن سراقة ويكون عند الرخامة التى فى الشاذروان المكتوب فيها اسم الملك لاجين انه عمل المطاف ويحتمل ان يكون مائلا عن الوسط الى جهة الحجر الاسود أو الى جهة الركن اليماني (الثامن) فى الحجر للحديث الصحيح بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر وأخذ بمنكبه ودفعه عنه عليه السلام وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله الآية قال المحب الطبرى ولا يبعد ان تكون صلاته صلى الله عليه وسلم تحت الميزاب فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال صلوا فى مصلى الاخيار واشربوا من شراب الابرار فقيل له مامصلى الابرار وما شراب الاخيار فقال تحت الميزاب وماء زمزم وهو صلى الله عليه وسلم سيد الاخيار ولا يبعد أن تكون الاشارة اليه صلى الله عليه وسلم

﴿ ذكر شئ من فضائل الحجر ﴾

روى عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت أحب أن أدخل البيت فاصلي فيه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فادخلنى الحجر وقال صلى فيه ان أردت دخول البيت فانما هو قطعة من البيت وفى هذا دلالة على ان جميع الحجر من البيت وكذلك ماورد ان عائشة رضى الله عنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الحجر هل هو من البيت فقال نعم والصحيح ان القدر الذى فيه من البيت ستة أذرع أو ما يقارب السبعة كما جاء مصرحا به فى الحديث الآخر عن عائشة رضى الله عنها وهو لولا قومك الى أن قال وازدت فيه ستة أذرع من الحجر تركتها قريش لقصر النفقة وفى رواية فهلمى لاريك ماتركوه قومك فاراها قريباً من سبعة أذرع فحينئذ يحمل المطلق فيما تقدم على المقيد واطلاق اسم الكل على البعض جائز على سبيل المجاز المستحسن أشار اليه المحب الطبرى وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى هريرة رضى الله عنه ان على باب الحجر ملكاً يقول لمن دخله وصلى فيه ركعتين مغفورا لك مامضى فاستأنف العمل وعلى بابه الآخر ملك منذ خلق الله الدنيا الى يوم يرفع البيت يقول لمن صلى وخرج مرحوما ان كنت من أمة محمد تقياً وفى رسالة الحسن ان اسماعيل عليه السلام شكا الى ربه حر مكة فاوحى اليه اني أفتح لك بابا من الجنة فى الحجر يخرج عليك الروح منه الى يوم القيامة والروح

بفتح الراء نسيم الريح وفيها عن عثمان بن عفان رضى الله عنه انه أقبل ذات يوم فقال لاصحـابه ألا تسألوني من أين جئت فسألوه فقال كنت قائما على باب الجنة وكان قائما تحت الميزاب يدعو الله عنده ويروى ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ما من أحد يدعو تحت الميزاب الا استجيب له ونقل ابن جماعة عن بعض السلف ان من صلى تحت الميزاب ركعتين ثم دعا بشيء مائة مرة وهو ساجد استجيب له وعن عطاء بن أبي رباح انه قال من قام تحت مثعب الكعبة ودعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أخرجه الازرقى والمثعب مجرى الماء ومسيله ومنه يجيء الشهيد يوم القيامة وجرحه يثعب دما كذا فى النهاية ويروي عن أبي هريرة وسعيد بن جبير وزين العابدين انهم كانوا يلتزمون ماتحت الميزاب من الكعبة

﴿ ومن فضائل الحجر ﴾ ان فيه قبر اسماعيل وأمه هاجر وكان عمره مائة وثلاثين سنة يوم مات وقيل مائة وسبعة وثلاثون ونقل القاضي أبو البقاء بن الضياء في منسكه البحر العميق عن الفقيه اسماعيل الحضرمى نفع الله به انه لما حج سأل المحب الطبرى عن ثلاث مسائل عن الحفرة الملاصقة للكعبة وعن البلاطة الخضراء التى فى الحجر وعن القبرين اللذين يرجمان باسفل مكة عند جبل البكاء فاجاب بان الحفرة مصلى جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم والبلاطة الخضراء قبر اسماعيل ويشبر من رأسها الى ناحية الركن الغربى مما يلى باب بنى سهم ستة أشبار فعند انتهائها يكون رأس اسماعيل عليه السلام

والقبران المرجومان فهو ان البيت الشريف أصبح يوما في دولة بنى العباس وقد لطخه رجلان بالعذرة فقبض عليهما أمير مكة واستأذن الخليفة في أمرهما فامر بصلبهما فرسم فى هذا الموضع وصارا يرجمان الى الآن انتهى وينبغى توقي النوم فيه والاحتراز مما أحدثه العوام من وقوفهم في فتحتى الحجر بقصد السلام كما يزعمون على النبى صلى الله عليه وسلم ومن استدبارهم الكعبة فيهما للدعاء أيضا والمعروف فى آداب الدعاء استقبال البيت قاله ابن جماعة

﴿ ذكر ذرع الحجر من داخله وصفته وخبر شيء من عمارته ﴾

أما ذرعه فمن جدر الكعبة الذى فيه الميزاب الى جدر الحجر المقابل له خمسة عشر ذراعا وسعة ما بين الفتحتين سبعة عشر ذراعا وقيراطان وعرض جداره (١)

وأما صفته فهو عرصة مرخمة عليها جدار مقوس صورته نصف دائرة وأول من رخمه المنصور العباسى فى سنة أربعين ومائة لما حج وذلك انه رأى حجارته بادية فدعا بعامله على مكة زياد بن عبد الله وأمره بانه لا يأتى الصباح الا وقد ستر بالرخام فدعا زياد الصناع فعملوه على السرج قبل أن يصبح ثم جدد بعد ذلك مرارا كثيرة وآخر من عمره على ما هو عليه الآن في زمن هذا التأليف من ملوك الشراكسة قانصوه الغورى على يد مباشر عمائره الاميرخايربك العلاى المعروف عند أهل مكة بالمعمار وذلك فى سنة سبع عشر وتسعمائة وكانت عمارته فى هذه

(١) بياض بالاصل

السنة مرتين الاولى بحجارة منحوتة من جبل الشبيكة والثانية بهذا الرخام الموجود كما ترى

﴿ فرع ﴾ حكم الصلاة فى مقدار مافي الحجر من البيت حكم الصلاة فى الكعبة يجرى فيه الخلاف المتقدم بين الائمة الاربعة وقد علمته فلا نطول باعادته لما فيه من تحصيل الحاصل والله أعلم

﴿ تتميم ﴾ أخرج الفاسى رحمه الله عن بعض مشايخ مكة المتقدمين ان للنبي صلى الله عليه وسلم مصلى بين الحفرة المرخمة و بين الحجر بسكون الجيم عند الحجر المشوبر الذى يقال له المقام المحمدى وان من دعا عنده بهذا الدعاء يا واحد يا واحد ياماجد ياماجد يابر يارحيم ياغنى يا كريم أتم على نعمتك والبسنى عافيتك استجيب له ثم قال والحجر المشوبر الذى هو علامة لهذا المصلى لايعرف الآن والحفرة قد سبق ذكرها وهذا المصلى هو الموضع الثالث الذى ذكره المحب لانه ليس بين الحفرة المشار اليها والركن الشامى مصلى للنبي صلى الله عليه وسلم غيره والله أعلم انتهى بمعناه

﴿ استطراد ﴾ في بيان مصلى آدم عليه السلام عند البيت حين نزل قد تقدم في الباب الاول فى فضل الملتزم عن الازرقى رحمه الله ان آدم طاف بالبيت سبعاً ثم صلى تجاه الكعبة ركعتين ثم أتي الملتزم الى آخر ما قدمته عنه وأخرج الازرقى أيضاً فى رواية أخرى أن آدم عليه السلام حين نزل طاف بالبيت سبعا ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين ونقل الفاسى رحمه الله في شفائه من كلام ابن سراقة ما يقتضى زيادة بيان فى مصلى آدم عليه السلام فقال ومن باب الكعبة الى مصلى

آدم حين فرغ من طوافه وأنزلت عليه التوبة وهو موضع الخلوق من ازار الكعبة أرجح من تسعة أذرع وهناك كان موضع مقام ابراهيم عليه السلام وصلى النبي صلى الله عليه وسلم عنده ركعتي طوافه وبين مصلى آدم والركن الشامي ثمانية أذرع انتهى قال الفاسي وقد تحرر لي مما ذكره ابن سراقه في ذرع ما بين الركن الشامي ومصلى آدم ان يكون مصلى آدم ظننا بقرب الحفرة المرخمة التي في وجه الكعبة بحيث يكون منه الى الحفرة ثلاثة أذرع الا ثلث بالحديد انتهى وفي رواية لابن أبي الدنيا ان صلاة آدم الى جانب الركن اليماني وفي أخرى عن الفاكهي ان الموضع الذي يثبت فيه على آدم دبر الكعبة عند الباب الذي فتحه ابن الزبير جانب الركن اليماني والله أعلم

﴿ فصل في بيان جهات المصلين الى القبلة من سائر الآفاق ﴾

ملخصاً مما ذكره الشيخ عز الدين بن جماعة في دائرته

بحذف الكواكب اذ ليس كل أحد يعرف الاستدلال بها

﴿ فجهة ﴾ مصر وصعيدها الاعلى وسواحلها السفلى أسوان واسنا وقوص والفسطاط والاسكندرية والاكيدم والمحلة ودمياط وبلبيس وبرقه وطرابلس وصفد وساحل المغرب والاندلس وما كان على سمته ما بين الغربي والمزاب

﴿ وجهة ﴾ جانب الشام الغربي ووسط غزة والرملة وبيت المقدس والمدينة الشريفة ودمشق وفلسطين وعكا وصيدا وما والى ذلك من

السواحل على سمته وهى من قبيل ميزاب الكعبة الى دون الركن الغربى

(وجهة)الشام كلها غير ما ذكر وهى حمص وحماه وسلميه وحلب ومنبج وحران وميافارقين وماوالاها من البلاد وسواحل الروم ما بين الميزاب والركن الشامى موقفهم موقف أهل المدينة ودمشق لكنهم يتياسرون شيئاً يسيرا والجهة شاملة للجميع ان شاء الله تعالى

(وجهة) الرها والموصل وملطية وسميشاط وسنجار والجزيرة وديار بكر وما كان على سمت ذلك الى القبلة من الركن الشامى الى مصلى آدم عليه السلام

(وجهة) الكوفة و بغداد وحلوان والقادسية وهمدان والرى ونيسابور وخراسان ومرو وخوارزم وبخارى ونسا وفرغانة والشاش وما كان على سمت ذلك ما بين مصلى آدم عليه السلام الى قرب باب الكعبة

(وجهة) البصرة والاهواز وفارس وكرمان وأصبهان وسجستان وشمال بلاد الصين وما على سمت ذلك من باب الكعبة الى الحجر الاسود

(وجهة) وسط بلاد الصين والهند والمهرجان وكابل والمهديان والتتار والمغل والخدهار وماوالاها وما كان على سمتها من الركن الاسود الى دون مصلى النبى صلى الله عليه وسلم

(وجهة) بلاد الهند وجنوب بلاد الصين وأهل التهايم والسد والبحرين وماوالاها وكان على سمتها من دون مصلى النبى صلى الله عليه وسلم الى ثلثى هذا الجدار

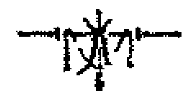
(وجهة) اليمن باسره ظفار وحضرموت وصنعاء وعمان وصعدة

والشحر وسبا وماوالاها وكان علي سمتها من دون الركن اليماني بسبعة أذرع الى الركن اليماني

(وجهة) الحبشة والزنج وزيلع وأكثر بلاد السودان وجزائر فرمان وما والاها من البلاد وكان على سمتها من الركن اليماني الى ثلثى الجدار وهو آخر الباب المسدود

(وجهة) جنوب بلاد البجاة ودهلك وسواكن وبلاد البُنَاسين والنوبة الى بلاد التكرور وما وراء ذلك وما على سمته من بلاد السودان وغيرهم الى البحر المحيط من دون الباب المسدود الى ثلثى الجدار

(وجهة) شمال بلاد البجاة والنوبة وأوسط المغرب من جنوب الواحات الى بلاد أفريقية وأوسط بلاد بربر وبلاد الجريد الى البحر المحيط وهى جهة جدة وعيذاب وجنوب اسوان من دون الركن الغربي بثلث الجدار الى الركن الغربى انتهى ما لخص من الدائرة وهذه الجهات المذكورة هى من حيث الجملة ومن أراد التحرير فى الاستقبال كما ينبغى فليراجع كتب الميقات وما وضع لذلك من الآلات تقف على المراد والله أعلم



الباب السادس

﴿ في فضل مكة زادها الله شرفا وتعظيما ﴾

وحكم المجاورة بها وذكر شيء مما ورد فى ذلك

قال الله تعالى رب اجعل هذا بلدا آمنا يعنى مكة قال النسفى أى اجعل هذا البلد أو المكان بلدا آمنا أى ذا أمن أو آمنا من فيه فهذا مفعول أول وبلدا مفعول ثان وآمنا صفة له وقال تعالى في سورة ابراهيم أيضا رب اجعل هذا البلد آمنا بصيغة التعريف والمراد مكة والفرق بين هذه وبين مافى البقرة انه سأل فى الآية الاولى أن يجعله من جملة البلاد التى يأمن أهلها وفى هذه الآية أن يخرجه من صفة الخوف الى الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا كذا فى المدارك وفى تفسير الكواشى انما عرف هنا ونكر فى البقرة لان النكرة اذا عينت تعرفت وقيل دعا مرتين فحكيتا وقوله بواد غير ذى زرع هو مكة لانه لم يكن بها يومئذ ماء ولاحرث فكانت هاجر ترضع اسماعيل وتأكل من التمر وتشرب من الماء اللذين جاءت بهما معها الى أن نفدا وسيأتي الكلام على ذلك فى محله في فضائل زمزم مستوفي ان شاء الله تعالى وقال جل وعلا وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية يعنى مكة شرفها الله تعالى قال القرطبى ضربها الله مثلا لغيرها من البلاد أى انها مع جوار

بيت الله وعمارة مسجده لما كفر أهلها أصابهم القحط فكيف بغيرها
من البلاد انتهى وكانت العرب قد قطعت على قريش وكفار مكة الميرة
بامر رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم وابتلاهم الله بالجوع سبع سنين
حتي أكلوا الميتة وكان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من
الجوع فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الناس بحمل
الطعام اليهم وهم بعد مشركون كذا فى المعالم وقيل في تفسير قوله
تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين انه دخان قريش هذا
والصحيح انه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل فى أسماع
الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه
كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص
كذا فى المدارك والحنيذ المشوى على حد قوله تعالى فجاء بعجل حنيذ
والخصاص الخلل يقال للفرج التى بين الاثا فى خصاص كذا في الصحاح
وعنه صلى الله عليه وسلم ان أول آيات الساعة الدخان وانه يملأ ما بين
المشرق والمغرب يمكث أربعين ليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام
وأما الكافر فيخرج من منخريه وأذنيه ودبره وقوله كانت آمنة أي من
القتل والسبي وقوله مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن
والانزعاج والقلق مع الخوف وقوله يأتيها رزقها رغدا أى واسعا وقوله
من كل مكان أي من كل بلد على حد قوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل
شيء ومعنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء وقال تعالى
مخاطبا لرسول الله صلي الله عليه وسلم انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة

الذى حرمها قال المفسرون معناه قل يامحمد انما أمرت أن أخص الله تعالى بعبادتي وتوحيدى الذى هو رب هذه البلدة يعني مكة المشرفة وخصها بالذكر دون غيرها لانها مضافة اليه وأحب البلاد وأكرمها عليه وأشاراليها اشارة تعظيم لانها موطن بيته ومهبط وحيه ومعنى حرمها يعنى جعلها حرما آمنا لا يسفك فيه دم ولا يظلم فيه أحد وقال تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد وقال تعالى وهذا البلد الامين المراد مكة لامن الناس فيها جاهلية واسلاما ومعنى القسم به في الموضعين التنويه بشأنه والابانة عن شرفه لما انه مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد سيد المرسلين ومبعث خاتم النبيين وقل تعالى وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا قال المفسرون المراد مكة وسبب نزولها ان الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف قال للنبى صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان ماتقوله حق ولكن نخشي ان اتبعناك على دينك ان تخرجنا العرب من أرضنا يعنى مكة وفى الصحيح انه ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة ليس نقب من نقابها الا وعليه الملائكة صافين يحرسونها والنقب بفتح النون وضمها وسكون القاف هو الباب وقيل الطريق وجمعه نقاب وفي رسالة الحسن البصرى رضى الله عنه التى كتبها لبعض اخوانه بمكة المشرفة يرغبه في الاقامة بها حين بلغه انه نوى التحول عنها قال عليه السلام خير بلدة على وجه الارض وأحبها الي الله عز وجل مكة وقال صلى الله عليه وسلم من مات بمكة فكأنما مات في السماء الدنيا وقال عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من

نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائة عام وقال عليه السلام من مرض يوما واحدا بمكة كتب له من العمل الصالح الذى كان يعمله فى غيرها عبادة ستين سنة وقال عليه السلام ما أحد يخرج منها الا ندم ومامن أحد يخرج منها ثم يعود الا ولله عز وجل فيه حاجة وقال صلى الله عليه وسلم المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة ثم ما أعلم اليوم على وجه الارض بلدة يرفع منها الحسنات وأنواع البر كل واحد منها مائة الف مايرفع من مكة وما أعلم بلدة على وجه الارض فيها شراب الابرار ومصلى الاخيار غيرها (أقول) قد علمتهما فيما سبق فلا يحتاج الى تكرارهما انتهى ثم ماأعلم بلدةعلي وجه الارض يصلى فيها حيث أمرالله نبيه عليه السلام الا بمكة قال الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ثم ما أعلم بلدة يصل فيها للانسان عن طاعات الله تعالى ما يصل اليه بمكة ثم ما أعلم بلدة على وجه الارض اذا دعا أحد بدعاء أمنت الملائكة على دعائه الا بمكة حول البيت الحرام ثم ما أعلم بلدة يحشر منها من الانبياء والصديقين والابرار والفقهاء والزهاد والعباد والصالحين من الرجال والنساء ما يحشر من مكة انهم يحشرون آمين يوم القيامة من عذاب الله ثم ما أعلم بلدة ينزل فيها كل يوم من رائحة الجنة وروحها ما ينزل بمكة واياك ياأخي ثم اياك أن تخرج من مكة فلو انه لم يدخل عليك كل يوم غير فلسين حلالا لكان خيرا لك من الفين فى غيرها والسلام عليك ورحمة الله وبركاته انتهي ما نقل من الرسالة وعن عائشة رضى الله عنها قالت لولا الهجرة لسكنت مكة انى لم أر السماء بمكان أقرب

الى الارض منها بمكة ولم يطمئن قلبي ببلد قط ما اطمأن بمكة ولم أر القمر بمكان قط أحسن منه بمكة أخرجه الازرقى ويروي ان قريشاً وجدوا في الركن أو الكعبة كتابا بالسريانية فلم يدروا ما فيه حتى قرأه لهم رجل من اليهود فاذا فيه أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى يزول اخشباها مبارك لاهلها في الماء واللبن وفي رواية أخرى في الماء واللحم والاخشبان هما جبلان أبو قبيس والمقابل له ومكة بينهما

﴿ فصل فيما يدل على أفضلية مكة على غيرها من البلاد ﴾

(اعلم) ان العلماء أجمعوا على ان مكة والمدينة زادهما الله شرفا وتعظيما أفضل بقاع الارض ويليهما بيت المقدس ثم مكة أفضل من المدينة عندنا وعند الشافعية والحنابلة ووهب وابن حبيب من المالكية وهو قول الجمهور وروى عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ويستدل على ذلك بامور (منها) ما تقدم من الآيات (ومنها) ان الله تعالى اختار من ولد آدم الانبياء بجملتهم ثم اختار منهم الرسل ثم اختار منهم أولى العزم وفيهم أقوال وهم خمسة على الاكثر ذكرهم الله فى سورتى الاحزاب والشورى والمراد بالعزم الحزم والصبر كذا قاله المفسرون ثم اختار منهم خليله وحبيبه ابراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم واختار لهما من الاماكن خيرها وأشرفها وهى مكة جعلها الله مناسك لعباده ومشاعر لوفده وقصاده وأوجب الاتيان اليها من القرب والبعد ودخولهم اليها

متواضعين متخشعين متذللين كاشفين رؤسهم مجردين عن لباس أهل الدنيا فهي خير البلاد وأشرفها

﴿ لطيفة ﴾ ان قيل ما الحكمة في تجريد النأس فى الاحرام قيل ليعلم ان باب الله جل وعلا على خلاف أبواب الملوك لان العادة جرت أن تتزين الناس باللباس الفاخر اذا قصدوا باب المخلوق ففرق بين بابه وباب غيره (وأيضاً) من أهدى الى الملوك ما ليس في خزائنهم يكون أرفع قدرا وليس شيء الا وهو في خزائن الله سوى الافتقار اللهم أغننا بالافتقار اليك ولا تفقرنا بالاستغناء عنك يارب العالمين (ومنها) حديث أبى سلمة عن عبد الله بن عدى بن الحمراء الزهرى قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته واقفاً بالحزورة يقول والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا اني أخرجت منك ماخرجت وهو حديث حسن أخرجه أصحاب السنن وصححه جماعة منهم الترمذى وزاد الامام أحمد واقف بالحزورة فى سوق مكة وقد دخل سوق مكة المذكور فى المسجد بعد ذلك وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بالحزورة وقال انك لخير أرض الله وأحب أرض الله عزوجل ولو تركت فيك ما خرجت منك وفي أخرى عنه والله لقد عرفت أنك أحب البلاد الى الله وأكرمها على الله ولولا ان قومى أخرجونى الحديث وفي رواية ابن عباس ما سكنت غيرك قال بعض العلماء الظاهر ان هذه المقالة كانت منه صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضية حين سألت قريش النبى صلى الله عليه وسلم

أن يخرج من مكة بعد الثلاثة الايام التى أقامها كما وقع الشرط ولا يظن أحد انه عليه السلام قال ذلك حال خروجه للهجرة الى المدينة لانه لم يكن بهذه الصفة حين هاجر وانما كان خروجه اليها مستخفيا كما هو معلوم لا راكبا على راحلته اذ لو كان كذلك لاشعر بسفره وفى تاريخ الازرقى انه عليه السلام قال ذلك عام الفتح فيحمل على انه قاله مرتين اذ لا تنافي ويكون فيه من تعظيم مكة مالا يخفى والحزورة بحاء مهملة مفتوحة وزاء معجمة وعوام مكة يصحفونها ويقولون عزورة بعين مهملة والحزورة هي الرابية الصغيرة جمعها حزاور وكان عندها سوق الحناطين بمكة قديما وهى مخففة على وزن قسورة والمحدثون يشددون الحزورة والحديبية والصواب التخفيف كذا قال الشافعي والدارقطني (ومنها) حديث ابن الزبير رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدي هذا أفضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة الف صلاة في مسجدى رواه أحمد قال ابن عبد البر فى التمهيد انه ثابت لا يطعن فيه ان مضاعفة الصلاة بالمسجد الحرام على مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بمائة مذهب عامة أهل الاثر انتهي وذهب الامام مالك وجمهور أصحابه الى تفضيل المدينة وهو مذهب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكثير من الصحابة وأكثر أهل المدينة واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبرى روضة من رياض الجنة مع قوله عليه السلام موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها قال ابن عبد البر هذا

استدلال بالخبر فى غير ماورد فيه ولا يقاوم النص الوارد فى فضل مكة
ثم ساق حديث أبي سلمة عن ابن الحمراء المتقدم وقال هذا نص في محل
الخلاف فلا ينبغى العدول عنه وأما الحديث المروى اللهم انك تعلم
انهم أخرجونى من أحب البلاد الى فاسكنى أحب البلاد اليك لا يختلف
أهل العلم فى نكارته ووضعه وسئل عنه الامام مالك رضي الله عنه
فقال لا يحل لاحد أن ينسب الكذب الباطل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انتهى قال الطبرى وعلى تقدير صحته فلا دلالة فيه لان قوله
فاسكنى في أحب البلاد يدل سياقه فى العرف على ان المراد به بعد مكة
فان الانسان لا يسأل ما أخرج منه فانه قال أخرجوني فاسكنى فدل على
ارادة غير المخرج منه فتكون مكة مسكوتا عنها انتهى وأما الحديث
الذى فيه المدينة خير من مكة لا يرد لانه ضعيف بل قيل موضوع
قال المجد رحمه الله فان قلت ورد فى الصحيحين عن أنس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما بمكة
من البركة ودعوته صلى الله عليه وسلم مستجابة بلاشك وفيهما أيضاً
ان الملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون ولا الدجال قلت هذه الاحاديث
ونحوها تدل على فضيلة المدينة لا أفضليتها على مكة كما لا يخفى وقوله
صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أوأشد وفى رواية
وأشد لادلالة فيه أما على رواية أو أشد فظاهر لوجود الشك وأما على
رواية وأشد بدون الف أوبها وتكون بمعنى الواو فلان سؤاله عليه السلام
حصول أشدية الحب للمدينة بعد وجود المانع من سكناه مكة تسلية

عنها لا يلزم منه تفضيل المدينة على مكة بعد استحضار ماتقدم من قوله عليه السلام لقد عرفت انك أحب البلاد الى الله وأكرمها على الله بشهادة التأمل انتهى

﴿ فصل ﴾

(واعلم) ان جميع ما سبق من الفضل فيما قدمته محله في غير الموضع الذى ضم أعضاء النبى صلى الله عليه وسلم أما محل قبره فقد نقل القاضى عياض رحمه الله فى شرح مسلم الاجماع على انه أفضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة وان الخلاف فيما سواه ولقد أحسن وأبدع من قال فى المعنى

جزم الجميع بان خير الارض ما قد حاط ذات[1] المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بسا كنها علت كالنفس حين زكت زكا مأواها

قال بعض المحققين وقياسه ان يقال ان الكعبة الشريفة أفضل من سائر بقاع المدينة قطعا ماعدا موضع القبر الشريف

﴿ تنبيه ﴾ روى ابن عبد البر في التمهيد ان المرء يدفن فى البقعة التى أخذ منها ترابه عند ما خلق قال شيخ الاسلام ابن حجر وعلى هذا فقد روى الزبير بن بكار ان جبريل أخذ التراب الذى خلق منه النبى صلى الله عليه وسلم من تراب الكعبة فعلى هذا فالبقعة التى ضمت أعضاءه عليه السلام من تراب الكعبة فرجع الفضل المذكور الى مكة ان صح ذلك

(١) وفي نسخة ضم أعضاء النبي وحواها

والله أعلم انتهى قال بعض العلماء يؤخذ من قولهم المرء يدفن فى البقعة التى أخذ منها ترابه أفضلية سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر على بقية الصحابة لدفنهما بالقرب من النبى صلى الله عليه وسلم المقتضى لكون طينتهما التى خلقا منها من البقعة التى خلق منها النبى صلى الله عليه وسلم

﴿ فائدة ﴾ قال ابن حزم التفضيل المذكور لمكة ثابت لعرفة أيضاً وان كانت من الحل

﴿ فصل ﴾

واعلم ان لمكة أسماء كثيرة قد ذكرها الله تعالى في ثمانية مواضع من القرآن العزيز وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى قال النووى رحمه الله لا يعلم بلد أكثر اسما من مكة والمدينة لكونهما أفضل بقاع الارض وذلك لكثرة الصفات المقتضية للتسمية (فالاول) مما فى التنزيل مكة وذلك في سورة الفتح فى قوله ببطن مكة (الثانى) بكة وذلك في سورة آل عمران قوله تعالى للذى ببكة واختلف فى هذين الاسمين هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين فعن الضحاك ومجاهد انهما بمعنى واحد وصححه ابن قتيبة محتجا بان الباء تبدل من الميم كقولهم ضرب لازم ولازب وسبد رأسه وسمده اذا استأصله واختلف القائلون بالثاني فقيل بكة بالباء موضع البيت قاله ابن عباس وابراهيم النخعى وقيل ما بين الجبلين قاله عكرمة وقيل الكعبة والمسجد قاله الجوهرى وزيد بن أسلم وأما بالميم فقيل القرية وقيل الحرم كله وقيل ذى طوى وقيل ما حوالى

البيت واختلف في اشتقاقها فقيل سميت مكة لانها تمك الجبابرة أى تهلكهم وتذهب نخوتهم وأنشدوا في معناه

يا مكة الفاجر مكى مكا ولا تمكى مذحجا وعكا

وقيل انها تمك الفاجر عنها أى تخرجه وقيل انها تجهد أهلها مأخوذ من قولهم تمككت العظم اذا أخرجت مخه والتمكك الاستقصاء وقيل لانها تجذب الناس اليها من قول العرب امتك الفصيل ضرع أمه اذا امتصه ولم يبق فيه شيئاً وقيل لقلة مائها وقيل لانها تمك الذنوب أى تذهبها ومكة لا تنصرف للعلمية والتأنيث وأما بكة فقيل سميت بذلك لانها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها ما قصدها جبار بسوء الا قصمه الله وقيل لازدحام الناس فيها يبك بعضهم بعضا أى يزحمه في الطواف قاله ابن عباس وقيل لانها تضع من نخوة المتكبرين (الثالث) البلدة وذلك في سورة النمل (الرابع) البلد وذلك في سورتي لا أقسم والتين (الخامس) القرية وذلك فى سورة النحل وقد تقدم الكلام على هذه الآيات آنفاً مستوفى (السادس) أم القرى في قوله تعالى في سورة الشورى لتنذر أم القرى الآية وفي تسميتها بذلك أربعة أقوال أحدها ان الارض دحيت من تحتها قاله الحبر ابن عباس وقال ابن قتيبة لانها أقدم الارض الثاني لانها قبلة يؤمها الناس الثالث لانها أعظم القرى شأناً الرابع لان فيها بيت الله تعالى ولما جرت العادة بان الملك وبلده مقدمان على جميع الاماكن سميت أما لان الام متقدمة كذا فى القرى (السابع) معاد بفتح الميم في قوله تعالى فى سورة القصص ان الذى فرض

عليك القرآن لرادك الى معاد أى مكة كما في صحيح البخاري عن ابن عباس (الثامن) الوادي فى قوله تعالى في سورة ابراهيم بواد غير ذى زرع المراد به مكة كما تقدم آنفا في تفسير الكواشي وأما ماذكر من أسماء مكة (فى غير القرآن) فكثيرة (من ذلك) تسميتها بالناسه بالنون والسين المهملة المشددة ومعنى ذلك انها تنس من ألحد فيها أى تطرده وتنفيه ذكره النووى وغيره (ومن ذلك) النساسة بالنون وتشديد السين الاولي والمعنى في ذلك كالمعنى فى الناسة (ومن ذلك) الحاطمة لحطمها الملحدين ذكره الازرقى (ومن ذلك) صلاح بصاد مهملة مفتوحة وحاء مهملة وسميت بذلك لامنها وقد جاء فى قول أبي سفيان بن حرب لابن الحضرمى

أبا مطر هلم الى صلاح ... فيكفيك الندامى من قريش
وتنزل بلدة عزت قديما ... وتأمن أن يزورك رب جيش

وهو مبنى على الكسر كحذام وقطام وماوازنهما وقد تصرف كما فى شعر أبى سفيان (ومن) أسمائها (العرش) بعين مهملة مفتوحه وراء مهملة ساكنة ذكره ابن جماعة (ومن) أسمائها (العريش) بزيادة ياء مثناة من تحت ذكره ابن جماعة أيضا وعزاه الى قول ابن سيده (ومن) أسمائها (القادس) نقله الفاسى عن صاحب المطالع وهو مأخوذ من التقديس أى التطهير يعني انها تطهر من الذنوب ومن أسمائها (المقدسة) ذكره النووى وغيره والمعنى فيه كما فى الذى قبله ومن أسمائها (القادسة) ذكره العز بن جماعة ولم يعزه (أقول) ويكون المعنى والله أعلم الطاهرة

على حد الاسمين المتقدمين لمادة الاشتقاق اللغوى انتهى ومن أسمائها (كوثي) ذكره الازرقى عن مجاهد ونقله السهيلى أيضاً فى روضته وكذا صاحب المطالع الا انه قال باسم بقعة منها منزل بنى عبد الدار وأفاد الفاسى عن الفاكهى ان كوثي فى ناحية قعيقعان وقيل ان كوثي جبل بمنى وهى بكاف مضمومة وثاء مثلثة ومن أسمائها (الحرم) بحاء وراء مهملتين ومن أسمائها (برة) ومن أسمائها (المسجد الحرام) ومن أسمائها (المعطشة) ذكر هذه الاربعة العلامة ابن خليل فى منسكه فأما برة والمعطشة فلم يعزهما ولم يذكر لهما معنى وفى القرآن العظيم مايشهد لتسميتها بالمسجد الحرام كما نقله المرجاني عن ابن مسدى (أقول) ولعله أراد قوله تعالى في سورة الفتح لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله الآية فان المراد مكة كما ذكره المفسرون والله الموفق ومن أسمائها (الرتاج) براء مهملة وتاء مثناة من فوق والف ثم جيم نقله المحب الطبرى فى شرح التنبيه حسبما ذكره ابن جماعة ومن أسمائها (أم رحم) براء مهملة مضمومة كذا حكى عن مجاهد لان الناس يتراحمون فيها ويتوادعون ومن أسمائها (أم زحم) بزاء معجمة من الازدحام نقله الفاسى عن الرشاطى رحمهما الله ومن أسمائها (أم صبح) ومن أسمائها (أم روح) ذكرهما ابن الاثير فى كتابه المرصع ومن أسمائها (بساق) ذكره ابن رشيق فى العمدة مستدلا بشعر لامية ابن حرتاه وقيل ان بساق بلدة بالحجاز وهو بباء موحدة وسين مهملة والف وقاف ومن أسمائها (البيت العتيق) ذكره الازرقى وغيره قال الفاسى ولعل ذلك من تسمية الكل

باسم البعض وهو مجاز شائع لكن يرد على ذلك تسمية مكة باسماء الكعبة كلها اذا لحظ هذا المعنى انتهى (أقول) على هذا يكون لمكة فى القرآن عشرة أسماء بل وأكثر عند التتبع والتدبر فتأمل والله الموفق ومن أسمائها (الرأس) ذكره النووى والسهيلى وغيرهما والمعنى انها أشرف الارض كرأس الانسان فانه أشرف أعضائه ومن أسمائها (المكتان) ذكره الفاسى عن شيخه بالاجازة برهان الدين القيراطى ثم قال ولعله أخذ ذلك من قول ورقة بن نوفل الاسدى

بيطن المكتين على رجائى حديثك ان رأى منه خروجا

قال السهيلى بعد ان ذكر هذا البيت ثنى مكة وهي واحدة لان لها بطاحا وظواهر وانما مقصد العرب فى هذه الاشارة الى جانبى كل بلدة أو الاشارة الى أعلى البلد وأسفلها فيجعلونها اثنين على هذا المعنى انتهى ومن شعر عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى فى حصار عثمان ابن عفان رضي الله عنه

أرى الامر لايزداد الا تفاقما وأنصارنا بالمكتين قليل

وأسلمنا أهل المدينة والهوى الى أهل مصر والدليل دليل

ومن أسمائها (النابية) بالنون والموحدة ذكره الشيخ عماد الدين ابن كثير فى تفسيره ومن أسمائها (أم الرحمة) ومن اسمائها (أم كوثى) ذكرهما المرجانى وعزا الاول الى ابن العربي ولم يعزالثانى ولم يذكر له معنى ومن اسمائها (الباسة) بالباء الموحدة والسين المهملة لانها تبس الملحد فيها أى تهلكه من قوله تعالى وبست الجبال بسا ومن أسمائها

(النساسة) لانها تنس الملحد أى تطرده وقيل لقلة مائها والنس اليبس ذكرها ابن جماعة ومن أسمائها (الناشة) بالنون والشين المعجمة (والبساسة) بموحدة وسينين مهملتين بينهما الف والمعنى فيه ظاهر (وطيبة) لطيبها (وسبوحة والسلام والعذراء ونادرة والعرش) بضم العين والراء المهملتين بعدها شين معجمة (والعرويش) بزيادة واو (والحرمة) بضم الحاء المهملة (والحرمة) بكسرها (والعروض والسيل ومخرج صدق وقرية الحمس وأم راحم) والمعنى ما تقدم فى أم رحم (وقرية النمل ونقرة الغراب) والحمس قريش فهذه ثمانية عشر اسما ذكرها العلامة مجد الدين الشيرازى مع ذكر غيرها أيضاً مما تقدم ومما سيأتي مما ذكره غيره ومن أراد الوقوف على اشتقاق كل اسم مع ذكر شواهده وفوائده فليراجع شرح صحيح البخارى للقاضى مجد الدين المذكوران وجده قال الفاسى رحمه الله قلت قرية النمل ونقرة الغراب علامتان لموضع زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها وعدها بعضهم اسمين مجازا فان كان شيخنا مجد الدين لحظ كونهما اسمين لزمزم وسمى بهما مكة من باب تسمية الكل باسم البعض وهو مجاز شائع فيصح على هذا ان يذكر فى أسماء مكة الصفا والمروة والحزورة وغير ذلك من المواضع المشهورة بمكة وقوله وقرية الحمس ان كان لحظ في تسميته مكة بذلك ان الحمس كانوا سكان مكة فيصح على هذا ان يذكر فى أسماء مكة قرية العمالقة وقرية جرهم لكونهم كانوا سكان مكة قبل الحمس اللهم الا أن تكون تسمية مكة بقرية النمل ونقرة الغراب وقرية الحمس منقولة عن أهل اللغة فلا يقاس عليه غيره والله

أعلم انتهى ماقاله الفاسى (أقول) وهو كلام عظيم وبحث عظيم مستقيم لكن فى تسمية مكة بقرية الحمس الذين هم قريش دون من ذكر من العمالقة وجرهم وغيرهم من سكانها قبلهم أوفى دليل على فضل قريش ومزيد شرفهم وذلك لتميزهم بكونهم أهل الله وتسميتهم بذلك وهم في حال الشرك لما ورد في حقهم من الآيات والاحاديث والاخبار التى ستقف عليها فيما سيأتي مفصلا فى محله ان شاء الله تعالى وكيف ومنهم سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم انتهى ومن أسماء مكة أيضاً (البنية وقادان) ذكرهما ياقوت الحموى وقد نظم القاضى أبو البقاء ابن الضياء الحنفى رحمه الله سبعة أبيات جمع فيها من أسماء مكة نحو ثلاثين اسما وهى

لمكة أسماء ثلاثون عددت ... ومن بعد ذاك اثنان منها اسم بكة
صلاح وكوثى والحرام وقادس ... وحاطمة البلد العريش بقرية
ومعطشة أم القرى رحم ناسة ... ونساسة رأس بفتح لهمزة
مقدسة والقادسة ناشة ... ورأس وتاج أم كوثى كبرة
سبوحة عرش أم رحمن عرشنا ... كذا حرم البلد الامين كبلدة
كذاك اسمها البلد الحرام لامنها ... وبالمسجد الاسنى الحرام تسمت
وما كثرة الاسماء الا لفضلها ... حباها به الرحمن من أجل كعبة

وما أحسن ما أنشده بعض العلماء على لسان حال النبى صلى الله عليه وسلم في مكة شرفها الله تعالى

أحب بلاد الله ما بين منعج ... الى وسلمي ان تصوب سحابها

بلاد بها نيطت على تمائمي　　وأول أرض مس جلدي ترابها

ولبعضهم من قصيدة طويلة في المفاخرة بين مكة والمدينة

لمكة مجد باذخ الركن والقنن　　وفضل منيف باسق الدوح والفنن
ومكة فيها كعبة الحسن كله　　وزينها في خدها خالها الحسن
ومكة للمختار مسقط رأسه　　وكان له فيها احتضان لمن حضن
وفى مكة منشا أبيه وجده　　وأعمامه والاصل والفرع والشجن
وفي مكة وافاه جبريل أولا　　وكله بالوحى فى السر والعلن
وفى مكة كانت مبادي كلامه　　وانزاله القرآن والخير فى قرن
وفى مكة أبدى الهدى نور وجهه　　وكانت بها من قبل بشرى ابن ذي يزن
وفى مكة أسرى به الله ربه　　وطاف به السبع السموات في سنن
وفي مكة فتح مبين تنزلت　　به سورة بانت بفضل لها ابن
وفي مكة كانت ولادة نسله　　وما انجبت منه خديجة فى الحجن
وفي مكة موطى الخليل وداره　　وزمزمه والحجر والمنزل الاغن

وهى طويلة وهذا بعض منها يستدل به على المراد

﴿ فائدة ﴾ اذا كتب بدم المرعوف على جبينه مكة وسط الدنيا والله رؤف بالعباد انقطع الدم

﴿ ومن خصائص مكة شرفها الله تعالى ﴾ ان من واظب فيها على أكل اللحم وشرب الماء فقط لم يضر ذلك باطنه وفى غيرها يحصل منه الضرر أخرجه الازرقى

﴿ فرع ﴾ اختلف العلماء في المجاورة بمكة المشرفة فذهب امامنا أبو

حنيفة رضى الله عنه وطائفة من العلماء منهم ابن رشد من المالكية والقاضى أبو الطيب من الشافعية الى كراهة المقام بها لاسباب ثلاثة (أحدها) خوف التقصير فى حرمتها والتبرم اذ ملازمة المكان تفضي الى قلة المهابة والتعظيم ولذلك كان عمر رضى الله عنه يأمر الحاج بالرجوع الى أوطانهم (الثاني) تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود كما قال بعض العلماء لأن تكون فى بلد وقلبك مشتاق الى مكة خير لك من ان تكون فيها وأنت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر (الثالث) الخوف من ارتكاب الخطايا بها فان ذلك محظور كبير ومع ذلك فلا يظن أحد ان كراهة المقام بمكة يناقض فضل الكعبة لان هذه كراهة سببها ضعف الخلق عن القيام بحقوق الله تعالى كذا قاله الغزالى وعن عمر رضى الله عنه انه قال لخطيئة أصيبها بمكة أعز على من سبعين خطيئة بغيرها وذهب الشافعى وأحمد وغيرهما من العلماء منهم أبو يوسف ومحمد من أصحابنا وابن القاسم من المالكية الى استحباب المجاورة بها لما يحصل فيها من الطاعات التى لا تحصل فى غيرها وتضعيف الصلوات والحسنات وغير ذلك والفتوى عندنا على قول الصاحبين كما صرح به الفارسى فى منسكه عن المبسوط والدليل على الاستحباب ما تقدم من حديث أبي الحمراء وقول عائشة فلا نعيده

﴿ فائدة ﴾ قال ابن الجوزى فى مثير العزم بلغ عدة من استوطن مكة من الصحابة أربعة وخمسون رجلا ومن التابعين جماعة كثيرة وقد جاور بها عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم

﴿ تنبيهان الاول ﴾ ما تقدم من الكلام محله فى المجاورة فقط من غير سكني وأما السكنى والانقطاع فهو بالمدينة أفضل ويشهد له ماثبت من حديث ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعاً وشهيدا يوم القيامة وفي الصحيحين اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة وأشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها الي الجحفة وهى رابغ ولم يرد فى سكنى مكة شيء من ذلك بل كرهه جماعة من العلماء كما سبق (الثاني) روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من مات بالمدينة كنت له شفيعاً يوم القيامة وفى الترمذى من حديث عمر مرفوعا من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني أشفع لمن يموت بها فالموت حينئذ بالمدينة الشريفة أفضل من الموت بمكة لهذه الاحاديث ولانه من لازم أفضلية السكنى بها على السكني بمكة المشرفة وان كان قد ورد ما يقتضى ان الموت بمكة فيه فضل عظيم كذا فى منسك الجد نور الله ضريحه والله تعالى أعلم

الباب السابع

﴿ في فضل الحرم وحرمته والمسجد الحرام ﴾

وزيادة الثواب للعامل فيه على غيره وتضعيفه وذكر شيء من خبر عمارته وتوسعته

قال الله تعالى أولم نمكن لهم حرما آمنا الآية وقد تقدم الكلام على أول هذه الآية في الباب الخامس

﴿ لطيفة ﴾ قال النسفي واسناد الامن المذكور الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز وقال الله تعالى أولم يروا يعنى أهل مكة انا جعلنا حرما آمنا الآية (واعلم) ان حرم مكة المذكور هو ما أحاط بها من جوانبها وقد جعل الله حكمه حكم مكة تشريفاً لها (وفى سبب) كون هذا القدر المخصوص حرما أقوال فقيل ان آدم عليه السلام لما أهبط الي الارض خاف على نفسه من سكان الارض وهم يومئذ الجن والشياطين فبعث الله ملائكة يحرسونه فوقفوا فى موضع انصاب الحرم من كل جانب فصار ما بينه وبين موقف الملائكة حرما وقيل ان الحجر الاسود لما وضعه الخليل عليه السلام في الكعبة حين بناها أضاء يمينا وشمالا وشرقا وغربا فحرم الله عز وجل من حيث انتهى النور وقيل أهبط الله البيت الى آدم وهو من ياقوتة حمراء تلتهب التهابا وله بابان

شرقي وغربي فاضاء نوره مابين المشرق والمغرب ففزع لذلك سكان الارض ورقوا في الجو ينظرون من أين ذلك النور فلما رأوه من مكة أقبلوا اليه فارسل الله حينئذ الملائكة فقاموا فى مكان الانصاب فمنعتهم فمن ثم ابتدأ اسم الحرم وقيل غير ذلك (وأول) من نصب أنصاب الحرم ابراهيم الخليل بتوقيف جبريل عليه السلام ثم جددها قصي بن كلاب بعد ذلك وقيل بل جددها اسماعيل عليه السلام بعد أبيه ثم قصي بعده وقيل ان أول من نصبها عدنان بن أد حين خاف أن يدرس الحرم ثم نزعتها قريش بعد ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم اذ ذاك بمكة قبل هجرته فاشتد ذلك عليه فجاءه جبريل عليه السلام وأخبره انهم سيعيدونها فرأى عدة من قريش في المنام كان قائلا يقول حرم أعزكم الله به ومنعكم نزعتم أنصابه الآن تتخطفكم العرب فاعادوها فاخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له عليه السلام هل أصابوا فى ذلك فقال جبريل عليه السلام ماوضعوا نصباً الا بيد ملك ثم جددت عام الفتح بامره صلى الله عليه وسلم وجددت أيضاً فى زمن عمر وعثمان ومعاوية وعبد الملك بن مروان والمهدى العباسى

واختلف العلماء في مكة وحرمها هل صار آمناً بسؤال الخليل عليه السلام أم كان ذلك منذ خلق الله السموات والارض الصحيح الثاني ويشهد له ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لى الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده

ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه الى آخر ماقال صلى الله عليه وسلم فقال العباس يارسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر متفق عليه وورد فى لفظ في الصحيحين ولا يعضد شجرها يعنى مكة والمراد الحرم (سؤال) ان قيل قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة فهذا تصريح بتحريم الخليل عليه السلام أجيب عنه بان ابراهيم عليه السلام انما أظهر حكم التحريم بعد ان كان مهجورا وسببه ان الطوفان لما وقع اندرس البيت الشريف ونسى ذلك الحكم وهجر و الذي تجدد بسؤال ابراهيم هو أن يجعله آمنا من الجدب والقحط وان يرزق أهله من الثمرات والعضد فيما تقدم القطع والمراد من تنفير صيده ان لا يصاح عليه فينفره (أقول) اذا كان المراد من التنفير ما ذكر فمن باب أولى أن لا يضرب بعصا وحجر ونحوهما كما يفعله كثير من الناس لتأذيه بذلك أكثر ويستفاد من ذكر الصيد العموم سواء كان من الحمام القاطن بمكة أو من غيره مما يدخل من الحل اليها لانه بالدخول استفاد الامن كما صرح به علماؤنا في فروعهم انتهى وعن عكرمة تنفير الصيد ان تنحيه من الظل وتنزل مكانه والخلا بفتح الخاء والقصر الحشيش اذا كان رطباً فاذا يبس فهو حشيش وهشيم والاختلاء القطع أيضاً والاذخر نبت طيب الريح معروف عند أهل مكة وفي حكم الاذخر السنا ونحوه مما يحتاج اليه (أقول) لقائل أن يقول هذا اذا كان ما يحتاج اليه من الاذخر ونحوه لا ينبت الا في الحرم فقط وأما اذا نبت فيه وفى الحل فينبغى ان يترك

مافى الحرم ويؤخذ مما في الحل امتثالا للحديث وعملا بمقتضاه وان كان في ذلك مشقة لانه حينئذ يكون أخذا بالعزيمة والاستثناء فى الحديث للرخصة انتهى والقين الحداد لانه يحتاج اليه فى عمل النار واحتياج البيوت لاجل السقوف واستثناؤه صلى الله عليه وسلم على الفور تمسك به من الاصوليين من يقول بجواز الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم أو تفويض الحكم اليه ثم قيل ان السبب في سؤال العباس رضي الله عنه كونه من أهل مكة وقد علم انه لا بدلهم منه (أقول) غيرالعباس من قريش من أهل مكة أيضاً ولم يسأل فاما لكونه لم يعلم انهم لم يستغنوا عنه أو يكون ترك ذلك تأدبا مع العباس لمكانته وفضله وقربه منه صلى الله عليه وسلم فتأمل انتهى قال شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله فى فتح البارى ناقلا عن ابن التين والحق ان سؤال العباس كان على وجه الضراعة وترخيص النبى صلى الله عليه وسلم كان تبليغاً عن الله اما بطريق الوحى أو الالهام ومن ادعى ان نزول الوحى يحتاج الى أمد متسع فقد وهم انتهى

﴿ فصل ﴾

واعلم ان لهذا الحرم الشريف فضائل كثيرة وخصائص حميدة شهيرة تدل على شرفه وفضله وخيره ويمتاز بها على كثير من البلاد غيره

﴿ فمن فضائله ﴾ ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كانت الانبياء عليهم السلام يدخلون الحرم مشاة حفاة وعنه أيضاً انه قال حج الحواريون فلما بلغوا الحرم مشوا تعظيما له وعن جابر بن

عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما عقر ثمود
الناقة وأخذتهم الصيحة لم يبق منهم أحد الا رجلا واحدا كان فى
حرم الله عز وجل فمنعه الحرم فقالوا من هو يارسول الله فقال أبو رغال
أبو ثقيف فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه رواه مسلم
ورغال بالغين المعجمة وقوله أبو ثقيف يعنى جدهم ونقل الزمخشرى ان
النبى صالحا عليه السلام وجه أبا رغال على صدقات فاساء السيرة فقتله
ثقيف وهو الذى يرجم قبره بمكة وقيل انه دليل أبرهة الى البيت
انتهى ويقال ان قبره بالمغمس باق الى الآن والله أعلم وروى انه
صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة اذا أراد قضاء حاجته يخرج الى المغمس
ونقل عن الشيخ أبي عمرو الزجاجى أحد مشايخ الصوفية المشهورين
انه أقام أربعين سنة بمكة لم يبل ولم يتغوط فى الحرم وأما خصائص
الحرم المطهر فتجل عن الحصر (منها) انه لا يدخله أحد الا باحرام
وهل ذلك واجب أو مستحب فيه خلاف بين الأئمة رضى الله عنهم
والوجوب مذهبنا (ومنها) تحريم صيده على جميع الناس سواء فى ذلك
أهل الحرم وغيرهم وسواء المحرم منهم والحلال بل يجب عندنا ارسال
صيد الحل اذا دخل الحرم لاستفادته الأمن بدخوله وان ذبح حرم
أكله (ومنها) تحريم قطع شجره وحشيشه كما تقدم في خطبة الفتح
(ومنها) ان من دان بغير دين الاسلام منع من دخوله مقيما كان أو
مارا كما هو مذهب الشافعى رحمه الله تعالى وجمهور الفقهاء ماعدا امامنا
أبا حنيفة رضى الله عنه ورحمه فانه جوز ذلك لمن لم يستوطن (ومنها)

ان لقطته لا تحل لتملك وانما تحل لمنشد وهذا مذهب الشافعى رضى الله
عنه وأرضاه وعند الائمة الثلاثة ان حكم لقطة الحرم كغيره من البلاد
والمذهب عندنا انها تحل للمعرف بعد سنة والمراد بالمنشد عندنا المعرف
وعند الشافعى المالك (ومنها) تحريم دفن المشرك فيه ولو دفن ينبش
مالم يعلم تفسخه (ومنها) تغليظ الدية بالقتل فيه بزيادة ثلثها سواء كان
القتل عمدا أو خطأ عند الشافعية والحنابلة كما نقله ابن جماعة فى منسكه
قال الفاسي وفيما نقله عن الشافعية نظر لان الصحيح عندهم ان التغليظ
باعتبار التثليث بان يكون ثلاثين حقة وثلاثين جذعة وأربعين خلفة
وهذا لا يفهم مما نقله ابن جماعة والله أعلم (ومنها) تحريم اخراج أحجاره
وترابه الى الحل سواء قل أو كثر كما هو مذهب الشافعى وعندنا انما
يحرم اخراج الكثير من ذلك المؤدى الى التخريب واما اخراج القدر
اليسير للتبرك فلا بأس به ويكره ادخال ذلك من الحل اليه لئلا يحدث
لها حرمة لم تكن له (ومنها) ان ذبح دماء الهدايا والجبرانات مختص
به ولا يجوز فى غيره (ومنها) ان المتمتع والقارن اذا كانا من أهله لادم
عليهما عند مالك والشافعى وأكثر العلماء لكونهما من حاضرى المسجد
الحرام وهذا بناء على جواز ذلك من أهل الحرم خلافا لمذهبنا (ومنها)
ان الصلاة النافلة التى لا سبب لها لا تكره فى وقت من الاوقات سواء
في ذلك مكة وسائر الحرم بخلاف خارج الحرم فانها هناك مكروهة وهو
مذهب الشافعى وخالف أصحابنا فى ذلك وأطلقوا الكراهة واستدل
الشافعى رحمه الله بما رواه جبير بن مطعم عن النبى صلى الله عليه وسلم

انه قال يا بني عبدمناف لا تمنعوا أحدا يصلي عند هذا البيت أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه الدارقطني وجوز البيهقي في المراد بالصلاة احتمالين أحدهما ان يكون المراد بالصلاة صلاة الطواف خاصة قال وهو الاشبه بالآثار والاحتمال الآخر ان يكون المراد جميع الصلوات قال ابن جماعة ولفظ حديث الدارقطني يرد الاحتمال الاول الذي ذكره البيهقي وفيه بعد ومنع بعضهم الاستدلال بهذا الحديث لعموم النهي كما هو مذهبنا ومذهب المالكية والله أعلم انه أشبه بالآثار وتأول بعضهم الصلاة على الدعاء (ومنها) ان الانسان اذا نذر قصـده لزمه الذهاب اليه بحج أو عمرة كما هو مذهب الشافعي والامامين أبي يوسف ومحمد من أصحابنا بخلاف غيره من المساجد فانه لا يجب الذهاب اليه اذا نذره الا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسجد الاقصى على الاصح عند النووي وفيه خلاف بين العلماء (ومنها) تضعيف الاجر في الصلاة بمكة وكذا سائر الحرم كما رجحه جماعة من أهل العلم وحكم سائر أنواع الطاعات في التضعيف حكم الصلاة وستقف عليه قريباً ان شاء الله تعالى (ومنها) اذا نذر أن ينحر بمكة لزمه النحر بها والتصدق باللحم على مساكين الحرم فقط عند الشافعي وعندنا يجوز على غيرهم أيضاً وقد تقدم ولو نذر ذلك في بلد آخر لم يصح نذره على الراجح (ومنها) تضاعف السيئة به كما نقله المحب الطبري في القرى عن مجاهد وأحمد بن حنبل وكذلك نقل عن غيرهما من العلماء والصحيح من مذاهب العلماء ان السيئة بالحرم كغيره (ومنها) ان المقيم بالحرم لا يجوز له احرام الحج الا منه (ومنها) ان المستحب لاهل مكة ان

يصلوا العيد فى المسجد الحرام لا فى الصحراء بخلاف غيرهم وذلك لفضيلة البقعة ومشاهدة الكعبة وذهب جماعة من العلماء منهم الغزالى الى ان حكم المسجد الاقصى في ذلك كمسجد مكة ومال النووى الى خلاف ذلك قال لم يتعرض الجمهور له وظاهر اطلاقهم انه كغيره (ومنها) ان الانسان يؤاخذ بهمه بالسيئة بالحرم وان كان بعيدا عنه كما يروي من حديث عبد الله بن مسعود فى قوله عز وجل ومن يرد فيه بالحاد الآية انه قال لو ان رجلا هم فيه بالحاد وهو بعدن أبين لا ذاقه الله عز وجل عذابا اليما ووجه اختصاص الحرم بهذا الحكم أن غيره من البلاد اذا هم الانسان فيه بسيئة لا يؤاخذ بها الا اذا عملها كما هو موجب حديث ابن عباس رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل فى كتابة الحسنات والسيئات وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة وهذا الحديث فى الصحيحين وظاهره يقتضي عموم البلاد فى حق هذا الحكم فيدخل الحرم فى ذلك لكن حديث ابن مسعود المتقدم آنفا يخص الحرم والله أعلم (ومنها) وجوب قصده فى كل سنة على طائفة من الناس لاقامة فريضة الحج (ومنها) اختصاص حمام مكة فى الجزاء بشاة من غير حكم اذا أصيب فى الحرم كما هو مذهب مالك والشافعى رحمهما الله تعالى (ومنها) ان الجارح يتبع الصيد فاذا دخل الحرم تركه كذا نقله ابن الحاج عن بعض المفسرين (ومنها) ان أهل الحرم لا يقاتلون اذا بغوا فيه عند بعض العلماء لكن يضيق عليهم حتى يكفوا عن ذلك وقال

القفال من الشافعية انه يمتنع أيضا قتال الكفار بالحرم اذا تحصنوا فيه وهو مقتضى مذهب مالك رحمه الله نص عليه ابن الحاجب فى مختصره وذهب أكثر العلماء الى جواز قتال الكفار والبغاة بمكة تقديما لحق الله تعالى كما صححه النووى وأجابوا عن الاحاديث الصحيحة الواردة فى تحريم القتال بمكة بان معناها تحريم نصب القتال عليهم بما يعم كالمنجنيق وشبهه اذا أمكن اصلاح الحال بدون ذلك بخلاف ما اذا تحصن كفار فى بلد آخر فانه يجوز قتالهم على كل وجه بكل شىء وذكران الشافعى رحمه الله نص على هذا التأويل (ومنها) عند امامنا أبى حنيفة ان القاتل عمدا والزاني المحصن والحربى الذى بغير أمان اذا لجؤوا الى الحرم لا يقتل الاول والثالث ولا يقام الحد على الثانى ماداموا في الحرم بل يضيق عليهم حتى يخرجوا منه ويستوفي من كل ما وجب عليه وهذا احدى الروايتين عن الامام أحمد ومذهب مالك والشافعى ان الحرم لا تمنع من استيفاء القصاص والحد (ومنها) على ماقال ابن الصلاح من الشافعية لايجوز أخذ شىء من مساويك الحرم وذكر ابن الحاج من المالكية انه يجوز (ومنها) ان المستنجي بحجارة الحرم مسىء ويجزئه ذلك قاله الماوردى (ومنها) انه لا يحل حمل السلاح بالحرم لغير ضرورة عند مالك والشافعى لما رواه جابر فى الصحيحين (ومنها) ان الله تبارك وتعالى أوجب على أهلها التوسعة على الحجيج اذا قدموا مكة وان لا يأخذوا منهم أجرا على نزولهم في مساكنها كما هو مفهوم كلام ابن عساكر في فضل منى وفى كلام السهيلى ما يقويه أيضا

(ومنها) انه يمتنع على المهاجر منها الاقامة بها الا ثلاثة أيام بعد الصدر كما هو معنى ما رواه ابن الحضرمى عن النبى صلى الله عليه وسلم (ومنها) ان الطاعون والدجال لا يدخلان الحرم ولا المدينة الشريفة كما ذكره الحافظ عمر بن شبة فى أخبار مكة واستدل بحديث ورد فى ذلك نقله العلامة ابن حجر فى فتح البارى وذكر ان رجاله رجال الصحيح ثم قال وعلى هذا فالذى نقل انه وجد فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ليس كما ظن من نقل ذلك أو يجاب ان تحقق ذلك بجواب القرطبى وهو أن لا يدخلها من الطاعون مثل الذى فى غيرها كطاعون عمواس والجارف وهو جواب صالح على تقدير التنزل ان لو وقع شىء من ذلك بها انتهى (ومنها) ان سيل الحل لا يدخل الحرم وانما يخرج من الحرم الى الحل واذا انتهى سيل الحل الى الحرم وقف (ومنها) أيضا خصال خمس تتعلق بمنى ﴿ الاولى ﴾ ان حصى الجمار على كثرته وتزايده فى كل عام يمتحق ويرى على قدر واحد وقد ورد ان ما تقبل رفع ولولا ذلك لصار ركاما ﴿ الثانية ﴾ ان اللحوم فى أيام منى تشرق وتوضع على الجدرات وعلى صخرات الجبال وأسطحة البيوت وهى محروسة بحراسة الله تعالى من خطف الطيور وقد شوهد ان الحدأة اذا رأت شيئا أحمر بيد انسان أو على رأسه انقضت عليه لكى تخطفه وهى تحوم على تلك اللحوم لا تستطيع أن ترزأ منها شيئا وقيل انما سميت أيام التشريق لهذا المعنى ﴿ الثالثة ﴾ ان الذباب فى أيام منى لا يقع على الطعام بل يؤكل العسل ونحوه فلا يقع فيه بل قل أن يحوم عليه هذا مع كثرة العفونات

الجالبة لكثرة الذباب فاذا انقضت تلك الايام تهافت الذباب على ذلك حتى لا يطيب للطاعم طعام وفى ذلك عبرة ﴿ الرابعة ﴾ اتساعها للحجيج روى أبو الدرداء رضى الله عنه قال قلنا يارسول الله ان أمر منى لعجيب هى ضيقة فاذا نزلهـا الناس اتسعت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما مثل منى كالرحم اذا حملت وسعها الله تعالى ﴿ الخامس ﴾ ان البعوض تكون كثيرة بمنى في طول السنة الافى أيام الموسم فانها تقل فيها جدا ذكره أبو سعيد في الوفا (أقول) بل لعل البعوض لا يوجد في أيام الموسم بمني وان وجد القليل منه فلا يؤذى وقد جربت ذلك والله الموفق

﴿ فصل ﴾

وأما المسجد الحرام فاعلم ان له أربع استعمالات (أحدها) نفس الكعبة لقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام (الثاني) الكعبة وما حولها من المسجد قال النووي وهو الغالب واستدل له بقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام اذ المراد به نفس المسجد في قول أنس بن مالك رضى الله عنه ورجحه الطبرى وفى الصحيح ما يقويه وعليه فهل كان الاسراء من الحجر أو من الحطيم قولان وقيل أسرى به من بيت أم هانئ وقيل من شعب أبى طالب فيكون المراد على هذا فى هذه الآية مكة كما في القول الآتى قال ابن المنير وهذه الآية لا تنافى شيئاً من هذه الروايات الاربع لان المسجد

الحرام مكة بل الحرم بجملته وهذه البقاع كلها داخلة في اللفظ انتهى
(الثالث) جميع مكة لقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام قال ابن عطية
وأعظم القصد هنا مكة (الرابع) جميع الحرم الذى يحرم صيده ومنه قوله
تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين عند المسجد الحرام وعهدهم انما كان
بالحديبية وهى من الحرم وكذا قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا
المسجد الحرام وقوله ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام قال
ابن عباس انه جميع الحرم قال الماوردى حيث ذكر الله المسجد الحرام
فى كتابه فالمراد به الحرم الا فى قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد
الحرام فان المراد به الكعبة شرفها الله تعالى

﴿ استطراد مفيد ﴾

﴿ فى الكلام على تعيين ليلة الاسراء ويومها الذي أسفرت عنه
ومكانه من العشر ومكان العشر من الشهر ومكان الشهر
من السنة ومكانها من السنين لان الشىء بالشىء يذكر
وحيث ذكرت آية الاسراء رأيت أن أذكر ما يتعلق
بتاريخ الاسراء لما فيه من زيادة الفائدة مع بيان ما هو
المعتمد والمرجح فاقول ﴾

فاعلم ان للعلماء فى تعيين ليلة الاسراء أقوالا كثيرة فقيل انه كان
ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة قاله ابراهيم الحربي

ورجحه ابن المنير كما ستقف عليه قريباً وقيل بعد المبعث بخمس سنين وقيل بعده بخمسة عشر شهرا وقال ابن اسحاق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل وقيل ليلة سبع وعشرين فى رجب قاله الغزالى فى الاحياء وقال الحافظ مغلطاى بعد ذكر مقالة الحربي وقيل فى رجب اجمالا من غير تعيين وقيل غير ذلك وفي مسلم من طريق شريك انه قبل أن يوحى اليه قال العلامة المحقق المجتهد ناصر الدين أحمد بن المنير المالكى رحمه الله ولا يصح هذا بوجه الا على القول بانه منام كما وقع لعائشة رضى الله عنها انها قالت انه كان بالمدينة بعد الهجرة وانه منام وأصحها عندى ما قاله ابراهيم الحربي وقال ورجح القاضى عياض قول من قال انه قبل الهجرة بخمس سنين وقول ابن اسحاق على القول بانه قبل الهجرة بسنة وضعف هذا القول بان خديجة صلت معه قبل أن تموت بلا خلاف بين أهل السير مضافا الى ان خديجة رضى الله عنها ماتت قبل الهجرة بمدة أقل ماقيل فيها ثلاث سنين ومضافا الى ان الصلاة لم تفرض الا فى الاسراء وهذا عندى لا يلزم منه تخطئة القول بانه قبل الهجرة بسنة لان الصلاة التى صلتها خديجة معه صلى الله عليه وسلم هى التى كان يصليها عليه السلام قبل الاسراء غير محدودة ولا معدودة بعدد المكتوبات المستقرة ألا ترى ان مسلما ذكر فى حديث ابن حماد انه عليه السلام صلى ببيت المقدس ركعتين قبل ان يعرج الى السماء فدل ان الصلاة كانت مشروعة فى الجملة وقد كان قيام الليل واجباً عليه صلى الله عليه وسلم باتفاق بل

كانت الصلاة مشروعة فى الملل السالفة لكن على غـير هذا التحديد فظهر أن لا حجة في ذلك على القائل بما اخترناه ثم الحجة لنا فى ترجيحه ان كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد لانه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم وأما قول الحربي فانه عين فيه الليلة بعينها من الشهر بعينه من السنة بعينها كما تقدم واذا تعارض خبران أحدهما أحاط راويه بتفصيل فى القضية زائد على الاجمال الذى فى غيره فالمحيط علما بالتفصيل أحضر ذهناً وأوعى قلباً من الآخر فان قلت هل يمكن تعيين اليوم الذى أسفرت عنه تلك الليلة بعينه من أيام الجمعة قلت يمكن ذلك بعون الله ويكون يوم الاثنين ان شاء الله تعالى وذلك أننى استقرأته من تاريخ الهجرة وأصح قول فيها انها كانت يوم الاثنين وثاني عشر شهر ربيع الاول أعنى وصوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة قيل ضحى وقيل عند استواء الشمس واذا كان الثانى عشر من الشهر الاثنين كان أوله الخميس قطعاً واذا كان أوله الخميس كان أول شهر ربيع الاول من السنة التى فيها الاسراء اما السبت أو الاحد أو الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة أو أربعة أو خمسة ولهذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التى قبلها أو رابعة أو سادسة وأعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة تعقبها الثلاثاء والاثنين تعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب توالى التمامات في الشهور أو النقصانات فبنى من هذه الاحتمالات الثلاثة على الاقل فيكون أول ربيع الاول من سنة الاسراء الاثنين ويكون أول ربيع الآخر وهو شهر

الاسراء الاربعاء لانا فرضنا ربيعا الاول ناما واذا كان أول شهر الاسراء كان السابع والعشرين منه يوم الاثنين وهو يوم الاثنين ان شاء الله تعالى الذى أسفرت عنه ليلة الاسراء وانما رجحنا تمام الشهر ليوافق كون المولد يوم الاثنين وكون المبعث يوم الاثنين وكون الهجرة يوم الاثنين وكون الوفاة كذلك فان هذه أطوار الانتقالات النبوية وجودا ونبوة وهجرة ومعراجا ووفاة فهذه خمسة أطوار اتفقوا على أربعة منها انها يوم الاثنين فيقرب جدا أن يكون الخامس اسوتها ويكون هـذا اليوم في حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة في حق آدم عليه السلام فيه خلق وفيه نزل الى الارض وفيه تيب عليه وفيه مات وهذا نظر صحيح لا يحتاج الا توفيقاً من القائل وانصافا من السامع وقد ثلج به الصدر ان شاء الله تعالى ويجوز ان تبنى أيضا ان بين اليومين أربعة فيكون أول شهر ربيع الاول من سنة الاسراء الاحد وأول شهر ربيع الآخر الثلاثاء فيكون السابع والعشرون منه الاحد فوقع الاسراء في الليلة التى بين الاحد والاثنين على القول بان الليلة تتبع اليوم الذى قبلها فيصح انها الليلة التى كان يسفر صباحها عن يوم الاثنين فاستقر على الاحتمالين تعلق الاسراء بيوم الاثنين ويدل على ان الليلة تتبع اليوم الذى قبلها ان ليلة عرفة هى التى بعد يوم عرفة ولهذا يجزئ الوقوف فيها الى طلوع الفجر ولا يجزئ فى الليلة التى قبلها بالاجماع وقد ورد ان الاسراء كان ليلة الجمعة وهذا نقل محض يطلب فيه الصحة ولم يعضد باصول تقربه من الحق بخلاف ما قدمناه فقد بينا الاصول التى تقتضيه

نقلا واستنباطاً وأمكن عندى على القول الذى اخترناه ان يكون ليلة الجمعة وذلك بان نفرض بين اليومين المتقابلين خمسة أيام فيكون الثاني سادس الاول وقد اتفق هذا العام أن كانت الوقفة الاربعاء والوقفة التى قبلها الجمعة فجاءت هذه سادس تلك وانما قلنا انها ليلة الجمعة على هذا التقدير لانه قد استقران ربيع الاول سنة الهجرة كان أوله الخميس ونفرضه ناقصاً ليكون ربيع الآخر من سنة الهجرة الجمعة فيكون أول ربيع الآخر من السنة التي قبلها وهى سنة الاسراء الاحد فيكون السابع والعشرين منه الجمعة وهى ليلة الاسراء وهو لائق بالاسراء لاجل فضيلة ليلة الجمعة

﴿ تنكيت لطيف) يرجح ماقاله الحربى وذلك ان ليلة سبع وعشرين تضاهي فى العدد أفضل الليالى بليلة القدر وهى ليلة سبع وعشرين من رمضان

﴿ تنكيت ألطف من الاول ﴾ اعتبرت هذه الليالي الثلاث الفاضلات ليلة نصف شعبان وليلة سبع وعشرين من رمضان وهى ليلة القدر وليلة عرفة فوجدتها لا تزال متواخية ان كانت واحدة منها الجمعة كان الكل الجمعة وكذلك غير الجمعة من الايام وان لم توافق ليلة عرفة الليلتين المذكورتين فلا بد أن يوافقهما يوم التروية انتهى ما قاله ابن المنير باختصار فرحمه الله من امام محقق حرى ان يكتب كلامه بماء الذهب والله أعلم

﴿ استطراد ثان ﴾

﴿ في الكلام على متن حديث الاسراء ﴾

استحسنت الاتيان به عقيب آية الاسراء للمناسبة ولما سأذكره بعد من فوائد جليلة يعز وجودها ترجع الى الحديث المذكور وأولى مايعتمد عليه حديث ثابت البناني عن أنس لانه سالم مما وقع في ظاهر حديث غيره من التعارض فرأيت أن أذكره أولا باختصار ليكون أصلا ثم أذكر ماسواه مما ورد من الطرق تبعاً له باختصار أيضاً فأقول

روى مسلم في صحيحه عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهي طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم عليه السلام فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح

جبريل كما تقدم وقيل له كما تقدم ففتح لهما فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيي بن زكريا فرحبا به صلى الله عليه وسلم ودعوا له بخير ثم عرج كذلك الى السماء الثالثة وقيل كما تقدم فوجد عليه السلام فيها يوسف عليه السلام وقد أعطى شطر الحسن فرحب به صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير ثم عرج كذلك الى السماء الرابعة وقيل كما تقدم فوجد صلى الله عليه وسلم فيها ادريس عليه السلام فرحب به ودعا له بخير ثم عرج كذلك الى السماء الخامسة كذلك فوجد فيها هرون فرحب به ودعا له بخير ثم عرج كذلك الى السماء السادسة فوجد فيها موسى عليه السلام فرحب به ودعا له بخير ثم عرج به كذلك الى السماء السابعة فاستفتح جبريل كما سبق وقيل له كما سبق وفتح لهما كما تقدم فرأى صلى الله عليه وسلم ابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور ثم ذهب به الى سدرة المنتهى فاوحى الله تعالى اليه ما أوحى ففرض عليه خمسين صلاة ثم أرشده موسى عليه السلام الى الرجوع الى ربه ولم يزل صلى الله عليه وسلم يرجع بين موسى وربه الى ان استقر الامر على خمس صلوات كل يوم وليلة . وأخرج مسلم أيضاً عن ثابت عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه ثم استخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طشت من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده الى مكانه (وفى طريق) بينا أنا فى المسجد الحرام (وفي طريق) وأنا نائم (وفي طريق) انه

كان بالحطيم بين النائم واليقظان (وفى طريق) انه أسرى به من بيت أم هانئ كما علمته آنفاً (وفي طريق) فرج سقف بيتى فنزل جبريل ففرج صدرى (وفى بعض طرق الاسراء) وذلك قبل أن يوحى اليه وفيما تقدم عن ثابت كما رأيت انه أتي باللبن والخمر قبل العروج (وفي بعض الطرق) انه أتي بهما في الملأ الاعلى (وفى طريق) انه انتهى الى سدرة المنتهى ثم الى المستوى ثم فارقه جبريل (وفى طريق) فزج بى فى النور وقال ها أنت وربك وفى حديث ثابت كما تقدم انه عليه السلام صلى فى بيت المقدس قبل العروج (وفي بعض الطرق) انه صلى بالانبياء فى السموات (وفى طريق) فلم نزل على ظهره يعنى البراق أنا وجبريل (وفى طريق) انه استصعب البراق فقال له جبريل عليه السلام أبمحمد تستصعب فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا (وفي بعض الطرق) انه رأى المعراج بصورة السلم كاحسن مارأى (وفي طريق) فانتهيت الى سدرة المنتهى فغشيها ملائكة كأنهم جراد من ذهب فرأيت جبريل يتضاءل كالصعوة فتخلف وقال ومامنا الا له مقام معلوم فجاوزت سبعين حجاباً ثم احتملنى الرفرف الى العرش فنوديت حى ربك فقلت سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك الى آخر ماهو مستوفى فى محله كانكار قريش الاسراء واستيصافهم بيت المقدس من النبى صلى الله عليه وسلم فرفعه الله له فوصفه وذكر لهم قضية لقيه العير قاصدين مكة وشربه ما كان في القدح من الماء الى غير ذلك فكان كل ذلك حقا وصدقا كما قال تعالى

وماينطق عن الهوي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله أعلم

﴿ فوائد ﴾ تتعلق بحديث الاسراء وفواضله وأسراره وفضائله

﴿ الاولى ﴾ يؤخذ من قوله تعالى أسرى بعبده مالا يؤخذ ان لو قيل بعث الى عبده لان الباء تفيد المصاحبة أى صحبه في سراه بالالطاف والعناية ويشهد لذلك قوله عليه السلام أنت الصاحب فى السفر ويبنى على هذا من الفروع الفقهية ان من قال لله على ان أحج بفلان يلزمه ان يحج معه بخلاف ما لو قال لله على ان أحج فلانا فانما يلزمه أن يجهزه للحج من ماله ولا يلزم الناذر أن يحج بنفسه والفرق ما تعطيه الباء من المصاحبة ﴿ الثانية ﴾ تخصيص الاسراء بالليل فيه من التعظيم مالا يخفى لانه وقت خلوة واختصاص عرفا وبين جليس الملك ليلا وجليسه نهارا فرق ظاهر والخصوصية بالليل ﴿ الثالثة ﴾ لعل تخصيص ذلك بالليل ليزداد الذين آمنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم اذ الليل أخفى حالا من النهار ولعله لو عرج به نهارا لفات المؤمن فضيلة الايمان بالغيب ولم يحصل ما قدر من الفتنة على من شقى وجحد ﴿ الرابعة ﴾ ان قيل ما وجه استصعاب البراق عليه صلى الله عليه وسلم بعد التسخير أجيب بان ذلك تنبيه على انه لم يذلل قبل ذلك ولم يركبه أحد وفى هذه النكتة خلاف فمنهم من قال ركبه الانبياء قبل ذلك ومنهم من قال لم يركبه أحد قبله وحجة القائلين بركوبه قبل ذلك قول جبريل فما ركبك أحد أكرم على الله منه ويمكن الاحتجاج أيضا بقوله فربطته بالحلقة التى تربط بها الانبياء وأجيب عن الاول بان معنى

قول جبريل فما ركبك أحد البتة فكيف بركبك أكرم من محمد ويمكن
أن يجاب عن الثاني بانه ليس في الحديث فربطته بالحلقة التى تربطه بها
الانبياء وانما قال يربط بها الانبياء وسكت عن ذكر المربوط ما هو
فيحتمل ان يكون غير البراق ويحتمل ان يراد ارتباط الانبياء أنفسهم
بتلك الحلقة أي تمسكهم بها ويكون من جنس العروة الوثقى
﴿ الخامسة ﴾ يحتمل أن يكون استصعابه تيها وزهوا بركوب النبي صلى
الله عليه وسلم وأراد جبريل بقوله أبمحمد تستصعب استنطاقه بلسان
الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما تاه ولهذا قال فارفض عرقا فكانه أجاب
بلسان الحال فتبرأ من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب
﴿ السادسة ﴾ ان قيل كان في قدرة الله تعالى أن يرفع نبيه بدون
البراق خرقا للعادة أجيب بان فى صورة الركوب على المركوب المعتاد
تأنيسا في هذا المقام العظيم بطرف من العادة ﴿ السابعة ﴾ لعل في الاسراء
بالبراق اظهارا للكرامة العرفية فان الملك العظيم اذا استدعى خصيصاً به
بعث اليه بمركوب سنى ليصل عليه ﴿ الثامنة ﴾ كون البراق بشكل
البغل ولم يكن بشكل الفرس فيه تنبيه على ان المراد في سلم وأمن
لا حرب وخوف أو لاظهار الآية فى الاسراع العجيب من دابة ما توصف
بالاسراع كما فى الحديث يضع حافره عند منتهى طرفه أى يقطع ما انتهى
اليه بصره فى خطوة واحدة فعلى هذا يكون قطع من الارض الي السماء
فى خطوة واحدة لان بصر من يكون فى الارض يقع على السماء فبلغ
أعلى السموات في سبع خطوات ﴿ التاسعة ﴾ لقائل ان يقول قد

ركب النبي صلى الله عليه وسلم بغلته في الحرب يوم حنين أجيب بان ذلك كان لتحقق نبوته عليه السلام في مواطن الحرب ولما خصه الله به من مزيد الشجاعة والا فمعلوم ان البغال عادة من مراكب الطمأنينة وليعلم ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس (العاشرة) اختلف العلماء هل ركب جبريل عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وسلم على البراق أم لا فقال بعضهم ركب معه بظاهر قوله صلى الله عليه وسلم فما زلت على ظهره أنا وجبريل قال ابن المنير رحمه الله والاظهر عندي انه صلى الله عليه وسلم اختص بالركوب لانه المخصوص بشرف الاسراء وفي قول جبريل أيضاً أبمحمد تستصعب فما ركبك أكرم على الله منه دليل على اختصاصه عليه السلام بركوبه وانما كان جبريل ههنا معه رسول بلاغ ودليل طريق ومستدعى حبيب وقوله صلى الله عليه وسلم مازلت على ظهره أنا وجبريل يحمل قوله وجبريل على انه استئناف كلام كانه قال وجبريل سائر معي ونحوه ولا يريد راكبا معي على البراق لانه ليس في الكلام ما يعين ذلك (الفائدة الحادية عشرة) دل قوله صلى الله عليه وسلم فصليت ببيت المقدس ركعتين علي ان الصلاة لم تزل معهودة قبل ان تفرض ومعدودة مثنى مثنى وفرضت كذلك على ما عهدت كما قالت عائشة رضي الله عنها فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فاقرت صلاة السفر وزيد صلاة الحضر (الثانية عشرة) ان قيل ما الحكمة في نزول جبريل عليه السلام من سقف البيت ولم يدخل عليه من الباب مع قوله وأتوا البيوت من أبوابها الجواب ان الحكمة في ذلك المبالغة في

المفاجأة والتنبيه على الكرامة والاستدعاء كان بديها على غير ميعاد (الثالثة عشرة) يحتمل أن يكون فرج السقف توطئة وتمهيدا للفرج عن الصدر فاراه جبريل بافراجه عن السقف ثم التئامه على الفور كيفية ما يصنع به وقرب له الامر فى نفسه بالمثال المشاهد في بيته لطفا فى حقه وتثبيتا لقلبه (الرابعة عشرة) السر في العناية بتطهير القلب وافراغ الايمان والحكمة فيه تحقق مذهب أهل السنة في ان محل العقل ونحوه من أسباب الادراكات كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة (الخامسة عشرة) انما خص الطشت بالغسل فيه دون بقية الاواني لانه آلة للغسل عرفا وانما كان من ذهب لانه أعلى أواني الجنة ولانه رأس الأثمان فهو اذا أصل الدنيا والايمان أصل الدين فوقع التنبيه على ان أصل الدنيا آلة لاصل الدين وخادم له و وسيلة اليه (السادسة عشرة) استدل بعض أصحاب مالك على جواز تحلية مايعظم شرعا بالذهب كالمصحف أوما هو آلة لطاعة كالسيف الذى هو آلة الجهاد بحديث الاسراء واستعماله طشت الذهب (السابعة عشرة) يرد على ذلك بان الذى اختص بالنبى صلى الله عليه وسلم من طشت الذهب انما هو تفريغ مافيه من الايمان والحكمة في قلبه صلى الله عليه وسلم والتفريغ ترك لا فعل ولا خلاف ان آنية الذهب اذا حصل فيها طعام له حرمة شرعية كان تفريغ ذلك منها مشروعا بخلاف وضعه فيها ولا يعد التفريغ استعمالا ويتقرر هذا الفقه بحكاية لطيفة وهي ان الحسن البصرى وفرقدا السبخى اجتمعا فى وليمة دعيا اليها وكان الحسن عالما وفرقد عابدا وكان

في الوليمة صحاف من الذهب والفضة قد جعل فيها الخبيص فاما الحسن فانه جلس على الطعام وصار يأخذ الخبيص ويفرغه من الصحفة ويضعه على الخبز ويأ كل وأما فرقد فاعتزل ولم يأ كل فالتفت اليه الحسن وقال يافريقد هلا صنعت هكذا فرأى الحسن ان التفريغ ليس استعمالا بل تركا وازالة للمنكر فاجتمع له بفقهه اقامة سنة الوليمة بالا كل وجبر قلب الداعى وازالة المنكر وتعليم الاحكام الخفية ولهذا قال يافريقد فصغر اسمه فى النداء تعريضاً له بالانكار اذ تصرف فى الترك بغير اقتداء وكان عليه أن يسأل كيف يصنع ليسلم مما وقع فيه من فوات المقاصد التى اجتمعت للحسن رضى الله عنه وينبنى على هذا من الفروع الفقهية ان من كان فى رمضان أو أراد الصيام فى غيره وطلع عليه الفجر وهو آكل فعلم بذلك وألقى الطعام من فيه لاشىء عليه فهذا من جنس كون التفريغ ليس استعمالا ولا اشكال فى ذلك (الثامنة عشرة) لقائل ان يقول لا يتم الاستدلال على جواز استعمال الذهب بحديث الاسراء لان العادة انخرقت فيه من حيث ماوعى فيه من الايمان ومن أنه من الكون أو من الجنة واذا انخرقت العادة تغيرت الاحكام المنوطة بها (التاسعة عشرة) يحتاج المستدل على استعمال الذهب لحديث الاسراء أن يثبت انه كان بعد تحريم استعمال الذهب ولا يقدر على ذلك فان النبى صلى الله عليه وسلم تختم بالذهب ثم ألقى الخاتم فالقى الناس خواتيمهم وما كان النسخ والتحريم الا بالمدينة وقد تقدم ان الاسراء متقدم على الهجرة على المختار (الفائدة العشرون) تقدم فى حديث ثابت انه صلى الله عليه وسلم قدم له الآنية قبل العروج وفي طريق آخر انه بعد

العروج فيجمع بينهما ويكون التقديم مرتين ويكون تكرار جبريل عليه السلام للتصويب حيث اختار اللبن تأكيدا للتحذير مما سواه (الحادية والعشرون) ان قيل ما المراد بالفطرة فى قول جبريل اخترت الفطرة فاعلم ان الفطرة تطلق تارة ويراد بها الاسلام وتطلق تارة على أصل الخلقة فمن المعنى الاول قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ومن المعنى الثانى قوله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها وقوله تعالى فاطر السموات والارض أى مبتدئ خلقها فقول جبريل اخترت الفطرة أى اخترت اللبن الذى عليه تنبت الخلقة وهى نبت اللحم ونشر العظم (أقول) فيكون من باب ذكر المسبب وارادة السبب فتأمل انتهى أو اخترته لانه الحلال المستمر في دين الاسلام وأما الخمر فحرام فيما يستقر عليه الامر (الثانية والعشرون) يحتمل أن يكون فى تقديم اناء اللبن اشارة الى انه شعار العلم فى التعبير كما ورد انه عليه السلام قال أريت كأنى أتيت بقدح من لبن فشربت حتى أرى الرى يخرج من أظفارى ثم ناولت فضلى عمر فقالوا يارسول الله ما أولته قال العلم والاسراء وان كان يقظة الا انه ربما وقعت في اليقظة اشارات على حكم الفال تعبر كما يعبر المنام (الثالثة والعشرون) فى استفتاح جبريل عليه السلام لابواب السماء دليل على انه صادف أبوابها مغلقة مع انه صلى الله عليه وسلم كان قد استدعي فلعل والله أعلم الحكمة فى ذلك التنويه بقدره وان السموات لم تفتح أبوابها الا من أجله ولو صادفها مفتوحة لم يتحرر انها فتحت من أجله ولابد

(الرابعة والعشرون) ينبغي للمستأذن اذا قيل له من هذا ان لا يقول
أنا فان جبريل لم يقل أنا عند الاستفتاح ثم وانما سمى نفسه وقد أنكر النبى
صلي الله عليه وسلم على الذى استأذن عليه فقال صلى الله عليه وسلم من
هذا فقال أنا فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يكرر لفظة أنا انكارا
(الخامسة والعشرون) انما كرهت هذه الكلمة لوجهين (أحدهما)
ان فيها اشعارا بالعظمة وفى الكلام السائر ان أول من قال أنا ابليس
فشقى حيث قال أنا خير منه ثم فرعون فتعس حيث قال أنا ربكم الاعلى
(الثاني) انها مبهمة لافتقار الضمير الى العود فهي غير كافية في البيان
فان قيل قد اتفق النحاة على ان المضمرات أعرف المعارف وأعرفها أنا
فهذه الكلمة في الغاية القصوى فى التعريف فكيف كان العلم أعرف
منها وانما اختلف النحاة فى اسم الاشارة والعلم لا فى المضمر فالجواب
ان المضمر اذا عاد وتعين مظهره فهو أعرف المعارف حينئذ والمستأذن
محجوب عن المستأذن عليه غير متعين عنده فكأنه أحاله على جهالة

(حكاية لطيفة استطرادية) تنبيه على رعاية الأدب مع الله تعالى
جل وعلا حكى ان سيبويه رحمه الله رؤى فى المنام بعد وفاته فقيل له
ماذا لقيت فقال خيرا كثيرا فقيل له بماذا فقال سئلت فى الدنيا عن
أعرف المعارف فقلت اسم الله عز وجل فشكر الله لى ذلك ﴿ السادسة
والعشرون ﴾ قول الخازن لجبريل ومن معك قال محمد فيه دليل على
ان الاذن لواحد لا يتناول غيره وان كان فى صحبته ولهذا استفهم الخازن
حتى يكون لمن معه اذن مستقل وهو عرف الناس اذا أذن لاحد وكان

فى صحبته غيره أن يقول ومن معى فيستأنف الاستئذان لمن معه وقوله
وقد بعث اليه أراد به الاستفهام فحذفت الهمزة للعلم بها واصل الكلام
أو قد بعث اليه والنحاة يمنعون حذف الهمزة فيحمل كلامهم على المنع
حيث لا دليل على المحذوف والا فالحديث حجة عليهم ﴿ السابعة
والعشرون ﴾ لم يرد الخازن بقوله وقد بعث اليه أصل الرسالة فان
الظاهر انه كان معلوماً عندهم وانما أراد البعث للمعراج (الثامنة والعشرون)
موقع قول الخازن أو قد بعث اليه استنطاق جبريل بالسبب الموجب
للاذن والفتح لان مجرد قول جبريل عليه السلام معى محمد لا يوجب
الاذن الا بواسطة البعث من صاحب الاذن جل وعلا (التاسعة
والعشرون) ان قيل لم لم يخاطبه الخازن بصيغة الخطاب فيقول مرحبا
بك وانما أورد التحية بصيغة الغيبة أجيب بانه حياه قبل أن يفتح
الباب وقبل أن يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم خطاب ولهذا قال
الخازن لجبريل ومن معك بصيغة الخطاب لان جبريل خاطب الملك
فارتفع حكم الغيبة بالتخاطب من الجانبين (الفائدة الثلاثون) يجوز
أن يكون حياه بغير صيغة الخطاب تعظيماً له لان هاء الغيبة ربما كانت
أفخم من كاف الخطاب والله أعلم انتهت الفوائد ملخصة بعضها باللفظ
وبعضها بالمعنى من املاء العلامة ابن المنير رحمه الله والله أعلم عدنا الى
المقصود اعلم ان الله تبارك وتعالى قد ذكر المسجد الحرام فى كتابه
العزيز فى نحو خمسة عشر موضعاً فاذا تقرر هذا فقد اختلف فى المراد
بالمسجد الحرام الذى تتعلق به المضاعفة فى قوله صلى الله عليه وسلم فى

حديث ابن الزبير السابق وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة
في مسجدى فقيل بجميع بقاع الحرم وقيل المراد الكعبة وما فى الحجر
من البيت ويؤيده ما أخرجه النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه
صلاة في مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا الكعبة وقيل
المراد الكعبة وما حولها من المسجد وجزم به النووى وقال انه الظاهر
وقيل المكان الذى يحرم على الجنب المكث فيه . ونقل عن الامام
تقى الدين ابن ابي الصيف اليمنى ان المضاعفة تختص بالمسجد المعد
للطواف لانه المنصرف عند الاطلاق في العرف قال ولا يضر رواية
الكعبة ولهذا قال الغزالى لو نذر صلاة فى الكعبة فصلى فى ارجاء المسجد
جاز انتهى ورجح الطبرى رحمه الله ان المضاعفة مختصة بمسجد الجماعة
وقال انه يتأيد بقوله عليه السلام مسجدى هذا لان الاشارة فيه الى
مسجد الجماعة فينبغى أن يكون المستثنى كذلك فانه قيل قد ورد عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان حسنات الحرم كلها الحسنة بمائة ألف
فعلى هذا يكون المراد بالمسجد الحرام في حديث الاستثناء الحرم كله
قلنا نقول بموجب حديث ابن عباس ان حسنة الحرم مطلقا بمائة ألف
لكن الصلاة فى مسجد الجماعة تزيد على ذلك ولهذا قال بمائة صلاة فى
مسجدى ولم يقل حسنة وصلاة فى مسجده بألف صلاة كل صلاة بعشر
حسنات فتكون الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف
حسنة وتكون فى المسجد الحرام بألف ألف حسنة وعلى هذا يكون
حسنة الحرم بمائة ألف وحسنة المسجد الحرام بألف ألف ويلحق بعض

الحسنات ببعض أو يكون ذلك مختصاً بالصلاة الخاصة فيها والله اعلم
انتهى بنصه قال الجد رحمه الله وحاصل هذه العبارات مع اختلافها
يرجع الى ترجيح هـذا القول ثم قال وهذا التضعيف يحصل بصلاة
المنفرد وتزيد الحسنات بصلاة المكتوبة في جماعة على ما جاء انها تعدل
سبعا وعشرين درجة وهذا فيما يرجع الى الثواب ولا يتعدى ذلك الى
الاجزاء عن الفوائت حتى لو كان عليه صلاتان فصلى فى المسجد الحرام
صلاة لم تجزئه عنهما وهذا لا خلاف فيه انتهى وقد اختلف العلماء في
هذا الفضل هل يعم الفرض والنفل أو يختص بالفرض فمذهبنا ومشهور
مذهب مالك انه يختص بالفرض والتعميم مذهب الشافعى رضى الله عنه
كما صرح به النووى رحمه الله تعالى فان قيل لا عموم في لفظ الحديث
لما انه نكرة فى سياق الاثبات ويؤيده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال
أفضل صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة أجيب بانه وان كان نكرة في
سياق الاثبات فهو عام لانه فى معرض الامتنان قال الجد رحمه الله فان
قيل كيف يقال ان المضاعفة تعم الفرض والنفل وقد تطابقت نصوص
الاصحاب ونص الحديث على ان فعل النافلة فى بيت الانسان أفضل الا ما
استثنى كالعيد وركعتى الطواف فالجواب ما قيل لا يلزم من المضاعفة فى
المسجد أن يكون أفضل من البيت اذ فضيلة المسجد المذكور من حيث
التضعيف وفضيلتها فى البيت من حيثية أخرى تربو على التضعيف انتهى
أقول هذا التفضيل بالنسبة الى الرجال وأما الاناث فالصلاة في البيت مطلقاً
لهن افضل لا سيما فى هذا الزمان لكثرة الفساد سواء كانت المرأة عجوزا ام

شابة ونقل الشيخ ولي الدين العراقي في شرح تقريب الاسانيد ان التضعيف
في المسجد الحرام لا يختص بالمسجد الذي كان في زمن النبي عليه السلام
بل يشمل جميع ما زيد فيه لان المسجد الحرام يعم الكل بل المشهور
عند أصحابنا ان التضعيف يعم جميع مكة بل جميع الحرم الذي يحرم
صيده كما صححه النووي ه وأما المدينة فيختص التضعيف بالمسجد الذي
كان في زمنه عليه السلام ثم قال لكن يشكل على هذا ما في تاريخ المدينة
ان عمر رضي الله عنه لما فرغ من الزيادة في مسجد النبي عليه السلام
قال لو انتهى الى الجبانة لكان الكل مسجد رسول الله عليه السلام
وفي رواية أخرى لو مد الى ذي الحليفة لكان منه وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو زيد
في هذا المسجد ما زيد لكان الكل مسجدي وفي رواية أخرى لو
بني الى صنعاء وفي أخري ما زيد في مسجدي فهو منه ولو بلغ ما بلغ
فان صح ذلك فهو بشرى حسنة انتهى باختصار (فائدتان) الاولى قد
حسب النقاش المفسر فضل الصلاة في المسجد الحرام على مقتضى
حديث تفضيل الصلاة فيه على غيره بمائة ألف فبلغت صلاة واحدة
في المسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة
وصلاة يوم وليلة وهي خمس صلوات في المسجد الحرام عمر مائتي سنة
وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال انتهى كلامه الثانية
قال الشيخ بدر الدين ابن الصاحب الاثاري ان كل صلاة في المسجد
الحرام فرادى بمائة ألف صلاة كما ورد في الحديث وكل صلاة فيه جماعة

بألفي ألف صلاة وسبعمائة ألف صلاة والصلوات الخمس فيه ثلاثة عشر
ألف ألف صلاة وخمسمائة صلاة وصلاة الرجل منفردا في وطنه غير
المسجدين المعظمين كل مائة سنة بمائة ألف وثمانين ألف صلاة وكل
ألف سنة بألف ألف صلاة وثماني مائة ألف فتلخص من هذا ان
صلاة واحدة في المسجد الحرام جماعة يفضل ثوابها على ثواب من صلى
في بلده فرادي حتى بلغ عمر نوح النبي عليه السلام بنحو الضعف
وسلام على نوح في العالمين وهذه فائدة تساوي دجلة ثم قال هذا اذا
لم يضف الى ذلك شيئاً آخر من أنواع العبادات فان صام يوماً وصلى
الصلوات الخمس جماعة وفعل فيه أنواعاً من البر وقلنا بالمضاعفة فهذا
مما يعجز الحساب عن حصر ثوابه انتهى تكملة قال بعض العلماء ان
السيئات بالحرم تتضاعف كتضاعف الحسنات وهو مذهب ابن مسعود
وابن عباس رضى الله عنهما وقال به مجاهد أيضاً والامام أحمد بن حنبل
ولهذا كان مقام ابن عباس بغير مكة والصحيح عند جماهير أهل العلم
عدم المضاعفة لكن السيئة فيه أعظم منها فى غيره بلا ريب ثم على قول
ان السيئة تتضاعف فقيل تضعيفها كتضعيف الحسنات بالحرم وقيل بل
كخارجه وحرر بعض العلماء النزاع في هذه المسئلة فقال القائل بالمضاعفة
أراد مضاعفة مقدارها أي غلظها لا كميتها فى العدد فان السيئة جزاؤها
سيئة لكن السيئة تتفاوت فالسيئة فى حرم الله وبلده على بساطه أكبر
وأعظم منها فى غيره وليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه
فى موضع بعيد عنه فانه قيل يرجع النزاع أيضاً اذ لا فرق بين ان تكون

السيئة مغلظة وهي واحـدة و بين أن تكون مائة الف سيئة عددا فالجواب انه قد جاء من زادت حسناته على سيئاته فى العدد دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته فى العدد دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته عددا كان من أهل الاعراف

﴿ فصل في ذكر مبدأ عمارة المسجد الحرام ﴾
وتوسعته وذرعه وذكر شيء من أخباره

ذكر الازرق والامام ابو الحسن الماوردى وغيرهما من الائمة المعتمدين ان المسجد الحرام كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الصديق رضى الله عنه وليس عليه جدار يحيط به وكانت الدور محدقة به من كل جانب و بين الدور أبواب يدخل منها الناس فلما أن استخلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه اشترى دورا وهدمها ووسع بها المسجد وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وامتنع من البيع فوضع أثمانها في خزانة الكعبة فأخذوها بعد ذلك وقال لهم عمر أنتم نزلتم على الكعبة ولم تنزل عليكم الكعبة انما هو فناؤها ثم جعل سيدنا عمر على المسجد جدارا قصيرا محيطاً به دون القامة وكان للمصابيح توضع عليه فكان عمر رضي الله عنه أول من اتخذ للمسجد جدارا فلما كان زمن سيدنا عثمان رضى الله عنه وكثر الناس اشترى دورا ووسع بها المسجد الحرام وأبى قوم أن يبيعوا فهدم عليهم فصاحوا به فقال لهم انما جرأكم على حلمي عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد ثم أمر بهم الى

الحبس حتى شفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجهم وجعل عثمان
للمسجد أروقة فكان أول من اتخذ الاروقة له ولم يذكر الازرقى
السنة التى وسع فيها عمر رضى الله عنه المسجد الحرام وهي سنة سبع
عشر من الهجرة ولا السنة التى وسع فيها عثمان رضى الله عنه وهى
سنة ست وعشرين من الهجرة ثم قال الازرقى فلما كان زمن عبد الله
ابن الزبير زاد في المسجد زيادة كبيرة واشترى دورا من جملتها بعض
دار الازرقى جد الازرقى صاحب تاريخ مكة واشترى ذلك البعض
ببضعة عشر الف دينار ثم عمره عبد الملك بن مروان ولم يزد فيه لكنه
رفع جداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة وجعل في رأس كل استطوانة
خمسين مثقالا ذهبا ثم ان الوليد بن عبد الملك المتقدم وسع المسجد
ونقض عمل أبيه وعمله عملا محكما وسقفه بالساج المزخرف وأزر المسجد
من داخله بالرخام وجعل له شرفا وجعل فى وجوه الطيقان من أعلاها
الفيفسا وهو أول من جعلها بالمسجد الحرام وأول من نقل اليه أساطين
الرخام ﴿ تنبيه ﴾ قول الازرقى الوليد أول من نقل اليه أساطين
الرخام قال الفاسى رحمه الله قد نقل الازرقى ما يفهم خلاف ذلك لانه
ذكر فى عمل عبد الملك انه جعل في رأس كل اسطوانة خمسين مثقالا
من الذهب وهذا يقتضى وجود الاساطين قبل الوليد فتكون من عمل
ابن الزبير أو عبد الملك وعلى كلا الامرين فهو مخالف لما ذكره
الازرقى من ان الوليد بن عبد الملك أول من حمل اليه ذلك والله أعلم
بالصواب انتهى بمعناه أقول يمكن الجمع بين كلامى الازرقى وترتفع

المخالفة التي ذكرها الفاسي وذلك ان الازرقي رحمه الله لم يذكر ان
الاساطين التي في رؤسها المثاقيل الذهب في أيام عبدالملك كانت من رخام
ليتجه ما قاله الفاسي ولا خصوصية أيضاً لتسمية الاساطين بما كان من
الرخام فيحتمل انها كانت من آجر أو من حجارة أو من خشب ويؤيد ذلك
ما تقدم في الباب الاول من هذا الكتاب عند ذكر فضائل البيت
الشريف فيما أخرجه الفاكهي عن السهمي عند قوله فمابت اسطوانة
قال شيخ الاسلام ابن حجر والاسطوانة من خشب وما سيأتي قريباً
من كلام الفاسي نفسه عند ذكره لما عمره القاضي محمد بن موسى من بنى
الزيادة التي بدار الندوة في قوله وجعل ذلك باساطين حجارة مدورة
عليها ملابن ساج وفي قوله عند بناء ما كان احترق من الجانب الغربي
وبعض الشامى من المسجد الحرام في عام اثنين وثمانمائة ما صورته ان
الاساطين التي بالجانب الغربي حجارة منحوتة هذا كلامه وأما
الاساطين من الآجر فعمل منها كثير في المساجد وغيرها فاذا علم
ذلك فقول الازرقي رحمه الله ان الوليد أول من نقل الى المسجد الحرام
اساطين الرخام ليس فيه مخالفة مع الاحتمال المذكور فتأمل والله الموفق
ثم لما أفضت الخلافة الى ابي جعفر العباسي ثاني خلفاء بني العباس
وسع المسجد الحرام من جانبه الشامي ومن جانبه الغربي ولم يجعل فيما
وسعه من الجانبين الا رواقا واحدا وكان ابتداء عمله في المحرم سنة
سبع وثلاثين ومائة والفراغ منه في ذي الحجة سنة أربعين ومائة وكان
الذي زاده المنصور النصف مما كان عليه قبل ذلك ثم ان المهدي بن

ابي جعفر وسع المسجد الحرام بعد موت أبيه من أعلاه ومن الجانب اليماني ومن الموضع الذى انتهى اليه أبوه فى الجانب الغربى حتى صار على ما هو عليه اليوم ماعدا الزيادتين فانهما أحدثتا بعده كما سيأتى قريباً ان شاء الله تعالى وكانت عمارة المهدى فى نوبتين الاولى في سنة احدى وستين ومائة وزاد فيما زاده ابوه رواقين والثانية فى سنة سبع وستين وكان أمر بها لما حج حجته الثانية فى سنة أربع وستين ورأى الكعبة في شق من المسجد فكره ذلك وأحب أن تكون متوسطة فى المسجد فدعا المهندسين وشاورهم فى ذلك فقدروا ذلك فاذا هو لا يستوي لهم من أجل الوادى والسيل وقالوا ان وادى مكة له سيول قوية العزم ونخشى ان حولنا الوادى عن مكانه أن لا يتم لنا على ما نريد فقال المهدى لا بد لى من سعة المسجد بحيث تكون الكعبة فى وسط المسجد على كل حال ولو أنفقت فيه جميع ما فى بيوت المال وعظمت نيته فى ذلك وقوى عزمه على ذلك فقدر المهندسون ذلك وهو حاضر ونصبوا الرماح على الدور من أول موضع الوادى الى آخره ثم ذرعوه من فوق الرماح حتى عرفوا ما يدخل في المسجد من ذلك وما يبقى فى الوادى ثم خرج المهدى الى العراق وخلف الاموال فاشتروا من الناس دورهم ووسعوا المسجد ولم يكمل ذلك الا في خلافة ابنه موسى الهادى لمعاجلة المنية للمهدى وكان مما عمل بعد موته بعض الجانب اليماني وبعض الغربى وأنفق المهدى رحمه الله في ذلك أموالا عظيمة بحيث صار ثمن كل ذراع فى ذراع مكسر مما دخل في المسجد الحرام خمسة

وعشرين دينارا وثمن كل ذراع مكسر مما دخل فى الوادى خمسة عشر دينارا ونقل الى المسجد الحرام أساطين الرخام من مصر وغيرها فى السفن حتى انزلت بجدة وحملت منها على العجل الى مكة قال الازرقى ووسع المهندسون باب بنى هاشم الذى يستقبل الوادى وجعلوا الباب الذى بازائه من أسفل المسجد يعنى من الجانب الغربي يستقبل خط الحزامية يقال له باب البقالين معروفا وقالوا اذا جاء سيل عظيم ودخل المسجد خرج من ذلك الباب انتهى بمعناه هذا عمل المهدى في النوبة الثانية واستمر كذلك الى يومنا هـذا والله أعلم أقول باب بنى هاشم الذى ذكره الازرقى هو باب علىّ الآن نبه على ذلك الفاسى وباب البقالين لعله المعروف الآن بباب الحزورة فان الفاسي رحمه الله عرف باب الحزورة بان الغالب عليه باب الحزامية وقال لانه يلى خط الحزامية لا باب ابراهيم لان الازرقى لم يذكره وانما حدث بعده وأيضا قول الازرقى وجعل الذى بازائه يؤيد انه باب حزورة لانه بازاء باب علىّ يعنى مقابله وأما باب ابراهيم فقد أدركته وهو واطئ جـدا وانما رفع وعمل له هذه الدرجة فى حدود سنة خمسة عشر أو ستة عشر وتسعمائة في دولة الاشرف الغورى على يد الامير خاير بك المعروف بالمعمار وقد شاهدت عمارته وأنا اذ ذاك في المكتب وكانت السيول اذا دخلت المسجد انما تخرج منه والآن كذلك انما تخرج السيل من القبو الذى تحته لانه لما رفع جعل تحته قبو معقود بالحجارة المنحوتة لمصرف السيل انتهي

﴿ فصل فى ذكر الزيادتين وخبر عمارتهما ﴾
وذرعهما وذرع المسجد الحرام وعدد منايره وأبوابه

اعلم انه لم يزد فى المسجد الحرام بعد عمارة المهدى رحمه الله سوى هاتين الزيادتين دار الندوة التى فى الجانب الشامى من المسجد وزيادة باب ابراهيم فى الجانب الغربي منه

أما زيادة دار الندوة فسببها كما نقله الفاسى عن اسحاق الخزاعى ان بعض أهل الخير كتب الي وزير الخليفة المعتضد العباسى تحثه على جعل مابقى من دار الندوة مسجدا ويقول ان هذه مكرمة لم تتهيأ لاحد من الخلفاء بعد المهدى فلما بلغ ذلك المعتضد عظمت رغبته وأخرج لذلك مالا عظيما فاخرجت القمائم من دار الندوة وجعلت مسجدا ووصلت بالمسجد الكبير وعمره باساطين وطاقات وأروقة مسقفة بالساج المزخرف ثم فتح لها فى جدار المسجد الكبير اثنى عشر بابا بعقود ستة كبار وبينهم ستة صغار وجعل في هذه الزيادة ثلاثة أبواب بابان طاقان طاقان وباب طاق واحد شارعة الى الطريق التى حولها وجعل سقفها مسامتا لسقف المسجد الكبير وبنى فيها منارة وشرفا وفرغ من ذلك في ثلاث سنين قال الفاسى رحمه الله ولم يبين اسحاق الخزاعي السنة التى فرغ فيها من عمارة هذه الزيادة واعل ذلك كان في سنة أربع وثمانين ومائتين على مقتضى ماذكره اسحاق من ان الكتابة الى المعتضد بسبب انشائها كانت فى سنة احدى وثمانين ومائتين ثم ذكر ان القاضي محمد بن موسى لما كان اليه

أمر البلد غير الطاقات التى كانت فى جدار المسجد الكبير وجعل ذلك باساطين حجارة مدورة عليها ملابن ساج بعقود من الآجر والجص الابيض وصله بالمسجد الكبير وصولا أحسن من الاول حتى صار من فى دار الندوة من مصل ومستقبل يرى القبلة كلها وكان ذلك فى سنة ست وثلثمائة

وأما الزيادة التى بالجانب الغربي المعروفة بزيادة باب ابراهيم فنقل الفاسي رحمه الله انه لما كانت أيام جعفر المقتدر بالله أمير المؤمنين أمر أن يجعل هذا المحل مسجدا ويوصل بالمسجد الكبير فعمل على ماهو عليه اليوم فاتسع الناس به وصلوا فيه وذلك في سنة ست أو سبع وثلثمائة انتهى والسبيل الذى بالزيادة المذكورة من عمل الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاون وكان انشاؤه فى حدود سنة تسع وخمسين وسبعمائة أو في التى بعدها

وأما ماوقع فى المسجد من العمارة والتجديد فكثير منها العمارة الكبيرة التى كانت فى سنة أربع وثمانمائة وانما ذكرتها دون ما كان قبلها وبعدها من العمائر لكونها أعظم من غيرها مما عمر بعد الخلفاء ولما ظهر من همة الامير المباشر لذلك وقوة العزم وسبب ذلك ان في ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة اثنين وثمانمائة ظهرت نار من رباط رامشت المعروف الآن برباط ناظر الخاص عند باب الحزورة المصحف بباب عزورة بالجانب الغربي من المسجد الحرام فلم يكن غير لحظة حتى تعلقت بسقف المسجد وعم الحريق الجانب الغربى وبعض الرواقين المقدمين

من الجانب الشامي بما في ذلك من السقوف والاساطين الرخام وصارت قطعا وانتهى الحريق الى محاذاة باب العجلة فصار ما احترق أكواما عظيمة تمنع من الصلاة في موضعها ومن رؤية البيت الشريف ثم منّ الله تعالى بعمارة ذلك فى مدة يسيرة على يد الامير بيسق الظاهرى وكان قدومه لذلك في موسم سنة ثلاث وثمانمائة فلما رحل الحاج من مكة شرع في رفع تلك الاكوام حتى فرغت ثم ابتدأ فى العمارة حتى عاد ذلك كما كان وكان الفراغ من عمارة ذلك في أواخر شعبان سنة أربع وثمانمائة وعجب الناس كثيرا من سرعة العمارة في هذه المدة لان من رأى ذلك قبل العمارة كان يقطع بان هذه العمارة انما تتم في مدة سنين باعتبار العادة فى العمارات فسهل الله فراغها في تلك المدة وجعلت الاساطين التى في الجانب الغربى كلها من حجارة منحوتة وكذلك الجانب الشامي ماخلا أساطين يسيرة في مقدمه فانها رخام مكسر ملصق بالحديد وهذا كله ظاهر بين ولم يبق من ذلك الا سقف الجانب الغربي لتعذر خشب الساج ثم عمل ذلك من خشب العرعر في أوائل سنة سبع وثمانمائة بتقديم السين على يد الامير بيسق المذكور وكانت العمارة المذكورة فى أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق

﴿ ذكر منابر المسجد الحرام ﴾

فى المسجد الحرام الآن ست منابر أربعة فى الاركان والخامسة في زيادة دار الندوة والسادسة بمدرسة السلطان الاشرف قايتباى رحمه الله تعالى المجاورة لباب السلام على يسار الداخل الى المسجد عمرت في حدود الثمانين وثمانمائة والخمس المناير قديمة أما

منارة زيادة دار الندوة فعمرت مع الزيادة المذكورة من قبل المعتضد العباسى كما تقدم وأما الاربعة التى بالاركان فالاولى تعرف بمنارة عزورة لانها على باب عزورة والثانية على باب على وتعرف بمنارة على والثالثة على باب العمرة وتعرف بمنارة باب العمرة والرابعة تسمى بمنارة باب السلام لانها على باب السلام ولم أقف على من أنشأ هذه الاربع المناير غير ان الفاسى رحمه الله ذكر ان المنصور عمر منارة باب العمرة وعمر ابنه المهدى المناير الثلاث التى على باب السلام والتى على باب على والتى على باب الحزورة (أقول) المفهوم من كلام الفاسى بقوله عمر المنصور منارة باب العمرة وعمر ابنه المهدى الى آخره ان مراده بذلك الترميم والتجديد لا الانشاء بدليل قوله بعد ذلك وعمر الجواد جمال الدين محمد بن على الاصفهانى وزير صاحب الموصل مناير المسجد وكذا قوله وعمرت منارة باب الحزورة في زمن الاشرف شعبان صاحب مصر وكانت سقطت في سنة احدى وتسعين وسبعمائة وكذا قوله وعمرت منارة باب بنى شيبة في زمن الناصر فرج وذلك بعد أن سقطت في سنة تسع وثمانمائة لان السقوط يستدعى تقدم البناء قبل ذلك ولو وقف الفاسى على من أنشأ ذلك لذكره كما هو دأبه فى استيفاء الكلام وتبيين الامور على أحسن الوجوه وأكملها انتهى وكانت مناير أخر فى غير المسجد الحرام على رؤس الجبال يؤذن فيها نقله الفاسى عن الفاكهى فمن ذلك على جبل أبي قبيس أربع مناير وعلى رأس الاحمر المقابل له منارة وعلى الجبل المشرف على شعب جبل ابن عامر منارة

ومن ذلك منارة تشرف على الجزرة ومنارة على جبل تفاحة ومنارة على جبل خليفة بن عمر البكري ومنارة على كدى بضم الكاف تشرف على وادى مكة (فهذه المناير) كلها تنسب الى عبد الله بن مالك الخزاعى من خدام أمير المؤمنين هارون الرشيد ولبغا مولى أمير المؤمنين عدة مناير أيضاً من ذلك منارة على رأس الفلق ومنارة على الاحمر ومنارة على جبل خليفة كالعبد الله ومنارة على جبل المقبرة ومنارة على جبل الحزوره ومنارتان على جبل عمر بن الخطاب ولعله المسمى بالنوبي ومنارة على جبل الانصار الذى يلى أجياد ومنارة على ثنية أم الحارث المشرف على الحصحاص وسيأتي تعريفه وموضعه فيما بعد ان شاء الله تعالى ومنارة على الجبل المشرف على الحرمانية ومنارة مشرفة على الحضير أو بئر ميمون ومنارة بمنى عند مسجد الكبش فهذه كلها لبغا وكان لهذه المناير فيما مضى أناس يؤذنون للصلاة تجرى عليهم الارزاق فى كل شهر ثم قطع ذلك لتغير الاحوال وتطاول الازمان والله أعلم

﴿ ذكر ذرع المسجد الحرام والزيادتين ﴾

نقل الازرقى ان ذرع المسجد الحرام مكسرا مائة الف ذراع وعشرون الف ذراع وأما طول المسجد الحرام وعرضه فقد حرره الفاسى رحمه الله بذراع الحديد فكان طوله من وسط جداره الغربى الذى هو جدار رباط الخوذى بضم الخاء المعجمة وبعدها واو ثم زاء معجمة الى وسط جداره الشرقى الذى عند باب الجنائز مع المرور في نفس الحجر بكسر

الحاء والصوق لجدار الكعبة الشامى ثلثمائة ذراع وستة وخمسين ذراعا وثمن ذراع بالذراع المذكور ويكون ذلك بذراع اليد أربعمائة ذراع وسبعة أذرع وكان عرضه من وسط جداره القديم الذى يدخل منه الي زيادة دار الندوة الى وسط جدار المسجد اليماني فيما بين بابي المسجد باب الصفا وباب أجياد مارا كذلك فيما بين مقام ابراهيم والكعبة وأنت الي المقام أقرب مائتى ذراع وستة وستين ذراعا بذراع الحديد ويكون ذلك بذراع اليد ثلثمائة ذراع وأربعة أذرع وكان تحريره لذلك فى ليلة الخميس السابع والعشرين من ربيع الاول سنة أربع عشر وثمانمائة

﴿ فائدة ﴾ أخرج الازرقى بسنده الى أبى هريرة رضى الله عنه انه قال انا لنجد في كتاب الله تعالى ان حد المسجد الحرام من الحزورة الى المسعى وأخرج أيضا بسنده الى عمرو بن العاص رضى الله عنه انه قال أساس المسجد الحرام الذى وضعه ابراهيم عليه السلام من الحزورة الى المسعى الى مخرج سيل أجياد ثم قال والمهدى وضع المسجد على المسعى انتهى

﴿ ذكر ذرع زيادة دار الندوة ﴾

أما ذرعها طولا وذلك من جدار المسجد الكبير الى الجدار المقابل له الشامى الذى عنده باب المنارة أربعة وسبعون ذراعا بتقديم السين الا ربع ذراع بذراع الحديد وذرع عرضها من وسط جدارها الشرقى الى وسط جدارها الغربي سبعون ذراعا ونصف بتقديم السين وهذا ذرع

الاروقة مع الصحن وأما ذرع الصحن وحده فطوله من الاساطين التى فى مقدم الجانب الجنوبي مما يلي المسجد الكبير الى الاساطين التى فى مقدم الجانب الشمالى سبعة وثلاثون ذراعا بتقديم السين وعرضه كذلك بزيادة سدس ذراع بذراع الحديد

﴿ ذكر ذرع زيادة باب ابراهيم ﴾

أما طولها وذلك من الاساطين التى تلى المسجد الكبير الي العتبة التى فيها باب هذه الزيادة فسبعة وخمسون ذراعاً الا سدس ذراع بتقديم السين وأما عرضها من جدار رباط الخوزى بضم الخاء وكسر الزاء المعجمتين بينهما واو الى جدار رباط رامشت المقابل له فاثنان وخمسون ذراعاً وربع وذلك ذرع الاروقة مع الصحن وذرع الوسط وحده طولا من الاساطين الشرقية التى تلى المسجد الكبير الى باب ابراهيم ستة وثلاثون ذراعاً وربع وثمن وذرعه عرضاً ثلاثة وثلاثون ذراعاً ونصف بالحديد هذا تحرير الفاسى رحمه الله[1]

كان ذرع زيادة باب ابراهيم كما ذكره الفاسى وأما فى وقتنا هذا فينقص ذرع هذه الزيادة بعض أذرع يسيرة بمقتضى تغيير الباب ورفعه وما أحدثه الامير خاير بك المعروف بالمعمار الجركسى من البلاط والدرج البارزة الى نفس المسجد وزوال تلك العتبة الاولى كما قدمته آنفاً انتهى والله الموفق

(١) بياض بالاصل

﴿ ذكر كيفية المقامات ﴾

التى هي الآن فى زمننا موجودة بالمسجد الحرام
وبيان مواضعها وكيفية الصلاة فيها وما فى المسجد من القبب
والسقايات وغيرها

أما المقامات فأربع مقام الشافعى وصفته بترتان عليهما عقـد لطيف مشرف من أعلاه مبيض بالنورة وخشبة معترضة للقناديل وهو خلف مقام الخليل عليه السلام وأما مقام الحنفى فكان قديماً أربع أساطين من حجارة عليها سقف مدهون مزخرف وأعلاه مما يلى السماء مطلى بالنورة وبين الاسطوانتين المقدمتين محراب مرخم وكان ابتداء عمله على هذه الصفة فى أواخر سنة احدى وثمانمائة وانتهى في أوائل سنة اثنين وثمانمائة كذا ذكره الفاسى ثم قال وأنكر عمله على هذه الصفة جماعة من العلماء منهم الشيخ العلامة زين الدين الفارسكوى الشافعي وألف فى ذلك تأليفاً حسناً والشيخ سراج الدين البلقينى وولده الامام العلامة قاضي القضاة بالديار المصرية شيخ الاسلام جلال الدين وكان اذ ذاك متولياً وباقى القضاة وأفتوا بهدم هذا المقام وتعزير من أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة ورسم ولى الامر بهدمه فعارض فى ذلك بعض ذوي الهوى فلم يتم الامر وسبب الانكار ما حصل من شغل الارض بالبناء وقلة الانتفاع بموضعه وما يتوقع من افساد أهل اللهو فيه لاجل سترته لهم انتهى وسبب المعارضة ان جماعة من علماء الحنفية اذ ذاك

افتوا بجواز بقائه على هـذه الصفة لما فيه من النفع لعامة المسلمين من الاستظلال من حر الشمس والتوقى من البرد والمطر وان حكمه حكم الاروقة والاساطين الكائنة بالمسجد الحرام ثم في سنة ست وثلاثين وثمانمائة كشف الامير سودون المحمدي سقف المقام المذكور وعمره وزخرفه أحسن مما كان ووضع عليه من أعلاه قبة من خشب مبيضة تظهر من فوق ولا أثر لها من داخل المقام وفرش فيه حجارة حمرا تقرب من حجر الماء ولم يكن هـذا فيه قبـل ذلك ثم جدّد بعد ذلك مرارا آخرها فى حدود عام سبعة عشر وتسعمائة وقد أدركته وهو على هذه الصفة واستمر كذلك الى عام أربعة وعشرين وتسعمائة فلما حج الامير مصلح لدين الرومى فى موسم سنة ثلاث وعشرين في أول ولاية مولانا السلطان سليم بدا له أن يهدمه فهدمه في أول عام أربعة وعشرين وجعله قبة كبيرة شامخة على أربع بتر عراض جدا بأربع عقود كل ذلك من حجر يعرف عنـد أهل مكة بحجر الماء يؤتي به من جهة الحديبية احمر واصـفر منحوت وزاد فى طوله وعرضـه وأراد ايصاله بالمطاف فعرف بان ذلك يؤدى الى قطع الصف الاول الذى يصلى خلف امام الشافعية فاقتصر وانتهى بمحرابه الى افريز حاشـية المطاف واستمر الاول متصلا واستمرت هذه القبة كذلك نحو خمسة وعشرين سنة فلما كان فى عام تسعة وأربعين وتسعمائة برز أمر مولانا سلطان لاسلام بهدم هذه القبة لما انهى اليه من شموخها وأخذها جانبا كبيرا من المسجد وكان هدمها من كرامات الشيخ محمد بن عراق رحمه الله

فاني سمعت من غير واحد عن الشيخ المذكور انه كان يقول لا بد
أن تهدم هـذه القبة وكان كذلك وكرامات الولى حق فلما برز الامر
بذلك بادر الى هدمها الامير خشقلدى صاحب الهمم العالية مزيل
المنكرات وموسع الطرقات نقمة الله على أهل المفاسد نائب جدة المحروسة
ومباشر العمائر السلطانية المأنوسة أعزه الله تعالى وكان له وأحسن اليه
فبادر الى امتثال الامر وحضر بنفسه على جارى عادته في علو الهمة
وهدم القبة المذكورة وذلك في أوائل شهر رجب احد شهور عام تسعة
وأربعين وتسعمائة ثم شرع فى بناء مقام عظيم فى الشهر المذكور
وصفته أربع بتر لطاف فى الاركان من أنقاض القبة الاولى من حجر الماء
وست أعمدة من حجر الصوان مثمنة كل عمود قطعة واحدة فمن ذلك
عمودان بين البترتين المقدمتين الى جهة القبلة وعمودان بين البترتين
المؤخرتين وعمود بين البترتين من ناحية باب العمرة وعمود بين البترتين
من جهة باب السلام مقابل له وعلى ذلك عشرة عقود لطاف وشقة
ثلاثة منها الى جهة القبلة وثلاثة منها الى جهة آخر المقام مقابلة للثلاثة
الاولى وعقدان الى جهة باب العمرة عن يمين من كان جالساً في المقام
مستقبل القبلة وعقدان مقابلان لهما الى جهة باب السلام وفوق ذلك
سقف مزخرف من خشب الساج بصناعة ظريفة وكان تركيب هذا
السقف فى يوم الخميس غرة شهر شعبان أحد شهور العام المذكور آنفاً
ثم جعل فوق هذا السقف ظلة للمبلغين بأربع بتر وستة أعمدة ألطف
من الاعمدة التحتانية على حكم ما جعل أسفل عليهـا سقف مزخرف

بعمل محكم وفوق هذا السقف جملون عليه رصاص الى جهة السماء لدفع
المطر وفي ارض السقف الاول طاقة في وسطه يرى المبلغ منهـا الامام
وجعلت درجة لطيفة يصعد منها المبلغ الى الظلة فى وقت المكتوبات
وكان ابتداء تركيب سقف الظلة في يوم الثلاثاء رابع شهر رمضان وانتهى
بعد الترصيص في ثالث عشر رمضان من العام المذكور وأما مقام
المالكى والحنبلى فكان قديماً كمقام الشافعى المتقدم بترتان عليهما عقد
وفي أعلاه نحو ثلاث شراريف غير ان بين البترتين من أسفل جدارا
لطيفا فيه محراب فى هذين المقامين فقط ونقل الفاسى رحمه الله فى
كتابه شفاء الغرام ان ابتداء عمارة هذه الثلاث المقامات على هـذه
الصفة المذكورة كان فى سنة سبع وثمانمائة ثم قال وقد ذكرنا صفتها
القديمة فى أصل هذا الكتاب يعنى به أصل شفاء الغرام ولم يوجد هـذا
الاصل بعد الفاسى ولا عثر عليه مطلقاً فما كان من مقام الشافعى فهو
كذلك الى يومنا هذا وأما مقام المالكي والحنبلى فقدأدركتهما كذلك
ثم غيرا بعد الثلاثين وتسعمائة قبل تأليفنا لهذا الكتاب بأحسن مما كانا
عليه فى أيام مولانا الخنكار الاعظم سلطان الاسلام سليمان خان أدام
الله أيامه ورفع بالنصر والتأييد أعلامه وصفتهما الآن كل مقام بأربع
أساطين مثمنة الشكل كل اسطوانة قطعة واحـدة من الحجر الصوان
المكى وتحت كل اسطوانة قاعدة منحوتة بتربيع وتثمين وفوقها أخرى
كذلك من الحجر الصوان وفوق ذلك سقف من الخشب المدهون
المزخرف وفوقه الى جهة السماء أخشاب هيئة جملون عليهـا صفائح

الرصاص لأجل المطر وفى كل مقام محراب فيما بين الاسطوانتين المقدمتين الى جهة القبلة وهما كذلك الى هذا التاريخ وكان المباشر لذلك عبد الكريم اليازجي الرومى والله أعلم

﴿ ذكر كيفية صلاة الأئمة ﴾

بهذه المقامات و بيان مواضعها من المسجد الحرام

أما كيفية الصلاة فانهم فى زماننا هذا يصلون مرتبين الشافعى فى مقام الخليل عليه السلام ثم الحنفى امام الحنفية بعده في مقام الحنفية ثم امام المالكية بعده فى مقامه المتمين له ثم امام الحنابلة بعده في مقامه وهذا فى الاربع الفروض الفجر والظهر والعصر والعشاء وأما صلاة المغرب فكان فيما أدركناه قريبا يصلى الحنفى والشافعى معاً في وقت واحد فحصل بذلك التخليط والتشويش على المصلين من الطائفتين بسبب اشتباه أصوات المبلغين فأنهى ذلك الى مولانا السلطان سليمان فبرز أمره بالنظر في ذلك وازالة هذا التخليط فاجتمع القضاة والامير على بك نائب جدة في الحطيم واقتضى رأيهم ان الحنفي يتقدم فى صلاة المغرب وعند التشهد يدخل امام الشافعى وكان هذا فى حدود احدى وثلاثين وتسعمائة واستمر ذلك الى وقتنا هذا عام تسعة وأربعين وتسعمائة فجزى الله الساعى في ذلك خيرا وأما المالكى والحنبلى فلا يصلون المغرب فيما أدركناه وأما كيفية الصلاة فيما تقدم من الزمان فكانوا يصلون مرتبين كما في الاربع الفروض المتقدمة الا ان المالكي كان يصلى قبل الحنفي مدة ثم تقدم عليه الحنفى بعد التسعين

بتقديم التاء على السين وسبعمائة ونقل الفاسى عن ابن جبير ما يقتضى
ان كلا من الحنفى والحنبلى كان يصلى قبل الآخر أما صلاة المغرب
فكانوا يصلونها جميعاً أعنى الاربعة الائمة في وقت واحد فيحصل
للمصلين بسبب ذلك لبس كثير من اشتباه أصوات المبلغين واختلاف
حركات المصلين فأنكر العلماء ذلك وسعى جماعة من أهل الخير عند
ولي الامر اذ ذاك وهو الناصر فرج بن برقوق الجركسى صاحب مصر
فبرز أمره فى موسم سنة احدى عشرة وثمانمائة بان الامام الشافعى
بالمسجد الحرام يصلى المغرب بمفرده فنفذ أمره بذلك واستمر الحال
كذلك الى ان تولى الملك المؤيد شيخ صاحب مصر فرسم بان الائمة
الثلاثة يصلون المغرب كما كانوا قبل ذلك فابتدؤا بذلك فى ليلة السادس
من ذى الحجة عام سنة عشر وثمانمائة واستمروا يصلون كذلك
الى (١) وأما وقت حدوث صلاة الائمة المذكورين على الكيفية
المتقدمة فقال الفاسي رحمه الله لم أعرفه تحقيقاً ثم نقل ما يدل على ان
الحنفى والمالكى كانا موجودين مع الشافعى في سنة سبع وتسعين بتقديم
السين فى الكلمة الاولى والتاء فى الثانية وأربعمائة وان الحنبلى لم
يكن موجودا فى ذلك الوقت وانما كان امام الزيدية ثم قال ووجدت
ما يدل على ان امام الحنابلة كان موجودا فى عشر الاربعين وخمسمائة
والله تعالى أعلم ﴿وأما بيان محل المقامات المذكورة من المسجد الحرام﴾
فان مقام الشافعي خلف مقام الخليل ولكن ما يصلى امام الشافعية الا

(١) بياض بالاصل

في مقام الخليل قديما وحديثاً ومقام الحنفي بين الركنين الشامى ويسمى العراقي أيضاً والغربي عن يمين مقام الخليل فى جهة الشام تجاه جدار الكعبة الذى فيه الميزاب قريب من حاشية المطاف ومقام المالكى بين الركنين الغربى واليمانى قريب من الحاشية ومقام الحنبلى تجاه الحجر الاسود وقربه من المطاف كقرب مقام الحنفي

﴿ ذكر ما في المسجد الحرام من القبب وغيرها ﴾

فيه الآن قبتان كبيرتان متقاربتان جدا الى جانب بئر زمزم من جهة المشرق احداهما وهي التى تلى زمزم معدة لمصالح المسجد كالمصاحف (١) والربعات الموقوفة وحفظ الفوانيس والشمع والشمعدانات النحاس والمسارج النحاس والكراسى الخشب التى ترفع عليها الرباع وما أشبه ذلك من الاشياء الموقوفة لمصالح المسجد الحرام ولم أقف على ابتداء عمارتها متى كانت وقد جددها الناصر العباسي وكانت موجودة قبله وذكر الفاسى رحمه الله مايدل على انها قديمة لانه نقل عن ابن عبد ربه انه ذكرها فى العقد وان ابن عبد ربه توفى فى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ونقل أيضا عن ابن جبير انه ذكر هذه القبة فى أخبار رحلته وذكر انها تنسب لليهودية ولم يبين سبب هذه النسبة

﴿ والقبة الثانية ﴾ هى سقاية العباس عمرت فى سنة ٨٠٧ وخلف سقاية العباس ملاصقاً لجداره محل لطيف مسقوف فيه آلات الوقادة

(١) منها مصحف عثمان رضى الله عنه على ما يقال اهـ شفاء الغرام

كالعيدان التى ينزل بها القناديل ويسرج بها وكالقصب المجوف الذى يطفأ به المصابيح وبعض شئ من الزيت الذي يحتاج اليه توقيد الشهر وبعض شئ من القناديل الزجاج والحراريق التى توقد على المقامات في الليالى المباركة كليلة أول المحرم وليلة العشر منه وليلة النصف من شعبان وليلة أوائل الشهور وغير هـذا (ومنها) فى المسجد الحرام بئر زمزم ومحلها تجاه الحجر الاسود فى محل مرخم عليه سقف وفوقه ظلة مسقفة بالخشب المزخرف وفوقه جمالون بقبة فى الوسط مصفح بالرصاص وقد جدد ذلك فى عام ثمانية وأربعين وتسعمائة على يد الامير خشقلدى كان الله له تجديدا حسنا وفي هذه الظلة خزانة لطيفة فيها منا كيب زجاج لمعرفة أوقات الصلاة والى جانبها مزولة يعلم بها الماضى والباقى من النهار وفي الظلة يؤذن رئيس المؤذنين ويبلغ خلف امام الشافعية فى الصلوات الخمس هذا وفى زيادة باب ابراهيم حاصلان مسقوفان باباهما في نفس الزيادة معدان لحفظ أخشاب المسجد المنكسرة والمنابر الداثرة والرصاص المتقلع وغير ذلك من الانقاض عمرا فى حدود عام سبعة عشر وتسعمائة أو في الذى قبله في زمن السلطان الغورى على يد الامير خاير بك العلائي المعروف بالمعمار هذا ما في المسجد الحرام مما أعد لمصالحه ومما أحدث لمصالح المسجد الحرام حاصلان كبيران فى زيادة دار الندوة على يسار النازل من باب سويقة أحد أبواب المسجد الحرام أحدثهما الجناب الكريم ذو الهمة العظيمة والرأى المستقيم الامير خشقلدى أعز الله جنابه وأجزل أجره وثوابه وكان مبدأ عمارتهما في شهر رجب أيضا عام تسعة

وأربعين وتسعمائة وكانت عمارتهما في هذا المحل فى غاية الصواب لان محلهما كان به دكة عالية وربما يحصل فيها أو قد حصل من المفاسد ما الله أعلم به فانصان ذلك المحل بعمارة هذين الحاصلين وزال ما يتوقع من المفاسد ونقل الزيت المتعلق بالمسجد من محله الاول الذى كان خارج المسجد الى أحد هذين الحاصلين وصار ذلك أحفظ له كل هذا بهمة الامير المذكور وحسن رأيه جزاه الله تعالى خيرا والله أعلم

﴿ ذكر عدد أبواب المسجد الحرام ﴾
﴿ وأسمائها وبيان محلها من المسجد ﴾

للمسجد الحرام الآن من الابواب تسعة عشر بابا بثمانية وثلاثين منفذا فمن ذلك بالجانب الشرقى أربعة أبواب باحد عشر منفذا الاول باب السلام ويعرف قديما بباب بنى شيبة وهو ثلاث منافذ (الثاني) باب الجنائز وسمى بذلك لان الجنائز قديما كان يخرج بها منه وهو منفذان وعرفه الازرقي بباب النبى عليه السلام لانه كان يخرج منه الى منزله دار خديجة زوجته ويدخل منه (الثالث) باب العباس بن عبد المطلب لانه يقابل داره التى بالمسعى وهو ثلاث منافذ (الرابع) باب على وهو ثلاث منافذ أيضا وعرفه الازرقى بباب بنى هاشم وبباب البطحاء أيضا (ومن ذلك) بالجانب الشامى خمسة أبواب بستة منافذ (الاول) باب الدريبة منفذ واحد على يمين الداخل الى المسجد من باب السلام (الثانى) باب سويقة فى صدر زيادة دار الندوة منفذان (الثالث)

باب الزيادة غربي الزيادة المذكورة على يمين الداخل الي المسجد الحرام من باب سويقة وهو منفذ واحد (الرابع) باب العجلة وسمى بذلك لكونه عند دار كانت تسمى قديما دار العجلة ولم أدر ماهذه العجلة وهو منفذ واحد (الخامس) باب السدة لكونه سد ثم فتح وعرفه الازرقى بباب عمرو بن العاص رضى الله عنه وسكن مؤلف هذا الجامع على يسار النازل من هذا الباب الى المسجد الحرام بجوار المسجد فلله الحمد على اختصاصى بجوارين وهو منفذ واحد (ومن ذلك) بالجانب الغربي ثلاثة أبواب باربعة منافذ (الاول) باب العمرة لان المعتمرين من جهة التنعيم يخرجون منه ويدخلون منه فى الغالب وسماه الازرقى باب بنى سهم وهو منفذ واحد (الثاني) باب ابراهيم منفذ واحد كبير أكبر أبواب المسجد فى الزيادة التى بهذا الجانب قال الفاسى وابراهيم المنسوب اليه هذا الباب كان خياطا عنده على ماقيل كما ذكره البكرى فى كتاب المسالك والممالك وان العوام نسبوه اليه و وقع للحافظ أبي القاسم ابن عساكر وابن جبير وغيرهما من العلماء ما يقتضى انه الخليل عليه السلام وهو بعيد لا وجه له والله أعلم انتهي (الثالث) باب الحزورة المصحف الآن بعزورة بالعين المهملة وهو منفذان وعرفه الازرقى بباب بنى حكيم ابن حزام بالحاء المهملة المكسورة والزاء المعجمة وبباب بنى الزبير بن العوام أيضا ثم قال والغالب عليه باب الحزامية لانه يلى خط الحزامية (ومن ذلك) بالجانب الجنوبى سبعة أبواب بسبعة عشر منفذا الاول باب أم هانئ بنت أبى طالب وبذلك عرفه الازرقي وهو منفذان

وذكر الفاسى انه يسمى بباب الملاعبة لانه بحذاء دار تنسب للقواد الملاعبة يعنى في زمنه وعرفه الاقشهرى بباب الفرج ونسبته الى أم هاني هو الاشهر الى يومناهذا الان ما يليه من المسجد كان دارا لام هاني وكان عندها بئر جاهلية فدخلت الدار والبئر في المسجد فى زيادة المهدى الثانية فحفر المهدى عوضها بئرا على باب البقالين فى حد ركن المسجد الحرام نبه عليه الازرقى (أقول) لعل هذه البئر التى هى عند باب الحزورة على يسار الخارج من المسجد الحرام يغسل منها الاموات الطرحاء الفقراء الآن فاني لا أعلم هناك بئرا غيرها وفى هذا دلالة على ان باب البقالين هو باب الحزورة كما سبق التنبيه عليه انتهى (الثاني) باب مدرسة الشريف عجلان لانها بجانبه كذا عرفه الفاسى وعرفه الازرقى بباب بنى تيم وهو منفذان (الثالث) باب المجاهدية لان عنده مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن كذا عرفه الفاسى ويقال له باب الرحمة وما عرفت سبب هذه التسمية وذكر الازرقى انه من أبواب بنى مخزوم وهو منفذان (الرابع) باب أجياد الصغير منفذان كذا عرفه ابن جبير وعرفه أيضاً بباب الخلقيين ولم أعرف ما المراد بذلك وعرفه الازرقى بباب بنى مخزوم (الخامس) باب الصفا خمسة منافذ وعرفه الفقهاء فى المناسك بباب بنى مخزوم وكذا عرفه الازرقى أيضاً وسبب تعريف هذه الابواب ببنى مخزوم كونهم كانوا ساكنين فى تلك الجهة (السادس) باب البغلة بباء موحدة وغين معجمة وهو منفذان كذا عرفه الفاسى ولم أدر ماسبب هذه الشهرة وعرفه الازرقى بباب بني سفيان (السابع)

باب باذان كذا سماه الفاسي وقال لان عين مكة المعروفة بباذان عنده وعرفه الازرقي بباب بني عائذ وهو منفذان (أقول) في عبارة الفاسي بعض تسامح لان باذان هو المحل الذي تمر فيه عين مكة ينزل اليه بدرج لا نفس العين الجارية وكل محل ينزل اليه بدرج ويكون مستطيلا يسمى باذان في عرف أهل هذا الزمان وفي مكة الآن ثلاثة أماكن الثالث بغير درج والظاهر ان درجه أزيلت فيحتمل ان عين مكة كانت تسمى في ذلك الوقت باذان وسمى هذا المحل باسم العين ويحتمل أن يكون من باب تسمية الحال باسم المحل انتهي فهذه عدة أبواب المسجد الحرام الموجودة الآن والله أعلم

الباب الثامن

(في فضل أهل مكة واحترامهم)

ومزيد شرفهم واكرامهم وذكر شيء من فضل قريش ونسبة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة

روى الازرقي في تاريخه عن وهب بن منبه ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض استوحش لما رأى من سعتها ولم ير فيها أحدا غيره فقال يا رب أما لارضك هذه عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيري فقال له سأجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكري ويسبحني فيها خلقي وسأبوئك فيها بيتا أختاره

لنفسي وأختصه بكرامتي وآثره على بيوت الارض كلها باسمي فاسميه بيتي وأنطقه بعظمتي وأجوزه بحرماتي وأجعله أحق بيوت الارض كلها وأولاها بذكري وأجعله في البقعة التي اخترت لنفسي فاني اخترت مكانه يوم خلقت السموات والارض وأجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وأمنا أحرم بحرماته مافوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتي فقد عظم حرماتي ومن أحله فقد أباح حرماتي ومن آمن أهله فقد استوجب بذلك أماني ومن أخافهم فقد أخفرني في ذمتي ومن عظم شأنه عظم في عيني ومن تهاون به فقد صغر في عيني ولكل ملك حيازة مما حواليه و بطن مكة خيرتي وحيازتي وجيران بيتي وعمارها وفدي وأضياف في كنفي ضامنون علىّ في ذمتي وجواري فاجعله أول بيت وضع للناس وأعمره باهل السماء وأهل الارض يأتونه أفواجا شعثا غبرا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجيجا ويرجون بالتلبية رجيجا وينتحبون بالبكاء نحيبا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني ووفد الى ونزل بي ومن نزل بي فحقيق علىّ أن أتحفه بكرامتي وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الامم والقرون والانبياء أمة بعد أمة وقرن بعد قرن ونبي بعد نبي حتى ينتهي ذلك الى نبي من ولدك وهو خاتم النبيين فأجعله من عماره وسكانه وحماته وولاته وسقاته يكون أميني عليه ما كان حيا وأجعل اسم ذلك البيت وذكره وشرفه لنبي من ولدك قبل هذا النبي وهو أبوه يقال له ابراهيم أرفع له قواعده وأقضي على يديه عمارته وأنيط له

سقايته وأريه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه وأجعله أمة واحدة قانتا لى قائما بامرى أجتبيه وأهديه الى صراط مستقيم أستجيب له فى ولده وذريته من بعده وأشفعه فيهم فاجعلهم أهل ذلك البيت وولاته وحماته وسقاته وخدامه وخزانه وحجابه حتى يبتدعوا ويغيروا فاذا فعلوا ذلك فانا الله أقدر القادرين على أن أستبدل من أشاء بمن أشاء أجعل ابراهيم امام أهل ذلك البيت وأهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الانس والجن يطؤن فيها آثاره ويتبعون فيها سنته ويقتدون فيها بهديه فمن فعل ذلك منهم أوفى نذره واستكمل نسكه ومن لم يفعل ذلك منهم ضيع نسكه وأخطأ بغيته فمن سأل عنى يومئذ فى تلك المواطن أين أنا فانا مع الشعث الغبر الموفين بنذرهم المستكملين مناسكهم المبتهلين الى ربهم الذي يعلم ما يبدون وما يكتمون وليس هذا الخلق وهذا الامر الذى قصصت عليك شأنه يا آدم بزائدى فى ملكى ولا عظمتى ولا سلطاني ولا شيء مما عندى الا كما زادت قطرة من رشاش وقعت في سبعة أبحر تمدها من بعدها سبعة أبحر لا يحصى ٧ بل القطرة أزيد في البحر من هذا الامر في شيء مما عندى ولو لم أخلقه لم ينتقص شيء من ملكى ولا عظمتى ولا مما عندى من الغنى والسعة الا كما نقصت الارض ذرة وقعت في جبالها وترابها وحصاها ورمالها وأشجارها بل الذرة أنقص للارض من هذا الامر لو لم أخلقه لشيء مما عندى وبعد هذا من هذا مثلا للعزيز الحكيم انتهى بنصه وجاء في الحديث ان سفهاء مكة حشو الجنة كذا نقل عن أبى العباس

الميورقي ووقع بين عالمين منازعة في الحرم المكى فى تأويل هذا الحديث وسنده فكابر أحدهمـا وطعن في سند الحديث ومعناه فاصبح وقد طعن أنفه واعوج وقيل له ان والله سفهاء مكة من أهل الجنة سفهاء مكة من أهل الجنة سفهاء مكة من أهل الجنة ثلاثا فادركه روع وخرج الى الذى كان يكابره في الحديث من علماء عصره وأقر على نفسه بالكلام فيما لا يعنيه وفيما لم يحط به خبرا قال القاضى تقى الدين الفاسى رحمه الله بلغنى ان الرجل المنكر للحديث هو الامام تقى الدين محمد بن اسماعيل بن أبى الصيف اليمنى الشافعى نزيل مكة ومفتيها وانه كان يقول انما الحديث أسفا مكة أى المحزونون فيها على تقصيرهم والله أعلم انتهى وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لمقبرة مكة نعم المقبرة هذه وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال وقف رسول الله عليه السلام على المقبرة يعنى مقبرة مكة وليس فيها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله عز وجل من هذه البقعة أو من هذا الحرم سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر فقال أبو بكر رضي الله عنه ومن هم يارسول الله قال هم الغرباء قال المجد رحمه الله بعد ان ذكر هذا الحديث فى منسكه وانما ذكرت هذا الحديث في فضل أهل الحرم لان الغرباء المدفونين فى الحرم صاروا من أهل الحرم في الجملة ويروى ان أهل مكة كانوا يلقبون فيما مضى بأهل الله وهذا من أهل الله ذكره الازرقى وغيره أقول المراد بأهل مكة قريش وبمامضى حال شركهم وكفرهم كماذكره

أهل السير فبالاولى أن يقال لهم بعد أن أكرمهم الله بدين الاسلام وأعزهم بنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام فطوبى لاهل مكة ثم طوبى انتهى وعنه صلى الله عليه وسلم انه سأل الله عما لأهل بقيع الغرقد فقال لهم الجنة فقال يا رب مالاهل المعلاة قال يا محمد سألتني عن جوارك فلا تسألني عن جواري والغرقد بالغين المعجمة وعن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة قال له هل تدرى الى من أبعثك أبعثك الى أهل الله زاد الازرقي فاستوص بهم خيرا يقولها ثلاثا وأخرج الازرقي ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عزل عامله رافع بن حارث الخزاعي لاستعماله على أهل مكة مولاه عبد الرحمن بن أبزى واشتد غضبه عليه لذلك ولم يسكن غضبه عن رافع الا حين أخبر ان ابن أبزى قارئ لكتاب الله تعالى عالم بالفرائض وتواضع حينئذ عمر رضى الله عنه وقال لئن كان كذلك فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يرفع بهذا الدين أقواما ويضع به آخرين وفى رواية بهذا القرآن أقول ما تقرر من الفضل المذكور لاهل مكة فهو على سبيل العموم للصالح منهم والطالح كما دل عليه سياق الكلام الذى هو فى مقام الامتنان ويشهد لذلك الحديث المتقدم آنفا سفهاء مكة حشو الجنة وهذا مما لا يخفى على من له أدنى تأمل وهذا الفضل لا يشاركهم فيه أحد بل تميزوا به وشاركوا غيرهم فى أعظم الامور وهو الاسلام وكذلك الحج فان الواحد منهم منذ سقط رأسه والى حين وفاته يحج هذا البيت اذا

كان مقيما فان أحرم عنه وليه فى كل عام الى حين بلوغه فلا ريب فى تسميته حاجاً وحصول ثواب الحج النفل والا فقد شهد المشاعر العظام ولا يتهيأ هذا لغيرهم وهذا حال أكثرهم فلله الحمد والمنة على ذلك فلو خصص الله أحدا منهم بزيادة خلة بفتح الخاء وهى الخصلة من خصال الخير اما علم أو ورع أو زهد أو تقوى أو صلاح فلا ريب حينئذ في زيادة فضله وشرفه وعلو مقامه وأما من جمع الله فيه هذه الخصال فبخ بخ له وأين ذالك فان كان من قريش واجتمع فيه ما تقدم من النعوت فلا كلام حينئذ فى زيادة شرفه لما ان كثرة الخصال الحميدة والاوصاف المجيدة مما تدل على شرف القائم بها وزيادة فضله لا سيما اذا كان ثابت التوالد بمكة هو وأبوه وأجداده جاهلية واسلاماً وذلك لفضل قريش مطلقاً على جميع العرب ولما خصهم الله به من سنى المجد ورفيع النسب انتهى والله الموفق

﴿ فصل ﴾

فيما ورد فى حق قريش من الآيات والاحاديث والآثار

قال الله تعالى لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف السورة قال الكواشى أصل الرحلة السير على الراحلة ثم استعمل لكل سير وقرئ بضم الراء وهى الجهة يرحل اليها وأراد رحلتى الشتاء والصيف فأفرد للعلم به لان قريشاً كانت ترتحل كل عام للتجارة رحلتين رحلة شتاء الى اليمن لانه أدفأ ورحلة صيف الى الشام يستعينون بهما على المقام

بمكة وقريش من ولد النضر بن كنانة ومن لم يلده فليس بقريشي انتهى والاشهر ان كل من كان من ولد فهر بن مالك فهو قريشي ومن لم يكن من ولده فليس بقريشي وهو جماع قريش بأسرها والدليل على صحة ذلك انه لا يعلم قريشي من كتب النسب اليوم ان قريشا تنسب الى أب فوق فهر وفهر لقب له والذي سمته به أمه قريش وسيأتي آنفا سبب تسميته بذلك بأبسط من هذا ان شاء الله تعالى قال صاحب المدارك وكانت قريش في رحلهم آمنين لانهم أهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسيرهم وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم انتهى ملخصا وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك قيل في تفسيرها يقال ممن هذا الرجل فيقال من العرب فيقال من أيهم فيقال رجل من قريش وعن ابن عباس وانه لذكر لك ولقومك شرف لك ولقومك وقال تعالى لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أى فيه شرفكم وقال تبارك وتعالى وأنذر عشيرتك الاقربين المراد قريش وقال تعالى ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت أى كريم يعنى قريشا وقال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى أى لا أسألكم أجرا الى ما أدعوكم اليه الا ان لا تؤذوني بقرابتي منكم وتحفظوني بها ولا تكذبوني قال ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط النسب في قريش ليس بطن

من بطونهم الاوقد ولده * وأما ماورد فى حقهم من الاحاديث فكثيرة من ذلك في صحيح البخارى قوله صلى الله عليه وسلم الناس تبع لقريش وفيه أيضا ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين وفيه لا يزال هذا الامر فى قريش ما بقى منهم اثنان وفى الفائق بلفظ ما بقى في الناس اثنان قال العلامة السيوطي فى شرح هذا الحديث هو خبر بمعني الامر والا فقد خرج الامر عنهم من أكثر من مائتي سنة ويحتمل أن يكون على ظاهره وانه مقيد بقوله فى الحديث الآخر ما أقاموا الدين ولم يخرج عنهم الا وقد انتهكوا حرماته انتهى وفى الفائق عنه صلى الله عليه وسلم أذق اللهم آخر قريش نوالا كما أذقت أولهم وبالا وفيه عنه صلى الله عليه وسلم استقيموا لقريش ما استقاموا لكم وفيه عنه صلى الله عليه وسلم خير نساء صلح نساء قريش أحناهن على ولد وأرعاهن لزوج وفيه عنه صلى الله عليه وسلم خيار قريش خيار الناس وفيه عنه صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرأيت قصرا من ذهب فقلت لمن هذا فقيل لرجل من قريش وفيه عنه صلى الله عليه وسلم ذروا فعل قريش وخذوا بقولهم أقول يحتمل ان هذا قاله صلى الله عليه وسلم في ابتداء الامر قبل اسلام قريش وهو الظاهر من فحوى الكلام وفيه من التنويه بشأنهم ما لا يخفى حيث كانت أقوالهم سديدة معتبرة وهم في تلك الحال المطبوع على قلوبهم فيها ومع ذلك فقد أمر صلى الله عليه وسلم بالاخذ بقولهم ويحتمل ان ذلك بعد اسلامهم ويحمل على بعض منهم كانت أفعالهم غير مستقيمة

ويحتمل أن يكون ذلك في واقعة مخصوصة اقتضاها الحال وهـذا مني على سبيل البحث وما أدى اليه الفهم والا لم أقف على كلام في ذلك انتهى وفيه عنه صلى الله عليه وسلم شرار قريش خير شرار النـاس وفيه عنه صلى الله عليه وسلم قريش أهل الله وخاصته وفيه عنه صلى الله عليه وسلم أسرع الناس فناء قريش وفيه عنه صلى الله عليه وسلم قريش هم الانصار ليس لهم دون الله ورسوله مولى قرت عين من أطعم الناس الطعام أقول قوله في آخر الحديث قرت عين من أطعم الناس الطعام يحتمل أن يكون الكلام راجعاً الى قريش ويصير المعنى من أطعم من قريش الطعام قرت عينه ويكون فيه حث على قراء الاضياف ومكارم الاخلاق لان العرب قديماً وحديثاً يفتخرون بذلك ويتبادحون به وهذا هو الاشبه الذي سبق اليه الفهم ويحتمل أن يرجع الى غيرهم ممن يكرم قريشاً ويقريهم ويطعمهم وعلى كلا التقديرين ففيه اشارة لهم ومدحة انتهى وفيه عنه صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تتقدموهم وفيه عنه صلى الله عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله وفيه عنه صلى الله عليه وسلم من يرد اهانة قريش يهنه الله فتأمل هذه الكرامة التي أكرمهم الله بها وان بمجرد النية جوزي بالاهانة على حد قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم فسبحان من فضل بعض الناس على بعض وفيه عنه صلى الله عليه وسلم لا يبغض قريشا رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وفيه عنه صلى الله عليـه وسلم قال اني امرؤ من قريش فمن نال من قريش شيئا فقد نالني رواه الزبير بن بكار وعنه

صلي الله عليه وسلم انه قال صلب الناس قريش وهل يمشي الرجل بغير صلب وعنه صلي الله عليه وسلم انه قال قريش كالملح فهل يطيب طعام الا به ولولا ان تطغى وفى رواية ان تبطر قريش لاخبرتها بما لها عند الله عز وجل وعنه صلى الله عليه وسلم أمان لاهل الارض من الاختلاف الموالاة لقريش قريش أهل الله فاذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب ابليس رواه ابو نعيم وعنه صلى الله عليه وسلم اللهم فقه قريشا في الدين وعنه صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الارض علما قال بعض العلماء ان هذا العالم هو الامام الشافعي رضى الله عنه لان علمه قد ظهر وانتشر فى البلاد وكتبت كتبه كما كتب المصاحف ودرسها المشايخ والشبان واستظهروا أقاويله وأجروها فى مجالس الحكام والقراء والامراء وهذه صفة لا نعلمها قد أحاطت بأحد الا بالامام الشافعي اذ كل واحد من قريش من علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم وان كان علمه قد ظهر وانتشر لكنه لم يبلغ مبلغا يقع تأويل هذه الرواية عليه والى مثل هذا التأويل ذهب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تعلموا قريشا وتعلموا منها فان أمانة الامين من قريش تعدل أمانة الاثنين من غيرهم وللقريشى قوة الرجلين من غير قريش وعقل الرجل من قريش عقل رجلين من غيرهم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان قريشا أهل أمانة وصدق فمن بغى لهم الغوائل وفى رواية العواثر أكبه الله لوجهه فى النار يوم القيامة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال أحبوا

قريشا فان من أحبهم أحبه الله تعالى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لابي الدرداء يا أبا الدرداء اذا فاخرت ففاخر بقريش وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعائشة ان أول من يهلك من الناس قومك فقالت فما بقاء الناس بعدهم فقال صلى الله عليه وسلم هم صلب النـاس اذا هلكوا هلك الناس وفي رواية انها قالت فكيف الناس بعد ذلك أو عند ذلك فقال عليه السلام دباء يأكل شداده ضعافه حتى تقوم الساعة والدباء التى لم تنبت أجنحتها من الجراد وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى فضل قريشا بسبع خصال لم يعطها أحدا قبلهم ولا بعدهم فضلهم باني منهم وان النبوة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصرهم على الفيل وعبدوا الله عشر سنين لم يعبده فيها أحد غيرهم وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يشركهم فيها أحد غيرهم يعنى لايلاف قريش وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاء من بدر سمع رجلا من الانصار وهو يقول وهل لقينا الا عجائز كالجزر المعلقة فنحرناها فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لا تقل ذاك يا ابن أخي أولئك الملأ الاكبر من قريش أما انك لو رأيتهم في مجالسهم بمكة هبتهم فوالله لقد أتيت مكة فرأيتهم قعودا في المسجد في مجالسهم فما قدرت أن أسلم عليهم من هيبتهم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال عبد مناف عز قريش وأسد بن عبد العزى عضدها وركنها وزهرة الكبد وتيم وعدى رئتها ومخزوم فيها كالاراكة في نضرتها وجمح وسهم جناحاها وعامر ليوثها وفرسانهـا وكل تبع لولد قصى

والناس تبع لقريش وركحها بكسر الراء المهملة ثم كاف ثم حاء مهملة
والاحاديث فى فضلهم كثيرة لا يحملها هذا التعليق وفيما ذكرته مقنع
وأما ما ورد فى حقهم من الآثار فروي عن عروة بن الزبير انه قال
كانت قريش فى أيام الجاهلية تدعي العالمية للعلم وعن أنس بن مالك
رضى الله عنه انه قال لما أمر عثمان رضى الله عنه زيد بن ثابت وسعيد
ابن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام
رضى الله عنهم أن ينسخوا المصحف من الصحف التى جمع فيها القرآن
فى خلافة الصديق رضى الله عنه قال لهم اذا اختلفتم أنتم وزيد بن
ثابت في عربية من القرآن فاكتبوها بلسان قريش فانما نزل بلسانهم
ففعلوا فلما بلغوا ذكر التابوت قال زيد بن ثابت رضي الله عنه التابوه
بالهاء وهي لغة الاوس والخزرج فاختلفوا فأمر عثمان أن يكتب بالتاء
بلغة قريش قال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وعن
هشام بن عروة بن الزبير انه قال كانت لقريش في ذلك ضابط كمملكة
فارس وليس لهم ملك وانما كان ذلك باحلامهم وكان كالسلطان الضابط
وكان يقال لهم قطين الله وذكر ان العربى من غير قريش كان فيما مضى
لم يقدر على الخروج من دار قومه في غير الاشهر الحرم الا فى جماعة
وكان القريشى يخرج وحده حيث شاء وأنى شاء فيقال رجل من أهل
الله عز وجل فلا يعرض له عارض ولا يريبه أحد ولم يعهد ان الحرم
غزى ولا سبيت قريشية في جاهلية ولا اسلام قط ويروي ان كنانة
ابن خزيمة بن مدركة أتى فى منامه وهو فى الحجر فقيل له تخير يا ابا

النضر بين الصهيل والهدرة أو عمارة الجدر أو عز الدهر فقال كلا يا رب فصار كل هذا من قريش وكانت قريش على ارث من دين أبويهم ابراهيم واسماعيل صلوات الله عليهما من قرى الضيف ورفد الحاج وتعظيم مكة المكرمة ومنع الملحد والباغى فيها وقمع الظالم ونصر المظلوم غير ان أوائلهم دخلت فيهم أحداث غيرت أصول الحنيفية دين ابراهيم وطال الدهر حتى أفضى بهم ذلك الى الجهل بشعار الدين والضلال عن سنن التوحيد فمحا الله عز وجل ذلك كله بنبيه محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم فأنقذهم به من الضلالة وهداهم من العماية والجهالة

(استطراد مهم)

حيث ذكرت شيئاً من فضائل قريش رأيت أن أذكر نسب سيد قريش وصميمها وغلصمتها وعظيمها سيدنا محمد خاتم النبيين وحبيب رب العالمين ونسب أصحابه العشرة الكرام البررة وذكر شىء من مناقبهم وأحوالهم على سبيل الاختصار لتشمل بركتهم هذا المؤلف ويسطر ثواب ذلك في صحائف المؤلف لما ان العشرة رضوان الله عليهم كلهم من قريش ونسبهم متصل بنسبه صلى الله عليه وسلم فأقول

أما نسبه صلى الله عليه وسلم فهو (سيدنا محمد بن عبد الله الذبيح) وسيأتى سبب تسميته بذلك قريباً فى فضل زمزم ان شاء الله تعالى (ابن عبدالمطلب) واسمه شيبة الحمد وقيل عامر وانما قيل له شيبة الحمد لشيبة كانت في ذؤابته ظاهرة وكنيته ابو الحارث بابن له وانما قيل له عبد

المطلب لان أباه هاشما قال لاخيه المطلب وهو بمكة لا حين حضرته الوفاة ادرك عبدك بيثرب فسمى عبد المطلب لهذا وقيل ان عمه المطلب جاء به الى مكة رديفه وهو بهيئة غير لائقة فسألوه عنه فقال هو عبدى حياء أن يقول هو ابن أخى وهو بتلك الحالة فلما أدخله وأحسن من حاله أظهر انه ابن أخيه فلذلك قيل له عبد المطلب وقيل انه كان أسمر اللون فلما جاء به مردفه خلفه ظن الناس أنه عبده فقالوا قدم المطلب بعبد فلزمه ذلك (ابن هاشم) واسمه عمرو العلا وانما سمى هاشما لانه كان يهشم الثريد لقومه في أيام الجدب والمجاعة وفيه يقول القائل

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وبلغ فى الكرم مبلغا عظيما حتى انه كان يطعم الوحش والطير فينحر لهما فى رؤس الجبال واذا وقع القحط أطعم الناس وأمر الموسرين من أهل مكة بالانفاق على فقرائهم حتى يأتي الله بالغيث ثم انه وفد الشام على قيصر فاخذ كتابا بالامان لقريش وأرسل أخاه المطلب الى اليمن فاخذ من ملوكهم كتابا أيضاً ثم أمر بذلك تجار قريش برحلتى الشتاء والصيف فكانوا يرحلون في الصيف الى الشام وفي الشتاء الى اليمن كما تقدم فاتسعت من يومئذ معيشتهم بالتجارة وأنقذهم الله من الخوف والجوع ببركة هاشم (ابن عبد مناف) وكان يسمى قمر البطحاء لصباحته وهو الذى قام مقام أبيه قصى بالسيادة وسقاية الحاج وكان يسمى المغيرة على ماقيل وكنيته أبو عبد شمس (ابن قصى) واسمه

زيد وقيل يزيد وإنما قيل له قصي لانه ذهب مع أمه فاطمة بنت سعد من بني عذرة ونشأ مع اخواله وبعد عن مكة فسمي لذلك قصياً مأخوذ من القاصي وهو البعيد وكان يدعى مجمعا لانه لما كبر وعاد الى مكة جمع قريشاً من البوادي وردها الى مكة بعد ان تفرقت وأخرج خزاعة منها فلذا سمي مجمعا وفيه يقول الفضل بن عباس بن أبي لهب .

أبوكم قصي كان يدعي مجمعا   به جمع الله القبائل من فهر

(ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر) واسمه قريش وبه سميت قريش على أحد الاقوال وقيل أول من سمي قريشا قصي وهو ضعيف وسيأتي قريبا ما عليه الاعتماد في ذلك ان شاء الله تعالى (ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة) واسمه عامر وقيل عمرو وإنما سمي مدركة على ماقيل لانه جرى خلف أرنب فادركها فسماه أبوه مدركة (ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان) هذا هو المجمع عليه وكان صلى الله عليه وسلم اذا وصل الى عدنان أمسك وقال كذب النسابون فيما وراء ذلك (وآباؤه صلى الله عليه وسلم كلهم سادات ما منهم الا من هو سيد قومه في عصره وما أحسن ماقيل في هذا المعنى

فاؤلئك السادات لم تر مثلهم   عين على متتابع الاحقاب
لم يعرفوا رد العفاة وطال ما   ردوا عداتهم على الاعقاب
زهر الوجوه كريمة أحسابهم   يعطون سائلهم بغير حساب
حلموا الى أن لاتكاد تراهم   يوما على ذي هفوة بغضاب

وتكرموا حتى أبوا أن يجعلوا بين المفاة ومالهم من باب
كانت تعيش الطير في أكنافهم والوحش حين يشح كل سحاب
وكفاهم ان النبي محمدا منهم فمدحهم بكل كتاب

وأمه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر القرشية الزهرية فهو صلى الله عليه وسلم أصيل الطرفين كريم الاصلين زاده الله شرفا وكرما حملت به في شعب أبي طالب وولد بمكة فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج فى شعب بنى هاشم وسيأتى ذكرها ومحلها فى الخاتمة عند عد الاماكن المباركة التى تزار بمكة ان شاء الله تعالى وكانت ولادته يوم الاثنين على الصحيح لاثنى عشر من ربيع الاول عام الفيل على الصحيح وقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان ليال وقيل لعشر خلون منه وقيل أول اثنين منه وذلك بعد قدوم الفيل بشهر وقيل باربعين يوما وقيل بخمسين يوما وكان قدوم الفيل على ماقيل يوم الاحد السابع عشر من المحرم سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من تاريخ الاسكندر ذى القرنين ووافق يوم ولادته صلى الله عليه وسلم يوم عشرين من شهر نيسان أحد شهور الروم وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم بعد هبوط آدم بستة آلاف سنة وثلاث وأربعين سنة فى ولاية كسرى أنوشروان سنة سبع عشره منها بعد رفع عيسى بن مريم عليه السلام بخمسمائة وثمان وأربعين سنة كذا ذكره العلامة الحافظ عبد الرحيم الاسيوطى الشافعى فى ورقات له وكان له صلى الله عليه وسلم من الاولاد

سبعة ثلاثة ذكور وأربع اناث فالذكور القاسم وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم وعبد الله الطاهر ويقال الطيب أيضاً وابراهيم والاناث رقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة وكلهم من خديجة الا ابراهيم فان أمه مارية القبطية التى أهداها له المقوقس القبطى صاحب مصر وتوفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا اختلاف وقت الضحي ثاني عشر شهر ربيع الاول سنة أحد عشر لتمام عشر سنين من الهجرة وسنه ثلاث وستون سنة ودفن يوم الثلاثاء وقيل يوم الاربعاء صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

﴿ وأما نسب أبي بكر الصديق ﴾ رضى الله عنه فهو أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ومن هنا يجتمع نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم وينسب الى تيم فيقول التيمى وهو فى العدد الى مرة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم لان كل واحد منهما بينه وبين مرة ستة آباء فهذه موافقة بينهما في النسب كما فى العمر على أصح الاقوال (أمه) أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بنت عم أبيه كذا ذكره جمهور أهل النسب أسلمت قديماً في دار الارقم بن أبي الارقم وسيأتى تعريفها فيما بعد ان شاء الله تعالى وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وماتت مسلمة وكان اسم أبي بكر الصديق عبد الكعبة فلما أسلم سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وقيل كان اسمه عتيقا لعتاقة وجهه وجماله والعتق بالتحريك الجمال وقيل بل لقبته به أمه لانها كانت لا يعيش لها ولد فلما ظهر استقبلت به الكعبة ثم قالت اللهم ان هذا عتيقك من

الموت فهبه لى فماش فلزمه ذلك وقيل له أخوان عتق وعتيق فسمى باسم أحدهما وقيل لانه لم يكن في نسبه شيء يعاب به وقيل لانه قديم فى الخير والعتيق القديم وقيل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى هذا فسمى عتيقاً لذلك واختلف فى تلقيبه بالصديق لاى معنى قيل كان هذا اللقب قد غلب عليه فى الجاهلية لانه كان من رؤساء قريش وكانت اليه الديات اذا تحمل دية قالت قريش صدقوه وامضوا حمالته وحمالة من قام معه واذا تحملها غيره لم يصدقوه وقيل لتصديقه النبى صلى الله عليه وسلم فى خبر الاسراء وعن على بن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال ان الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق (صفته) كان أبيض نحيفا خفيف العارضين غائر العينين واحنا لا يستمسك ازاره معروق الوجه ناتئ الجبهة عادى الاشاجع وقيل أسمر واحنا بالحاء المهملة غير مهموز يعنى منحنياً وآجنا بالجيم والهمز بمعناه أيضا يقال فلان أجنى الظهر ومعنى معروق الوجه أى قليل اللحم والاشاجع جمع أشجع وهي أصول الاصابع المتصلة بعصب ظاهر الكف وكان يخضب بالحناء والكتم (خلافته) كانت خلافة الصديق رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام (سنه) كان عمره يوم مات ثلاثا وستين سنة كسن النبي صلى الله عليه وسلم (أولاده) كان له من الاولاد عبد الله وعبد الرحمن ومحمد وعائشة وأسماء (وفاته) قال أهل السير توفى أبو بكر رضي الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وقيل يوم

الجمعة لتسع بقين من الشهر المذكور والاول أصح لما روت عائشة رضى الله عنها ان الصديق لما ثقل قال أى يوم هذا قلنا له يوم الاثنين قال اليوم الذى قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرجو فيما بينى وبين الليل يعنى يرجو الموت وكان كذلك

(وأما نسب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه) فهو عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب يجتمع نسبه بالنبى صلى الله عليه وسلم في كعب وينسب الى عدى فيقال له العدوى (امه) حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ولم يزل اسمه فى الجاهلية والاسلام عمر وكناه النبى صلى الله عليه وسلم بابي حفص وكان ذلك يوم بدر وسماه الفاروق وسببه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان أسلم ألسنا على الحق يا رسول الله ان متنا وان حيينا قال بلى فقال عمر ففيم الاختفاء والذى بعثك لنخرجن فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفين من المسلمين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر وله زفير حتى دخل المسجد فنظرت قريش الى عمر وحمزة وقد أصابتهم كآبة فسماه النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق وقيل ان رجلا من المنافقين ويهوديا اختصما فقال اليهودى ننطلق الى محمد بن عبد الله وقال المنافق بل الى كعب بن الاشرف فأبى اليهودى وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودى فلما خرجا قال المنافق ننطلق الى عمر بن الخطاب فأقبلا عليه فقصا عليه القصة فدخل البيت ثم خرج والسيف في يده فضرب

عنق المنافق وقال هكذا أقضى على من لم يرض بقضاء النبى صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل فقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقيل بل سماه الله تعالى بذلك فى السماء (صفته) أبيض أمهق وهو الذى لا يكون له دم ظاهر كذا وصفه أهل الحجاز ووصفه الكوفيون بانه أسمر وكان طوالا أصلع أجلح شديد حمرة العينين خفيف العارضين واختلف هل كان يصبغ أم لا قولان وكان رضى الله عنه من رؤساء قريش وأشرافهم واليه كانت السفارة في الجاهلية وهى ان قريشا كانوا اذا وقع بينهم حرب بعثوه سفيرا وان نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافرا ومفاخرا (خلافته) قال ابن اسحق كانت مدة ولاية عمر عشر سنين وستة أشهر وخمسة أيام وكان يحج بالناس كل عام غير سنتين متواليتين (سنه) اختلف أهل السير فى سن عمر فقيل ثلاث وستون سنة كسن النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر روى ذلك عن معاوية والشعبى وقيل خمس وخمسون سنة روى ذلك عن سالم بن عبد الله بن عمر وقال الزهرى أربع وخمسون سنة ذكر جميع ذلك الحافظ ابو عمر والسلفى وغيرهما وعن ابن عمر قال سمعت عمر يقول قبل موته بسنتين أوثلاث أنا ابن سبع أو ثمان وخمسين (عدة أولاده) قال أهل السير كان له ثلاثة عشر ولدا تسع بنين وأربع بنات بعضهم أشقاء وبعضهم من أمهات (وفاته) توفى عمر رضى الله عنه مقتولا شهيدا لاربع بقين من الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وقيل بل طعن لاربع بقين ومات في آخر شهر ذى الحجة واتفقوا على انه أقام بعد

ما طعن لامنا ثم مات وروى ان عثمان وعليا استبقا على الصلاة عليه فقال لهما صهيب اليكما عنى فقد وليت من أمركما أكثر من الصلاة عليه وأنا أصلي بكما المكتوبة فصلى عليه صهيب وروى ان ملك الموت لما دخل على عمر سمعه عمر وهو يقول لملك آخر معه هذا بيت أمير المؤمنين ما فيه شيء كأنه القبر فقال له عمر يا ملك الموت من تكون انت خلفه هكذا يكون بيته (وأما نسب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه) فهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف وينسب الى أمية فيقال الاموى (أمه) أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس بن عبد مناف القريشية أسلمت أمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم شقيقة أبي طالب (صفته) كان رجلا ربع القد ليس بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه بوجنتيه آثار جدرى أقنى رقيق البشرة عظيم اللحية طويلها أسمر اللون كثير الشعر له جمة أسفل من أذنيه ولكثرة شعر رأسه ولحيته سماه أعداؤه نعثلا بالنون ثم العين المهملة ثم ثاء مثناة من فوق ضخم الكراديس بعيد ما بين المكبين أصلع وكان يصفر لحيته ويشد أسنانه بالذهب وكان محببا في قريش وفيه يقول قائلهم أحبك الرحمن حب قريش عثمان (خلافته) كانت خلافته اثنى عشر سنة الا اثنى عشر يوما قاله ابن اسحق وقيل كانت احدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما (سنه) اختلف أهل السير في سن عثمان رضي الله عنه فقيل ثمانون سنة وقيل

ثمان وثمانون وقيل اثنان وثمانون وقيل ستة وثمانون وقيل تسعون (عدة أولاده) كانت أولاده ستة عشر ولدا تسعة ذكور وسبع اناث (وفاته) قال ابن اسحق كان قتل عثمان يوم الاربعاء بعد العصر ودفن يوم السبت قبل الظهر وقيل يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع خلت من ذى الحجة وقيل فى وسط أيام التشريق وقيل مصدر الحاج سنة خمس وثلاثين وروي انه مكث مطروحا يومه الى الليل وقيل ثلاثة أيام ثم دفن وصلى عليه جبير بن مطعم وقيل المسور بن مخرمة وقيل حكيم بن حزام وقيل الزبير وكان عثمان رضى الله عنه أوصى بالصلاة عليه وقيل بل صلى عليه ابنه عمرو الذي كان يكنى به وشاهد الناس الملائكة وهى تصلى عليه رضى الله عنه وأرضاه ومن خصائصه انه لايحاسب روى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه انه قال يارسول الله من أول من يحاسب يوم القيامة قال أبو بكر فقال على ثم من يارسول الله قال ثم عمر ثم أنت يا على قلت يارسول الله أين عثمان قال اني سألت عثمان حاجة سرا فقضاها سرا فسألت الله ان لايحاسبه كذا فى الرياض للمحب الطبرى

﴿وأما نسب سيدنا أمير المؤمنين على كرم الله وجهه﴾ فهو على بن أبي طالب ابن عبد المطلب أقرب العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد المطلب الجد الاول و بعده في القرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وينسب الى هاشم فيقال القريشى الهاشمى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمه) فاطمة بنت أسد بن هاشم

ابن عبد مناف قرشية هاشمية أول هاشمية ولدت هاشميا أسلمت وتوفيت بالمدينة وصلى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وولى دفنها وكانت ربت النبي صلى الله عليه وسلم كناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي تراب لانه نام في المسجد فسقط رداؤه من ظهره ومسه التراب فرآه النبي صلى الله عليه وسلم وهو بذلك الحال فمسح التراب عن ظهره وقال له اجلس أبا تراب ويكنى بأبي الحسن وهي أشهر (صفته) ربع القامة أدعج العينين عظيمهما حسن الوجه عظيم البطن أصلع ليس في رأسه من الشعر الا شيء يسير من خلفه كثير شعر اللحية ومن خصائصه كرم الله وجهه انه أول من يقرع باب الجنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأول من يجثو بين يدي الله عز وجل يوم القيامة للخصومة (خلافته) كانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر فمدة خلافة الاربعة على الصحيح تسعة وعشرون سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام وقد قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فاما أن يكون أطلق على ذلك ثلاثين لقربه منها أو تكون مدة ولاية الحسن ستة أشهر وهي تكملتها (أقول) يشكل ذلك بما رواه سهل بن أبي حثمة انه صلى الله عليه وسلم قال بعد كلام ألا وان الخلفاء بعدي أربعة والخلافة بعدي ثلاثون سنة نبوة ورحمة ثم خلافة ورحمة ثم ملك ثم جبرية وطواغيت ثم عدل وقسط ألا وان خير هذه الامة أولها وآخرها أخرجه أبو الخير القزويني الحاكمي ووجه الاشكال التصريح بان الخلفاء أربعة بعده صلى الله عليه وسلم فكيف تحسب مدة الحسن ويمكن أن يجاب عنه بأن مدة الحسن لما كانت يسيرة لم يعده خامسا وانما عد الاربعة

لطول مدتهم ومعظم خلافتهم هذا على تقدير صحة هذه الرواية وتسليمها والا فلا يرد الاشكال من أصله (عدة أولاده) ثلاثة وثلاثون ولدا خمسة عشر ذكرا وثمانية عشر أنثى وقيل ان الذكور أربعة عشر (وفاته) كان قتله فى صبيحة يوم سبعة عشر في رمضان وقيل ليلة الجمعة لثلاث عشر منه وقيل لاحد عشرة ليلة خلت منه أو بقيت وقيل لثمان عشرة ليلة منه سنة أربعين من الهجرة ومات من يومه ودفن بالكوفة ليلا واختلف هل قتل وهو فى الصلاة أو قبل الدخول فيها أقوال وهل استخلف من أتم الصلاة على القول بانه قتل وهو فيها أو أتمها هو فالاكثر انه استخلف جعدة بن هبيرة وجهل موضع قبره وكان ذلك حكمة من الله وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه ابنه الحسن وروى انه كان عنده مسك فاضل من حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن يحنط به ذكره البغوى ولما بلغ عائشة موته قالت لتصنع العرب ما شاءت فليس لها أحد ينهاها وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أخبرنى جبريل ان الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح فى جسده أمرني أن آخذ تفاحة من الجنة فاعصرها فى حلق آدم فعصرتها فخلقك الله يا محمد من النقطة الاولى وخلق من الثانية أبا بكر ومن الثالثة عمر ومن الرابعة عثمان ومن الخامسة عليا فقال آدم يارب من هؤلاء الذين أكرمتهم فقال الله تبارك وتعالى هؤلاء من ذريتك وهم أكرم عندى من جميع خلقى فلما عصى آدم ربه قال يارب بحرمة أولئك الخمسة الذين فضلتهم الا تبت على فتاب الله عليه

أخرجه الطبري في الرياض وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج أخرجه الملا فى سيرته

﴿ وأما نسب طلحة رضى الله عنه ﴾ فهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ويكنى بابي محمد يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب ومع أبي بكر في عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وينسب اليه كابى بكر فيقال القريشى التيمى أمه الصعبة بنت عبد الله بن عباد بن مالك بن ربيعة الحضرمى أخت العلاء بن الحضرمى أسلمت (صفته) أسمر اللون كثير الشعر حسن الوجه وكان لايصبغ شعره مربوعا الى القصر أقرب ومن خصائصه بروكه للنبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد على ظهره الى الصخرة فبشره صلى الله عليه وسلم ان جبريل لايراه فى القيامة فى مهم الا أنقذه منه (سنه) ستون سنة وقيل اثنان وستون وقيل أربع وستون وقيل غير ذلك (عدة أولاده) كان له من الاولاد أربعة عشر ولدا عشر ذكور وأربع اناث (وفاته) كان مقتل طلحة رضى الله عنه يوم الجمل وكان يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة

﴿ نسب الزبير رضى الله عنه ﴾ هو أبو عبد الله الزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قصى بن كلاب وينسب الى أسد بن عبد العزى فيقال القريشى الاسدى (أمه) صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله

صلى الله عليه وسلم أسلمت وهاجرت روى عنه انه قل لابنه عبد الله يابنى كانت عندى أمك أسماء بنت أبي بكر وعندرسول الله صلى الله عليه وسلم أختها عائشة خالتك وعمة أبي أم حبيبة بنت أسد جدته صلى الله عليه وسلم وأمى صفية عمته وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف وأختها هالة بنت وهب بن عبد مناف جدتى وخديجة بنت خويلد زوجته عمتى (صفته) ليس بالطويل ولا بالقصير وقيل كان طويلا يخط رجلاه في الارض اذا ركب خفيف اللحية أسمر اللون أشعر وكان لايغير شيبه وهو أول من سل سيفا فى سبيل الله فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم بالخير ودعا لسيفه (سنه) سبعة وستون سنة وقيل ست وستون وقيل أربع وستون وقيل ستون وقيل احد وستون وقيل خمس وسبعون وقيل بضع وخمسون (أولاده) كان أولاده عشرين ولدا أحد عشر ذكرا وتسع بنات (وفاته) قتل رضى الله عنه يوم وقعة الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة

﴿ نسب سعد رضي الله عنه) هوسعد بن مالك أبى وقص بن وهب وقيل أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة ويجتمع هو وعبد الرحمن بن عوف في زهرة كما سيأتى وينسب الي زهرة بن كلاب فيقال القريشي الزهرى ومن فضائله رضى الله عنه شهادة النبى صلى الله عليه وسلم له بنسبه روى عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم من أنا يارسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنت سعد بن مالك بن

وهيب بن عبد مناف بن زهرة من قال غير ذلك فعليه لعنة الله (أمه) حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ولم يزل اسمه فى الجاهلية والاسلام سعدا وكنيته أبو اسحاق (صفته) كان رجلا قصيرا غليظا ذا هامة أسمر اللون جعد الشعر أشعر الجسد ويخضب بالسواد وقيل انه كان طوالا وهو أول من رمى سهما فى سبيل الله وكان مجاب الدعوة لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك حيث قال اللهم استجب لسعد اذا دعاك وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم سدد سهمه وأجب دعوته وجمع له النبي صلى الله عليه وسلم بين أبويه ولم يجمع لاحد غيره وذلك انه جعل يقول له يوم أحد ارم ياسعد فداك أبي وأمى (سنه) كان له من العمر يوم مات بضع وستون سنه وقيل بضع وسبعون وقيل بضع وثمانون وقيل بضع وتسعون (أولاده) كان له من الاولاد أربعة وثلاثون ولدا سبعة عشر ذكرا وسبعة عشر أنثي (وفاته) توفى رحمه الله سنة خمس وخمسين من الهجرة وقيل أربع وخمسين وقيل ثمان وخمسين وكف بصره في آخر عمره وكان آخر العشرة موتا

﴿ نسب سيدنا سعيد ﴾ هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ابن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب ابن لؤي يجتمع نسبه بالنبي صلي الله عليه وسلم فى كعب بن لؤى ومع سيدنا عمر فى نفيل بن عبد العزى المتصل بكعب وينسب الى عدى فيقال القريشي العدوى وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ابن عم أبيه ولم يزل اسمه في الجاهلية والاسلام سعيدا ويكنى بابى الاعور (أمه) فاطمة

بنت بعجة بن ملح الخزاعية (صفته) كان أسمر اللون طويلا أشعر (سنه) كان سنه بضعا وسبعين سنة بتقديم السين قال أهل السير كان له من الاولاد أحد وثلاثون ولدا ثلاثة عشر ذكرا وثمان عشرة أنثى (وفاته) توفى رحمه الله بالعقيق وحمل الي المدينة ودفن بها سنة خمسين من الهجرة أو احدى وخمسين في أيام معاوية

﴿ نسب سيدنا عبد الرحمن ﴾ هو عبد الرحمن بن عثمان بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلاب بن مرة ويجتمع هو وسعد في زهرة وينسب اليه فيقال القريشي الزهرى (أمه) الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث الزهرية ابنة عم أبيه أسلمت وهاجرت كان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الحرب وقيل عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكان يصفه بالصادق البار (كنيته) أبو محمد (صفته) كان طويلا حسن الوجه رقيق البشرة أبيض اللون مشربا بحمرة وكان لا يصبغ لحيته ضخم الكفين غليظ الاصابع أقنى جعد الشعر له جمة من أسفل أذنيه ساقط الثنيتين وبه عرج من جراحة أصيب بها يوم أحد ومن خصائصه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فى بعض الاحوال (سنه) كان عمره خمسا وسبعين سنة. وقيل ثلاثا وسبعين وقيل اثنين وسبعين ودفن بالبقيع وقبره معروف وصلى عليه عثمان بن عفان وكان أوصاه بذلك (أولاده) كان له من الاولاد ثمانية وعشرون ولدا عشرون ذكرا وثمان اناث (وفاته) قال أهل السير توفى عبد الرحمن

ابن عوف رضى الله عنه سنة احدي وثلاثين من الهجرة النبوية وقيل سنة اثنين وثلاثين منها وكان ذامال عظيم ودنيا طائلة حتى روى ان احدى زوجاته صولحت عن نصيبها من الميراث على ثمانين الف دينار

﴿ نسب سيدنا عامر ﴾ هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن منبه بن الحارث بن فهر وهو قرشي يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في فهر بن مالك الذى هو جماع قريش وينسب الى فهر فيقال القريشى الفهرى وهو أبعد العشرة نسبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمه) من بنى الحارث بن فهر أسلمت ولم يزل اسمه في الجاهلية والاسلام عامرا (وكنيته) أبو عبيدة (صفته) كان رجلاً طويلا نحيفا أثرم الثنيتين خفيف اللحية يخضب بالحناء والكتم وسبب خروج ثنيتيه انه انتزع سهمين من جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقيل ان المنتزع حلقتا الدرع قال الطبرى ويجوز ان يكون السهمان أثبتا حلقتى الدرع فانتزع الجميع ونقل انه ماروىء أهتم كان أحسن منه رضى الله عنه والاهتم والاثرم بمعنى واحد ومن خصائصه شهادة النبي صلى الله عليه وسلم بانه أمين هذه الامة

﴿ فائدة ﴾ قال العلماء اذا شهد الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه بفضيلة عليهم وجب القطع بانه أفضل منهم فى تلك الفضيلة فيجب بان يقطع بان أبا عبيدة أفضل من أبي بكر وعمر وغيرهما في فضيلة الامانة وان أباذر أفضل منهم جميعا فى تحرى الصدق حيث قال فيه صلى الله عليه وسلم أصدقكم لهجة أبو ذر وان عليا كرم الله وجهه أقضاهم حيث

قال أقضاكم على وان معاذا أعلمهم بالحلال والحرام حيث وصفه بذلك والفضل المطلق لابى بكر الصديق بلا خلاف انتهى

(سنه) كان له من العمر يوم مات [1]

هذا تمام نسب العشرة الكرام رضى الله عنهم فما خرج أحد منهم عن قريش وكلهم نسبه ثابت من قريش من الجهتين من جهة أبيه ومن جهة أمه ماعدا طلحة وسعيد بن زيد فان أميهما غير قريشيتين لان أم طلحة بنت الحضرمي وأم سعيد خزاعية كما تقدم

﴿ ذكر وصف كل واحد من العشرة ﴾

رضى الله عنهم بصفة حميدة

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتى بامتى أبو بكر وأقواهم فى دين الله عمر وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم على بن أبي طالب ولكل نبي حوارى وحوارى طلحة والزبير وحيث ما كان سعد بن أبي وقاص كان الحق معه وسعيد بن زيد من أحباء الرحمن وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن وأبو عبيدة بن الجراح أمين الله وأمين رسوله ولكل نبي صاحب سر وصاحب سري معاوية بن أبي سفيان فمن أحبهم فقد نجا ومن أبغضهم فقد هلك (وعنه) صلى الله عليه وسلم انه قال أبو بكر فى الجنة وعمر في الجنة الى تمام العشرة وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

(١) بياض بالاصل

وسلم من أحسن القول في أصحابي فقد برئ من النفاق ومن أساء القول في أصحابي كان مخالفاً لسنتي ومأواه النار وبئس المصير وهذا عام في جميع الصحابة فحصل الفضل للعشرة خصوصاً وعموما وروى ان الله تعالى جمع بين أرواح العشرة قبل خلقهم وخلق من أنوار تلك الارواح طائرا واحدا وهو فى الجنة أخرجه الملا في سيرته وغيره فانظر كيف جمع الله بينهم أرواحا قبل خلقهم أشباحا ثم جمع بينهم أشباحا وأرواحا في النسب والصحبة والاخاء والتوادد والتراحم ثم في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في الجنة فالسعيد من تولى جملتهم وجملة جميع الصحابة ولم يفرق بين أحد منهم واهتدى بهديهم وتمسك بحبلهم والشقى من تعرض للخوض فيما شجر بينهم وأتبع نفسه هواها فى سب أحد منهم فلله الحمد والمنة والفضل أن أعاذنا من ذلك ونسأله تمام هذه المنة ودوامها الى الممات مع حسن الخاتمة آمين عدنا لما نحن بصدده (اعلم) انه قد اختلف فى قريش لم سميت قريشا فقيل سميت باسم دابة تسكن البحر يقال لها القرش تشبيها لهم بها لشدتهم ومنعتهم لان هذه الدابة تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال فى المدارك وهى دابة عظيمة تعبث بالسفن فلا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم انتهى وفى شعر اللهبى

وقريش هى التى تسكن البحر ... وبها سميت قريش قريشاً

تأكل الغث والسمين ولا تـــترك فيه لذى الجناحين ريشا

هكذا فى البلاد حى قريش ... يأكلون البلاد أكلا كميشا

ولهم آخر الزمان نبى ... يكثر القتل فيهم والخموشا

والقشيش مصدر قشت الحية وهو صوتها من جلدها وقيل سميت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش وقيل ان قصيا قرشها أى جمعها من الاقطار وردها الى مكة ولذلك سمى مجمعا كما تقدم في شعر الفضل ابن عباس بن عتبة ومن شعره أيضاً

نحن كنا سكانها من قريش وبنا سميت قريش قريشاً

وقيل بل كان اسم قصى قريش فسميت به والاشهر ان اسمه زيد كما تقدم وقيل لانهم كانوا يتقرشون في البياعات أى يتكسبون والتقرش التكسب وقيل ان النضر كان يقال له القرشي فسموا باسمه وقيل لانهم كانوا يقرشون عن خلة الحاج فيسدونها والتقريش التفتيش ويدل لذلك قول الحارث بن خلدة اليشكرى

أيها الناطق المقرش عنا عند عمرو فهل لنا ايفاء

أى المفتش واعلم ان قريشا ثلاثة أصناف صنف منهم قريش الاباطح ويسمون أيضا قريش البطاح وصنف منهم قريش الظواهر والصنف الثالث ليسوا من الاباطح ولا من الظواهر أما قريش الاباطح فبنو عبد مناف وأسد بن عبد العزى بن قصى وزهرة وتيم وبنو مخزوم وبنو سهم وجمح وعدى وبنو حنبيل بن عامر بن لؤى وبطنان من بنى الحارث ابن فهر وأما قريش الظواهر فبنو الادرم بن غالب وبنو محارب وبنو فهر الابطنين وبنو معيص بن عامر بن لؤى وأما غير هؤلاء من قريش فليسوا من الاباطح ولا من الظواهر وذلك لانهم خرجوا

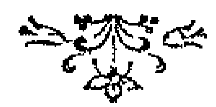
عن مكة فتنحوا عن البلاد منهم سآمة بن لؤى وقع بعمان وجشم بن لؤى وهو خزيمة وقع باليمامة فهم فى بنى هزان من عنزة وبنانة في شيبان وهم بنو سعد بن لؤى وهم في شيبان وبنو الحارث بن لؤى وهم أيضا فى بني أبي ربيعة بن شيبان بن ذهل بن شيبان وانما سموا الاباطح لان قصيا أدخلهم معه الى بطن مكة وأقام الآخرون بالظواهر كذا في الغاية للاتقاني وعزاه الى شرح ديوان كثير لمحمد بن حبيب ثم اعلم ان طبقات العرب ست شعب وقبائل وعمارة وبطون وأفخاذ وفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت شعوبا لان القبائل تتشعب منها والشعب بفتح الشين والعمارة بفتح العين المهملة وفى معالم التنزيل قيل ان الشعوب من العجم والقبائل من العرب والاسباط من بنى اسرائيل انتهي قال القرطبى فى تفسيره وقد نظمها بعضهم فقال

قبيلة قبلها شعب وبعدهما عمارة ثم بطن بعده فخذ

وليس يؤوى الفتى الا فصيلته ولا سداد لسهم ماله قذذ

انتهى والقذذ بالذال المعجمة قال فى القاموس والفصائل هى العشائر واحدها عشيرة ومنه قوله تعالى وفصيلته التى تؤويه أى عشيرته التى تضمه (فرعان * الاول) يعتبر التفاضل عندنا بين قريش في حق الكفاءة لقوله عليه السلام قريش بعضهم أكفاء لبعض حتى لو تزوجت هاشمية قريشيا غير هاشمي صح عقدها وان تزوجت عربيا غير قريشي فللاولياء حق الرد الا أن يكون الولى هو الاب أو الجد فان

لهما تزويج الصغيرة بغير كفء وبغبن فاحش في المهر عند أبي حنيفة رضى الله عنه خلافا لصاحبيه والتعليل من الطرفين مقرر في محله ألا ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج بنته رقية وأم كلثوم من عثمان ولهذا لقب بذي النورين وكان أمويا لاهاشميا وزوج علي ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب وكان عدويا لاهاشميا فثبت ان قريشا كلهم سواء في حق الكفاءة (الثاني) مذهب الامام محمد بن الحسن من أصحابنا أن التفاضل انما يعتبر فيما بين قريش اذا كان النسب مشهورا في الحرمة كاهل بيت الخلافة حتى لو تزوجت قرشية من بنات الخلفاء قرشيا ليس من أولاد الخلفاء يكون للاولياء حق الرد وكأنه قال هذا لتسكين الفتنة وتعظيم أمر الخلافة لا لانعدام أصل الكفاءة كذا نقله الاتقاني في الغاية والله تعالى أعلم



الباب التاسع

﴿ فى ذكر مبدأ بئر زمزم وسبب حفر عبد المطلب لها ﴾
وفضل مائها وأفضليته وبركته وخواصه وما ورد فى ذلك

اعلم ان بئر زمزم تنسب الى سيدنا اسماعيل صلوات الله عليه وسببه ان سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام لما هاجر باسماعيل وأمه من الشام الى مكة شرفها الله تعالى [1] وكانت اذ ذاك ترضعه وضعهما تحت دوحة وهى شجرة كبيرة وليس معهما الا شنة [2] فيها قليل ماء ولم يكن بمكة يومئذ أحد ولا بها ماء ووضع عندهما جرابا فيه تمر ثم ذهب راجعا الى الشام فتبعته أم اسماعيل فقالت له ياابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس به أنيس وجعلت تردد ذلك مرارا وابراهيم لا يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت عنه [3] فانطلق ابراهيم عليه السلام حتى اذا غاب عن البصر وقف واستقبل البيت ورفع يديه

---

(١) وسبب هجرته باسماعيل وهاجر من الشام الى مكة شرفها الله تعالى غضب سارة على هاجر فخافت أن لا تساكنها في بلد واحد وأمرت ابراهيم أن يعزلها عنها فاوحى الله الى ابراهيم أن يأتى بهاجر وابنها الى مكة فذهب بها حتى قدم مكة

(٢) بالشين المعجمة قربة (٣) وفي رواية قالت له لمن تتركنا قال الى الله عز وجل قالت قد رضيت بالله ثم رجعت

ودعا بالآيات ربنا اني أسكنت الي قوله تعالى لعلهم يشكرون ثم مضى سائرا وجعلت[١] أم اسماعيل ترضعه وتشرب من ذلك الماء ولبنها يدر على صبيها الى أن نفد فعطشت وعطش ابنها[٢] وصار يتلوي وفى رواية يتليط فانطلقت كراهة ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب، جبل يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى[٣] ورفعت طرف درعها ثم سعت أى جرت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات فكان فعلها ذلك سبب السعي بين الصفا والمروة فلما أشرفت على المروة آخرا ولم يكن فى الوادي غيرها سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فاذا الصوت فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك يعنى جبريل عليه السلام عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو بجناحه حتى ظهر الماء فصارت تحوطه[٤] بيدها وتغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد أن تغرف

(١) يعني فرجعت أم اسماعيل تحمل ولدها حتى قعدت تحت الدوحة فوضعت ابنها الى جنبها وعلقت شنتها بشجر من شجر مكة

(٢) يعني فخشيت أم اسماعيل أن يموت فيجزعها ذلك فقالت لنفسها لو تغيبت عنه حتى لا أرى موته (٣) يعنى ستوضح وتنظر اليه هل ترى بالوادى أحدا فلم تر ثم نظرت الى المروة فقالت لو مشيت بين هذين الجبلين تعللا حتى يموت ولا تراه فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت

(٤) أى عليه بالتراب من خوفها أن لا يسيل

قال ابن عباس رضى الله عنهما قل النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل لوتركت زمزم ولم تغرف من الماء لكانت عينامعينا فشربت وأرضعت ولدها فقال لها جبريل لا تخافى الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله كذا في صحيح البخاري فاستمرت زمزم كذلك [١] الى ان مرت رفقة من جرهم [٢] يريدون الشام فرأوا طائرا يحوم على جبل أبي قبيس عائفا فقالوا ان هذا الطير ليدور على ماء وعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء فارسلوا رسولا فرأى الماء فاخبرهم فاقبلوا وأم اسماعيل عند الماء فقالوا لها أتأذنين لنا ان تنزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم فى الماء قالوا نعم فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم حتى صاروا أهل أبيات وأول سكان مكة وشب اسماعيل عليه السلام وتعلم العربية [٣] منهم وزوجوه امرأة من نسائهم ثم لم تلبث أم اسماعيل ان ماتت [٤] ولها من العمر تسعون سنة ولاسماعيل عشرون سنة فدفنها فى الحجر واسمها هاجر وقيل آجر بالهمزة والمد القبطية وقيل الجرهمية وكانت للجبار الذى يسكن عين

---

(١) ثم ان هاجر استمرت مقيمة عند زمزم مع ولدها اسماعيل وابراهيم يزورهما على البراق في اليوم مرة وقيل في الجمعة مرة وقيل في الشهر مرة وقيل في السنة مرة وقال الحافظ فى المواهب وذكر سعد بن ابراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه قال كان الخليل ابراهيم عليه السلام يزور هاجر في كل يوم من الشام على البراق شغفا بها وقلة صبر عنها انتهي (٢) قوله من جرهم قبيلة من اليمن يقال لهم جرهم وليست من عاد كما يقال (٣) ولسان ابراهيم كان عبرانيا
(٤) وقبرها في الحجر

البحر التي بقرب بعلبك فوهبها لسارة امرأة ابراهيم فوهبتها لابراهيم صلوات الله عليه

﴿ فائدة استطرادية ﴾

قال في منهاج التائبين اختلف العلماء في الذبيح هل هو اسماعيل أم اسحاق فقال قوم هو اسحاق عليه السلام واليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم ومن التابعين وأتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبي بزة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهرى والسدى ورواه عكرمة وابن جبير عن ابن عباس وقال آخرون هو اسماعيل والى هذا ذهب عبد الله بن عمرو أبو الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي ورواه عطاء بن أبي رباح وأبو الجوزاء ويوسف بن ماهك عن ابن عباس وزعمت اليهود انه اسحاق وكذبت واحتج القائلون بانه اسحاق من القرآن بان الله تعالى أخبر عن خليله عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشام بامرأته سارة وابن أخيه لوط عليه السلام وقال انى ذاهب الى ربي سيهدين انه دعا اذ ذاك فقال رب هب لى من الصالحين وكان ذلك قبل ان يعرف هاجر وقبل أن تصير له ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابته ودعوته وتبشيره اياه بغلام حليم ثم عن رؤيا ابراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذى بشر به حين بلغ معه السعي وليس في القرآن انه بشر

بولد الا باسحاق وأما حجة القائلين بانه اسماعيل من القرآن فهو مارواه محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب القرظى انه كان يقول ان الذى أمر الخليل عليه السلام بذبحه هو اسماعيل لان الله تعالى قال حين فرغ من قصة المذبوح وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ابن وابن ابن ولم يكن يأمره بذبح اسحاق وله فيه من الله الموعود فلما لم يذكر الله تعالى اسحاق الا بعد انقضاء الذبح ثم بشره بولد اسحاق علم ان الذبيح اسماعيل أقول فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشام فقال لى عمر وانى لاراه كما قلت ثم أرسل عمر الى رجل كان يهوديا بالشام وقد أسلم وحسن اسلامه فسأله عن ذلك وأنا عنده فقال الذبيح اسماعيل وان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدون العرب على ذلك لكون اسماعيل أباهم ويقولون انه اسحاق لانه أبوهم انتهي قول صاحب المنهاج (أقول) احتجاج القرظى رحمه الله بهذه الآيات المذكورة في كون الذبيح اسماعيل عليه السلام لا يتم الا بان تكون آية الذبح متقدمة تلاوة ونزولا أما لو تقدمت تلاوة وتأخرت عن آية البشرى فى النزول احتملت الآيات أن يكون اسحاق هو الذبيح أيضا وسقط الاستدلال بها وأما قول القرظى ولم يكن يأمره الى آخره الذى فسر به الآية الاخرى من سورة هود لا ينافى كون الذبيح اسحاق لانه لما سبق في علم الله سبحانه انه لا يذبح ثم أمر خليله بذلك علم ان الامر للامتحان كما هو شأن الله تعالى فى أنبيائه وأحبائه فلما مضى الخليل صلوات الله عليه لما أمر به

منشرح الخاطر راضيا بما قضاه الله تعالى شكر الله له ذلك وسلم ابنه له من الذبح ببركة التسليم وفدى بالذبح العظيم وصحت البشرى وتم الموعد في هذه الآية التي لم يتقدم قبلها قصة ذبح انتهي عدنا الى المقصود ولم تزل زمزم كذلك الى أن دفنتها جرهم حين ظعنوا من مكة بين صنمي قريش ايساف بكسر الهمزة ونائلة وقيل بل دفنتها السيول فاستمرت مدفونة الى أن نبه عبد المطلب وأمر بحفرها وله منقبتان عظيمتان اهلاك أصحاب الفيل كما تقدم وحفر بئر زمزم ذكر ابن اسحاق وغيره ان عبد المطلب بينما هو نائم [١] اذ أتاه آت فقال له احفر طيبة فقال له وما طيبة فذهب عنه ثم جاءه مرة أخرى فقال له احفر المضنونة فقال له وما المضنونة فذهب عنه ثم جاءه مرة ثالثة فقال له [٢] أحفر زمزم فقال له عبد له عبد المطلب وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تزم تسقي الحجيج الاعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل وفي رواية احفر زمزم انك ان حفرتها لم تندم وهي تراث من أبيك الاعظم لا تنزف أبدا ولا تزم الى آخر ما تقدم فلما بين له شأنها غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث وليس معه يومئذ غيره فحفرها [٣] فلما بدا له طي البئر كبر [٤] فحسدته بطون قريش وهموا أن يمنعوه وقالوا له أشركنا معك [٥] فقال لهم ما أنا بفاعل شيء خصصت به دونكم فاجعلوا بيني و بينكم من شئتم أحاكمكم اليه

(١) أي في الحجر (٢) يعني حتى اذا كان عاد فنام في مضجعه ذلك فأتى اليه فقال الخ (٣) يعني ثلاثة أيام (٤) أي قال الله أكبر هذا طي اسماعيل (٥) أي فان لنا فيها حقا انها لبئر اسماعيل

فقالوا كاهنة بنى سعد فخرجوا إليها فعطشوا في الطريق حتى أيقنوا بالهلاك فقال عبد المطلب والله ان القاءنا بايدينا هكذا لعجز فعسى الله ان يرزقنا ماء فارتحلوا بنا وقام عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه وشربوا جميعا وقالوا قد قضى لك علينا الذى سقاك فوالله لانخاصمك فيها أبدا فرجعوا وخلوا بينه وبين زمزم وكفاه الله شرهم فنذر عند ذلك لئن رزق عشرة من الذكور يمنعونه ليتقرب الى الله بذبح أحدهم فلما تم له عشرة من الذكور أعلمهم بنذره فقالوا له أوف بنذرك واقض فينا أمرك فاسهم بينهم فخرج السهم على عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم فاراد أن يذبحه فمنعته قريش وأخواله من بنى مخزوم لئلا يكون ذلك فيهم سنة فتحاكموا الى كاهن كان بالمدينة وقيل كاهنة فافتاهم بان يسهم على عبد الله وعلى عشرة من الابل وكانت عندهم اذ ذاك دية الرجل ففعل عبد المطلب ذلك فخرج السهم على عبد الله أيضا فقال له الكاهن زد عشرا أخرى فان ربك لم يرض فزاد فخرج السهم على عبد الله فامره الكاهن بزيادة عشرة أخرى فزاد وفى كل ذلك يخرج السهم على عبد الله حتى بلغ العدد مائة من الابل فخرج السهم حينئذ على الابل فقال له الكاهن أعد القرعة فاعادها فخرج على الابل ثم أعادها ثالثا فخرج على الابل فقال له الكاهن قد رضى ربك فانحرها فدا عن ابنك ففعل فاستمرت الدية فى قريش مائة من الابل من يومئذ ثم جاء الشرع فقررها دية لكل واحد من المسلمين واستمرت

زمزم[1] لايصدعنها أحد ولايمنع الى يومنا هذا كما ترى ويروى ان عبد المطلب لما حفر زمزم وجد غزالين من ذهب يقال ان جرهما دفنتهما حين خرجوا من مكة ووجد أسيافا وسلاحا فارادت قريش ان يشاركوه فيها فامتنع وضرب بالقداح فخرج الغزالان للكعبة والسلاح لعبد المطلب ولم يخرج لقريش شيء بل تخلف قدحاهما فضرب الاسياف التى خرجت له مع احدى الغزالين على باب الكعبة وجعل الغزال الاخرى فى الجب الذى فى بطن الكعبة فكان ذلك أول حلية للكعبة أخرجه الازرقى

وأما فضل ماء زمزم وبركته فروى عن جابر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت أخرجه الواحدى في تفسيره وغيره وروى الطبراني وغيره انه صلى الله عليه وسلم جاء الى زمزم فنزعوا له دلوا فشرب ثم مج في الدلو ثم صبه فى زمزم ثم قال لولا ان تغلبوا عليها لنزعت معكم وفى رواية انه غسل وجهه وتمضمض منه ثم أعاده فيها وروى ان الذى نزع له الدلو هو العباس بن عبد المطلب وروى الواقدى انه نزعه لنفسه وهو ضعيف جدا وروى جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ماء زمزم لما شرب له وقال العلامة بركة المتأخرين شيخ الاسلام السيوطي هذا

(١) فائدة اسم زمزم مؤنث لاينصرف والمانع له من الصرف العلمية والتأنيث المعنوى كذا في سر الاحسن

الحديث أخرجه ابن ماجه بسند جيد وأخرجه الخطيب في التاريخ بسند صححه الدمياطي والمنذري وضعفه النووي وحسنه ابن حجر لوروده من طرق عن جابر وورد من حديث ابن عباس وابن عمرو مرفوعاً وأخرج الديلمي ماء زمزم شفاء من كل داء وسنده ضعيف جدا انتهى وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير ماء على وجه الارض ماء زمزم أخرجه الطبراني في معجمه بسند رجاله ثقات وصححه ابن حبان وعنه أيضاً انه صلى الله عليه وسلم قال ان التضلع من ماء زمزم علامة ما بيننا و بين المنافقين وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم وعنه أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له ان شربته تستشفي به شفاك الله وان شربته لقطع ظمئك قطعه هي هزمة جبريل وسقيا الله اسماعيل ويروى ان في بعض كتب الله المنزلة زمزم لا تنزف ولا تذم لا يعمد اليها امرؤ فيتضلع منها رياً ابتغاء بركتها الا أخرجت منه مثل ما شرب من الداء وأحدثت له شفاء وما امتلأ جوف عبد من زمزم الا ملأه الله علماً وبرا وعن وهب بن منبه انه قال والذي نفسي بيده ان زمزم لفي كتاب الله عز وجل مضنونة وانها لفي كتاب الله برة وانها لفي كتاب الله شراب الابرار وانها لفي كتاب الله طعام طعم [1] وشفاء سقم وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه

(١) قال في التحفة أي فيها قوة الاغتذا الايام الكثيرة لكن مع الصدق كما وقع لابي ذر رضي الله عنه بل نما لحمه وزاد سمنه انتهى سر الاسنى

قال خير واديين في الناس وادي مكة وواد بالهند الذي هبط به آدم عليه السلام ومنه يؤتي بهذا الطيب الذي يتطيب به الناس وشر واديين في الناس [١] واد بالاحقاق وواد بحضرموت يقال له برهوت [٢] وخير بئر في الناس [٣] زمزم وشر بئر في الناس برهوت واليها تجتمع أرواح الكفار كما سيأتي [٤] وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم رواه احمد وابن ابي شيبة وابن حبان ورواه البخاري في صحيحه على الشك فقال فأبردوها بالماء أو بماء زمزم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال خمس من العبادة النظر الى المصحف والنظر الى الكعبة والنظر الى الوالدين والنظر في زمزم وهي تحط الخطايا والنظر في وجه العالم رواه الدارقطني

فصل في فضائل ماء زمزم

اعلم ان لماء زمزم فضائل كثيرة وعجائب شهيرة فمن ذلك ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال كان أهل مكة لا يسابقهم أحد الا

---

(١) في الدنيا

(٢) قال الطبري وبرهوت بفتح الباء الموحدة والراء المهملة بئر عميقة بحضرموت لا يستطاع النزول الى قعرها ويقال برهوت بضم الباء والراء ساكنة فيهما وذكرها الازرقي باللام والمشهور بالراء وقيل ان بئر برهوت عين من عيون جهنم وان جهنم في الارض تسكن عليها الحبشة انتهى

(٣) في الدنيا

(٤) ماؤها بالنهار اسود منتن كأنه القيح

سبقوه ولا يصارعهم أحد الا صرعوه حتى رغبوا عن ماء زمزم أخرجه
ابو ذر ومنها ما أخرجه الازرق عن عكرمة بن خالد قال بينما أنا ليلة
فى جوف الليل عند زمزم جالس اذا نفر يطوفون عليهم ثياب لم أر
بياضها لشيء قط فلما فرغوا صلوا قريباً منى فالتفت بعضهم لاصحابه فقال
اذهبوا بنا نشرب من شراب الابرار فقاموا ودخلوا زمزم فقلت لو
دخلت على القوم فسألتهم فدخلت فاذا ليس فيها أحد من البشر
ومنها ما أخرجه أيضاً ان أباذر الصحابي رضي الله عنه قال لما قدمت
مكة مكثت أربعة عشر يوماً بلياليها وما لى طعام ولا شراب الا زمزم
حتى تكسرت عكن بطنى وما أجد على كبدى سخفة الجوع يعنى
رقته وهزاله وقيل هى الخفة التى تعترى الانسان اذا جاع ومنها
ما أخرجه أيضاً عن بعض الموالى انه قال كنت مع أهلى بالبادية فابتعت
بمكة ثم اعتقت فمكثت ثلاثة أيام لا أجد شيئاً آكله فانطلقت الى
زمزم فبركت على ركبتى مخافة أن أستقى وأنا قائم فيرفعنى الدلو من
الجهد فجعلت أنزع قليلا قليلا حتى أخرجت الدلو فشربت فاذا أنا
بصريف اللبن فقلت لعلى ناعس فضربت بالماء على وجهى وانطلقت
وأنا أجد قوة اللبن وشبعت ومعنى صريف اللبن ساعة يصرف عن
الضرع ومنها ما أخرجه أيضاً عن بعض الرعاة من العباد انه كان
اذا حصل له ظمأ وشرب من زمزم وجد الماء لبناً واذا أراد أن يتوضأ
وجده ماء ومنها ما ذكره الفاسى عن الفاكهى ان رجلا شرب سويقاً
وكان فى السويق ابرة فنزلت في حلق الرجل واعترضت وصار لا يقدر

يطيق فمه فأتاه آت فقال له اذهب الى ماء زمزم فاشرب منه واسأل الله الشفاء فدخل الى زمزم فشرب منه شيئاً وما أساغه الا بعد جهد ومشقة من ألم تلك الابرة ثم خرج وهو على تلك الحال فانتهى الى اسطوانة من أساطين المسجد واستند اليها فغلبته عيناه فنام ثم انتبه من نومه ولم يجد من ذلك الالم شيئاً ومنها ان الشيخ العلامة المفتى أبا بكر عمر الشهير بالشنيني بشين معجمة ونون ثم مثناة من تحت ونون وياء النسبة أحد بنى العلماء المعتبرين ببلاد اليمن حصل له استسقاء عظيم واشتد به فذهب الى طبيب فلما رآه أعرض عنه وقال لبعض أصحابه هذا ما يمكث ثلاثة أيام فانكسر خاطره لذلك وألقى الله بباله أن يشرب من ماء زمزم بنية الشفاء عملا بالحديث فقصد زمزم وشرب منه حتى تضلع فأحس بانقطاع شيء فى جوفه فبادر حتى وصل الى رباط السدرة الذى هو الآن مدرسة السلطان قايتباى رحمه الله فأسهل اسهالا كثيرا ثم عاد الى زمزم وشرب منه ثانياً حتى امتلأ رياً ثم أسهل اسهالا بليغاً فشفاه الله من ذلك الاستسقاء فبينما هو فى بعض الايام برباط ربيع يغسل ثوبه واذا بالطبيب الذي أعرض عن ملاطفته قد رآه فقال له انت صاحب تلك العلة قال نعم فقال له بم تداويت فقال بماء زمزم فقال الطبيب لطف بك ومنها ان احمد بن عبد الله المعروف بالشريفى الفراش بالحرم الشريف المكى حصل له عمي فشرب من ماء زمزم بنية التداوى فشفي من ذلك العمى ومنها ان رجلا آخر عمى فشرب من ماء زمزم وصب فى عينيه منه بنية الشفاء فشفى في أسرع وقت وهذا من العجب فان الاطباء

ينهون عن ادخال الماء الى العين ويجعلونه من أسباب العمي ومنها ما ذكر الحافظ الذهبي في طبقات الحفاظ ان الخطيب البغدادى لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث مرات وسأل الله ثلاث حاجات الأولى أن يحدث بتاريخ بغداد بها الثانية أن يملي الحديث بجامع المنصور الثالثة أن يدفن عند بشر الحافى فقضى الله له ذلك ومنها ان الحاكم أبا عبد الله شربه لحسن التصنيف وغيره فكان أحسن أهل عصره تصنيفاً ومنها ما ذكره العلامة التاج السبكى فى طبقاته فى ترجمة محمد بن اسحق بن خزيمة انه قيل له من أين أوتيت هذا العلم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له واني لما شربته سألت الله علماً نافعاً ومنها ما ذكره العلامة الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر عن نفسه فقال وأنا شربته مرة وسألت الله وأنا فى بداية طلب الحديث أن يرزقنى الله حالة الذهبي في حفظ الحديث ثم حججت بعد مدة تقرب من عشرين سنة وأنا أجد من نفسى المزيد على تلك المرتبة فسألت[1] رتبة أعلى منها فأرجو الله أن أنال ذلك ومنها ما نقل عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال شربت من ماء زمزم لثلاث شربته للعلم[2] وشربته للرمى فكنت أصيب من عشرة عشرة ومن عشرة تسعة وشربته للجنة وأرجوها[3] ومنها ما أخرجه ابو الفرج فى مثير

(١) أى الله (٢) وقال فها أنا بحمد الله كما ترون
(٣) كذا في جزء الحافظ وغيره

الغرام عن الشيخ أبي عبـد الله الهروى انه قال لبعض أصحابه دخلت المسجد فى السحر فجلست الى زمزم واذا بشيخ قد دخل الى زمزم وثوبه مسدول على وجهه فأتى البئر فنزع الدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها فاذا سويق لوز لم أذق قط أطيب منه ثم التفت فاذا الشيخ قد ذهب ثم عدت فى الليلة الثانية عند السحر فجلست الى زمزم فاذا الشيخ قد دخل الى زمزم فنزع الدلو فشرب فشربت فضلته فاذا ماء مضروب بعسل لم أذق قط أطيب منه ثم ذهب الشيخ فعدت فى الليلة الثالثة عنـد السحر فجلست عنـد زمزم فاذا الشيخ قد أتى زمزم فنزع الدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها فاذا سكر مضروب بلبن لم أذق قط أطيب منه فأخذت ملحفته فلففتها على يدى وقلت يا شيخ بحق هذه البنية عليك من أنت قال تكتم على حتى أموت قلت نعم قال أنا سفيان ابن سعيد الثورى ومنها ما أخرجه ابو الفرج أيضاً عن الحميدى انه قال كنا عند سفيان بن عيينة فحدثنا بحديث ماء زمزم لما شرب له فقام رجل من المجلس ثم عاد فقال يا أبا محمد أليس الحديث الذى حدثتنا به عن زمزم صحيحا فقال سفيان نعم قال فاني قد شربت الآن دلوا من زمزم على انك تحدثنى بمائة حديث فقال سفيان اقعد فحدثه مائة حديث فهذه الاخبار مما تؤيد صحة حديث ماء زمزم لما شرب له مع انه صحيح الاسناد كما سبق ولم ينصف ابن الجوزى فى ذكره هـذا الحديث فى كتاب الموضوعات لكونه اما صحيحاً أو حسناً ومنها كما نقله القاضى جمال بن عبد الله الشافعى الظهيرى فى مؤلفه الجواهر المكنونة فى فضائل

المضنونة عن علماء الشافعية وغيرهم ان الدعاء يستجاب [1] عنـد زمزم وفضائل ماء زمزم كثيرة وفي هـذا القدر كفاية وأما أفضليته فنقـل الجد تغمده الله برحمته عن شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني انه قال ماء زمزم أفضل من ماء الكوثر لان به غسل صدر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن يغسل الا بأفضـل المياه انتهى قال الجد رحمه الله وفيما استدل به وقفة فقـد يقال قوله ولم يكن يغسل الا بأفضـل المياه مسلم ولكن بأفضـل مياه الدنيا اذ ماء الكوثر من متعلقات دار البـقاء فلا يستعمل في دار الفناء ولا يشكل بكون الطشت الذي غسل فيه صدره صلى الله عليـه وسلم من الجنة لان استعمال هذا ليس فيه اذهاب عين بخلاف ذاك والله أعلم انتهى وقد سئل شيخ الاسلام جلال الدين السيوطي تعاهده الله بالرحمة عن ذلك بما صورته

يا غرة في جبهة الدهر افتـنا ... لا زلت تغني كل من جاء يسأل
في زمزم أو ماء كوثر حشرنا ... من منهما ياذا المعالي أفضل
جوزيت بالاحسان عنا كلنا ... وبجنة المأوى جزاؤك أكمل

فأجاب بما صورته

---

(١) وروى المراكشي في روضه عن ابي عمرو التميمي قال لما حججت وأردت ان أشرب من ماء زمزم فكرت لاي شيء أشربه فتحيرت ثم تذكرت ان أشرب لاجابة الدعاء فما سألت الله تعالى تلك المواقف شيئاً الا اعطانيه حتى دخول الجنة فأنا أرجوها وأنتظرها وكان من سؤالي انه أن لا يحوجني الى الاستلاف من فضله أحد ففضلت لي فضلة كثيرة من الزاد . وتقدم أيضاً ان أحد الابدال مقيم بزمزم يؤمن لمن شرب منها ودعا عندها -

لله حمدي والصلاة على النبي ... محمد من للبرية يفضل
ما جاءنا خبر بذلك ثابت ... فالوقف عن خوض بذلك أجمل
هذا جواب ابن السيوطي راجياً ... من ربه التثبيت لما يسأل

وقد ذكر العلماء رحمهم الله ان لماء زمزم وبئره خواص مباركة (ومنها) انه يبرد الحمى وقد تقدم فى الحديث (ومنها) انه يذهب الصداع (ومنها) ان جميع المياه العذبة التى فى الارض ترفع وتغور قبل يوم القيامة الا زمزم قالهما الضحاك[1] (ومنها) انه يفضل مياه الارض كلها طباً وشرعاً ذكر عن الامام بدر الدين ابن الصاحب المصرى انه قال وازنت ماء زمزم بماء عين مكة فوجدت زمزم أثقل من العين بنحو الربع ثم اعتبرته بميزان الطب فوجدته يفضل مياه الارض كلها (ومنها) انه يحلو ليلة النصف من شعبان ويطيب ويقال يقول أهل مكة ان عين السلوان تتصل بزمزم في تلك الليلة (ومنها) انه يكثر في ليلة نصف شعبان فى كل عام بحيث يفيض الماء من البئر على ما نقل لكن لا يشاهد ذلك الا العارفون وممن شاهده كذلك الشيخ الصالح ابو الحسن المعروف بكرباج وكان ذلك في عام ست وسبعمائة (ومنها) ان الاطلاع في بئر زمزم يجلو البصر ويحط الخطايا (ومنها) كما أخرجه الفاسى عن الفاكهي ان شيخاً

---

(١) وزاد صاحب مثير شوق الانام بقوله ان الله يرفع المياه العذبة قبل يوم القيامة غير زمزم الى ان قال وتلقى الارض ما في بطنها من ذهب وفضة ويجيء الرجل بالجراب فيه الذهب والفضة من يقبل مني فيقال له لو أتيتنى به أمس قبلته رواه الازرقي انتهي سر الآسن

من أهل مكة أسر في بلاد الروم فقال له الملك من أى بلد انت قال من مكة قال له هل تعرف بمكة هزمه جبريل قال نعم قال فهل تعرف برة قال نعم قال فهل لها اسم غير هذا قال نعم هى اليوم تعرف بزمزم قال انا نجد في كتبنا انه لا يحثو رجل على رأسه من مائها ثلاث حثيات فتصيبه ذلة أبدا[1] (ومنها) انه لا يجتمع هو ونار جهنم في جوف عبد أبدا كما نقله المحب الطبرى (ومنها) انه يقوى القلب ويسكن الروع ولهذا قال الحافظ زين الدين العراقى ان الحكمة فى غسل صدر النبى عليه السلام بماء زمزم ليقوى به على رؤية ملكوت السموات والارض والجنة والنار[2] (ومنها) اجتماع أرواح المؤمنين فى بئرها كما نقله فى منهاج التائبين قال روى عن مجاهد بن يحيى البلخى انه قال كان عندنا بمكة رجل من أهل خراسان وكان كثير الطواف بالليل ويعتكف على قراءة القرآن بالنهار وذلك منذ ستين سنة وكان الناس يودعونه ودائعهم فجاء رجل من الصالحين وكان بينه وبين الخراسانى صداقة فأودعه عشرة آلاف دينار

---

(١) قال العلامة ابن الضياء في تفسيره في سورة ابراهيم انه من حثا على رأسه ثلاث حثيات من زمزم لم تصبه مذلة أبدا انتهى قلت وينبغي فعل ذلك اتباعاً لفعله عليه السلام فقد صح انه بعد طوافه الركن أتى زمزم وشرب ثم صب دلوا على رأسه الشريف فصح فيه ما نقل عنه وأكدته السنة الشريفة

تنبيه من الخواص أيضاً ما نبه عليه الشيخ دومى المغربي المالكي في نصائحه نفع الله به انه قال اذا خيف ضرر ماء يقول عليه يا ماء ماء زمزم يقرئك السلام فانه يأمن من ضرر ذلك الماء سر الآسن (٢) (مطلب حكاية عجيبة)

ثم سافر فلما قدم من سفره وجد الخراسانى قد مات فسأل أهله وأولاده عن ماله فقالوا ما لنا به علم لا ندرى ما نقول فقص أمره على فقهاء مكة يومئذ وأخبرهم بما قال له أهله وأولاده فقالوا له نحن نرجو أن يكون الخراسانى من أهل الجنة فاذا مضى ثلث الليل أو نصفه ائت زمزم فاطلع فيها وناد يا فلان بن فلان أنا صاحب الوديعة ففعل ذلك ثلاث ليال فلم يجبه أحد فأتى الفقهاء فأخبرهم بذلك فقالوا انا لله وانا اليه راجعون نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار اذهب الى اليمن فان بها بئرا اسمها برهوت يجتمع فيها أرواح المعذبين وهى على فم جهنم فاطلع فيها اذا مضى ثلث الليل أو نصفه وناد يا فلان بن فلان أنا صاحب الوديعة قال فمضيت الى تلك البئر فاذا أنا بشخصين قد جاءا فنزلا فيهـا وهما يبكيان فقال أحدهما للآخر من انت قال أنا روح رجل ظالم كنت أضمن المكوس وآكل الحرام فرمانى ملك الموت الى هذه البئر أعذب فيها وقال الآخر أنا روح عبد الملك بن مروان كنت عاصياً ظالماً وأنا أعذب في هذه البئر ثم سمعت لهما صراخاً فقامت كل شعرة فى بدني من الفزع ثم تطلعت في البئر وناديت يا فلان فأجابنى من تحت العقوبة والضرب فقلت ويحك يا أخى ما الذى أنزلك هنا وبأى ذنب جئت الى منازل الاشقياء وقد كنت صاحب خير قال بسبب أختى كانت صعلوكة وهى بأرض العجم فاشتغلت عنها بالمجاورة بمكة والعبادة وما كنت أفتقدها بشىء ولا أسأل عنها فلما مت حاسبنى الله عز وجل عنها وقال نسيتها تعري وانت تكتسى وتجوع وانت شبعان مكتفى

وعزتى وجلالى اني لا أرحم قاطع الرحم اذهبوا به الى بئر برهوت فأنا معذب مع قطاع الرحم في هذه البئر فمسالك يا أخي تذهب اليها وتشرف على حالها وتطلب لى منها أن تجعلنى فى حل فليس لى ذنب عنـد الله سوى هذا قال فقلت له أين مالى الذي أودعته عندك فقال هو على حاله واني لم أثق عليـه أولادى ولا غيرهم فدفنتـه فى بيتى تحت العتبة في الموضع الفلاني فاذهب الى أولادي وقل لهم يدخلوك دارى فاحفر فانك ستجد مالك قال فمضيت الى الموضع الذى قال لى عنه فحفرته فوجدت ذهبى على حاله كما ربطته فأخذته ومضيت الى بلاد العجم فسألت عن أخته واجتمعت بها وحدثتها حديثه فبكت وجعلته فى حل ثم شكت الىّ القلة والضرورة فوهبتها شيئاً من الدنيا وانصرفت راجعاً الى مكة شرفها الله تعالى فلما كان نصف الليل جئت الى زمزم وناديت يا فلان فقال لبيك جزاك الله عنى خيرا

﴿ فصل فيما لزمزم من الاسماء ﴾

نقـل الفاسى عن الفاكهى رحمهما الله تعالى عن أشياخه من أهل مكة ان لزمزم عدة أسماء وهى زمزم وهزمه جبريل وسقيا الله اسماعيل وبركة وسـيدة ونافعة ومضنونة أى ضن بها لبنى اسماعيل لانها أول ما أخرجت له عليه السلام أخرجه الازرقى عن كعب وعونة وبشرى وصافية وبرة وعصمة وسالمة وميمونة ومباركة وكافية وعافية ومغـذية بضم الميم والغين المعجمة من الغذا وطاهرة وحرمية بالحاء المهملة لكونها

والله أعلم بالحرم ومروية بضم الميم وتخفيف التحتية ومؤنسة وطعام طعم وشفاء سقم وذكر الفاكهى عن عثمان بن ساج ان من أسماء زمزم سابق وذكر الفاسى رحمه الله ان لها أسماء أخر من ذلك ظبية بالظاء المعجمة المشالة وبعدها باء موحدة ساكنة ثم مثناة من تحت مفتوحة سميت بها تشبيها بالظبية التى هى الخريطة قال القاضي جمال الدين عبدالله بن ظهيرة تغمده الله برحمته لجمعها ماء فيها ومن ذلك تكتم بتاءين مثناتين من فوق بينهما كاف ثم ميم في الآخر وهو فعل مضارع بفتح التاء الاولى وسكون الكاف وضم التاء الثانية وشباعة العيال وشراب الابرار وقرية النمل وهزمه اسماعيل وحفيرة العباس وعزا هذا الاخير الى معجم البلدان لياقوت ونقرة الغراب هذا ما ذكره ثم قال وقد ذكرنا معانى بعض هذه الاسماء فى أصل هذا الكتاب يريد بذلك أصل كتابه شفاء الغرام ولم يوجد ولا عثر عليه أحد مطلقاً وأخرج الازرقى رحمه الله ان معنى تسميتها بنقرة الغراب هو ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم ونبه على ذلك وقيل له عند نقرة الغراب الاعصم كما تقدم جاء الى المسجد ليتعرف موضع الحفر بما رأى من العلامات فبينما هو على ذلك اذ نحرت بقرة عند الحزورة فانفلتت من الذابح تجرى حتى غلبها الموت فى موضع زمزم فجزرت فى ذلك الموضع فأقبل غراب يهوى حتى وقع فى الفرث فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب فحفر هناك انتهى ولم أدر ما قرية النمل التى بحث عنها الغراب ولا وقفت على كلام فيها والغراب الاعصم هو الذي فى جناحه ريشة بيضاء كذا في الصحاح ومن اسماء

زمزم على ما نقله السهيلي في روضه همزة جبريل بتقديم الميم على الزاء وقال لان جبريل همز بعقبه فنبع الماء وزمازم وزمزم حكاهما عن المطرز وفي بعض نسخ الروض ضبط زمزم بالشكل فجعل على الزاء الاولى ضمة وعلى الميم شدة وفتحة وطيبة بالطاء المهملة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة ثم باء موحدة كما يقتضيه كلام السهيلي ورأيت في النسخة التي وقفت عليها من تاريخ الازرقي كذلك بالطاء المهملة ويقال للماء زمزم وزمزوم وزمزام وقد اختلف في سبب تسمية زمزم بزمزم فقيل لكثرة مائها قال ابن هشام والزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع وقيل لانها زمت بالتراب حين نبع الماء لئلا يأخذ يمينا وشمالا ولو تركت لساحت على الارض حتى تملأ كل شيء كذا نقل عن ابن عباس وقيل سميت بذلك لزمزمة الماء وهي صوته قاله الحربي وقيل لان الفرس كانت تحج في الزمن الاول فتزمزم عليها قال المسعودى والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشمها عند شرب الماء وروى ان عمر رضى الله عنه كتب الى عماله بأن ينهوا الفرس عن الزمزمة وأنشد المسعودى البيت

زمزمت الفرس على زمزم وذاك في سالفها الاقدم

وقيل ان زمزم غير مشتقة والله تعالى أعلم

﴿ فصل فى آداب الشرب من زمزم ﴾
ومايبنغى أن يقال عند ذلك

قال العلماء رحمهم الله من أراد أن يشرب من ماء زمزم فينبغى له أن يأخذ السقاء بيده اليمنى[١] ويستقبل الكعبة الشريفة ويقول اللهم انه بلغنى عن نبيك صلى الله عليه وسلم انه قال ماء زمزم لما شرب له اللهم اني أشربه لكذا ويذكر ما يريد[٢] ثم يشرب[٣] ويتنفس[٤] ثلاثا ويسمى الله فى ابتداء كل مرة ويحمده عند فراغها لما روى ان محمد ابن عبد الرحمن بن أبى بكر قال كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما فجاءه رجل فقال له من أين جئت قال من زمزم قال فشربت كما ينبغي قال وكيف ذلك قال اذا شربت منها استقبل الكعبة واذكر اسم الله عز وجل ثم تنفس ثلاثا وتضلع منها فاذا فرغت فاحمد الله تعالى فان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لايتضلعون من زمزم رواه البيهقى من طرق وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان اذا شرب من ماء زمزم قال اللهم اني أسألك علما نافعا ورزقا واسعا

---

(١) أي ان أمكن من غير تأذ ولا ايذاء (٢) من دين أو دنيا أوهما وأهمها رضا الله تعالى ومغفرته وحسن الخاتمة قال القاضى فخرالدين ابن ظهيرة في منسكه ثم يقول فافعل ذلك تفضلا وكذا قاله شيخ الاسلام في غرره

(٣) وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاتشربوا واحدا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا اذا أنتم شربتم واحمدوا اذا أنتم رفعتم (٤) بأن يبين الاناء عن فيه فيتنفس ثم يعود

وشفاء من كل داء[1] قال العلماء ولا يقتصر على هذا الدعاء بل يدعو بما أحب من أمور الدنيا والآخرة ويجتنب الدعاء بما فيه مأثمة[2] وعن سويد بن سعيد قال رأيت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم واستقى منه ثم استقبل الكعبة فقال اللهم ان ابن أبي الموالي حدثنا عن محمد ابن المنكدر عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماء زمزم لما شرب له وأنا أشربه لعطش يوم القيامة ثم شرب

﴿ فائدة ﴾ أخرج الازرقي رحمه الله ان في بئر زمزم ثلاثة عيون عين حذاء الركن الاسود وعين حذاء أبي قبيس والصفا[3] وعين حذاء المروة ونقل الفاكهي عن العباس بن عبد المطلب عن كعب الاحبار ان العين التي تجري من جهة الحجر الاسود هي أغزر[4] العيون الثلاثة قال الجد رحمه الله انها من عيون الجنة والله أعلم[5]

---

(١) قال الخطيب في المغني والكمال الدميري قال الحاكم هو صحيح الاسناد ثم قال رحمه الله وينبغي ان يزاد على ذلك وقلبا خاشعا وذرية طيبة

(٢) لانه يكون في شربه له بذلك اعانة على معصية

(٣) قال جعفر رضي الله عنه كانت زمزم أطيب المياه وأعذبها وألذها نبعت على المياه فأبدل الله فيها عينا من الصفا فافسدتها نقله المراكشي في الروض الجامع وروي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان اذا شرب من زمزم يقول اللهم اني أشربه لظمأ يوم القيامة

(٤) وفي نسخة أعذب

(٥) وروى ابن أبي شيبة عن ابن عدي قال ضع دلوك من قبل العين التي بالبيت فانها من عيون الجنة وروى القرطبي في تفسيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان في زمزم عينا من الجنة من قبل الركن الاسود وفي منسك ابن أمير الحاج قال قال ابن شعبان العين التي تلي الركن الاسود من زمزم من عيون الجنة

﴿فروع﴾ الاول يجوز الوضوء من ماء زمزم والغسل به عند الحاجة اليه كما صرح به أئمتنا من غير كراهة وكذلك مذهب السادة الشافعية والمالكية والحنابلة وفى شرح المهذب للنووى ان الجواز مذهب الجمهور الثانى في حكم الاستنجاء به أما عندنا فلم أقف[1] على نقل فى ذلك والمنقول عن الماوردي والنووى من الشافعية ان ماء زمزم وان كان له حرمة فليست هى بحيث تمنع استعماله في الاستنجاء والمنقول عن الرويانى الكراهة فى ذلك قال ابن درياس من الشافعية ان ماء زمزم وغيره فى ذلك سواء على المذهب ثم نقل فى شرحه على المهذب عن الصيمري انه قال ان غيره من الماء أولى منه فى الاستنجاء وجزم المحب الطبرى رحمه الله بتحريم ازالة النجاسة به وان حصل به التطهير قال أكثرهم وينبغى توقى ازالة النجاسة به لاسيما مع وجود غيره وخصوصاً فى الاستنجاء فقد قيل ان بعض الناس استنجى به فحدث له الباسور وقال ابن شعبان من المالكية لا يغسل بماء زمزم ميت ولانجاسة وأخرج الفاكهى ان أهل مكة كانوا يغسلون موتاهم بماء زمزم اذا فرغوا من غسل الميت وتنظيفه تبركا به وان أسماء بنت الصديق رضى الله عنهما غسلت ابنها عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما بماء زمزم الثالث يجوز نقل ماء زمزم الى البلدان للتبرك به باتفاق المذاهب الاربعة بل ذلك

---

(١) قوله لم أقف الخ قال الملا رحمه الله في المتفرقات من الاوسط ويجوز الاغتسال والتوضؤ بماء زمزم على وجه التبرك ولا يستعمل الا على طاهر ويكره الاستنجاء ويستحب حمله الى البلاد انتهى

مستحب عند الشافعية والمالكية وكذلك يجوز عندنا اخراج اليسير من حجارة الحرم وترابه للتبرك ولم يجوزه الشافعي رحمه الله والفرق بين ذلك وماء زمزم عنده ان الماء اذا زال حدث غيره بخلاف حجارة الحرم والدليل على جواز اخراج ماء زمزم الى الحل ان عائشة رضى الله عنها حملت من ماء زمزم فى قوارير وقالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حمله في الاداوى والقرب أخرجه الترمذى في جامعه وعن ابن عباس أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استهدي سهيل بن عمرو من ماء زمزم فبعث له براويتين أخرجه الطبراني بسند رجاله ثقات وروى ان كعب الاحبار حمل من ماء زمزم اثني عشر راوية الى الشام وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يصبه على المرضى ويسقيهم منهم وأنه صلى الله عليه وسلم حنك به الحسن والحسين رضى الله عنهما مع تمر العجوة[1]

---

(١) وعن تاناة مولى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال جاء كعب الاحبار باداوة من ماء الى زمزم ونحن ننزع عليها فنحيناه عنها فقال العباس دعوه يفرغها فيها فاستسق منها اداوة وقل انهما ايتمارقان يعني ايليا وزمزم أخرجه الازرقي (فائدة) ايلياء بكسر همزة أوله ومد وفي آخره همزة مفتوحة عين ببيت المقدس يقال لها عين السلوان وتقدم ان من شرب منها ومن العيون الثلاثة حرم الله جسده على النار وعن خالد بن معدان انه قال ماء زمزم وعين سلوان التى ببيت المقدس عينان من عيون الجنة كذا في باعث النفوس للفزاوى سر الاحسن

﴿ استطراد لطيف ﴾

فى ذكر ماورد فى فضل السبطين وانهما سيدا شباب أهل الجنة وفضل الشيخين وانهما سيدا كهول أهل الجنة وفى معنى ذلك والمراد به

جاء فى الحديث عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله قال الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر وعمر رضى الله عنهما هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين الا النبيين والمرسلين رواه الترمذى وحسنه وتوفي أبو بكر وعمر والسبطان رضى الله عنهم وهم شيوخ كلهم معنى الحديثين ان الحسن والحسين سيدا كل من مات شابا ودخل الجنة وان أبا بكر وعمر سيدا كل من مات كهلا ودخل الجنة فكل أهل الجنة يكونون في سن أبناء ثلاث وثلاثين ولكن لايلزم كون السيد فى سن من يسودهم فقد يكون أكبر منهم سنا وقد يكون أصغر ولا يجوز ان يقال وقع الخطاب حين ماتا شابين أو كاهلين فان هذا جهل ظاهر وغلط فاحش لان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وللحسن والحسين دون ثمان سنين فلا يسميان شابين ولابي بكر فوق الستين سنة ولعمر فوق خمسين فكانا حال الخطاب شيخين فان هذا الخطاب كان بالمدينة وانما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عشر سنين ولعل هذا الخطاب كان

في آخرها ويتقضى سن الكهولة ببلوغ أربعين سنة ويدخل بالاربعين سن الشيخوخة والله أعلم قاله النووى فى فتاويه وقوله فكل أهل الجنة يكونون فى سن أبناء ثلاث وثلاثين يؤيده مانقله الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله في البدور السافرة فقال أخرج الطبرانى عن المقداد بن الاسود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس ما بين السقط الى الشيخ الفاني أبناء ثلاث وثلاثين في خلق آدم وحسن يوسف وقلب أيوب مكحلين ذوي أفانين قال القرطبى رحمه الله يكون الآدميات فى الجنة على سن واحد وأما الحور فاصناف مصنفة صغار وكبار وعلى ما اشتهت أنفس أهل الجنة وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن عباس قال أهل الجنة جرد مرد مكحلون ليس لهم لحى الاما كان من موسى بن عمران عليه السلام فان لحيته تضرب الى صدره وأخرج هنا وعن أبي الدرداء انه كان يأخذ لحيته ويقول نزع الله اللحى متى الراحة منها قيل له متى الراحة منها قال اذا أدخلنا الجنة وأخرج أبو الشيخ في العظمة وابن عساكر عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس أحد يدخل الجنة الا جرد مرد الا موسى بن عمران عليه السلام فان لحيته تبلغ سرته وليس أحد يكنى في الجنة الا آدم فانه يكنى أبا محمد وأخرج عن كعب رضى الله عنه قال ليس أحد في الجنة له لحية الا آدم عليه السلام له لحية سوداء الى سرته وذلك لانه لم يكن له لحية فى الدنيا وانما كانت اللحى بعد آدم وليس أحد يكنى في الجنة غير آدم يكنى فيها أبا محمد (أقول) من المعلوم المقرر عند النحاة

والاصوليين ان الاستثناء من النفي اثبات وهو مفيد للحصر فاذا كان كذلك فبين الخبرين المذكورين الدالين على اختصاص اللحية في الجنة بآدم وموسى عليهما السلام تعارض ظاهر من غير ترجيح لانه حيث ثبت الحصر في حق آدم انتفى عن موسى أو في حق موسى انتفى عن آدم واذا تعارض الخبران ولم يكن مرجح تساقطا غير انه يمكن الجمع بما ذكره من المصنف من كون لحية آدم سوداء فيجوز ان يكون لموسى لحية غير سوداء بان تكون بيضاء أو شمطاء أو غير ذلك لان أحوال الآخرة لا تكيف ولا تقاس على أحوال الدنيا ثم ما ذكره من العلة في حق آدم عليه السلام من كونه لم يكن له لحية في الدنيا لما ان اللحى لم تظهر الا بعده لا يصدق ذلك على موسى عليه السلام اذ في زمنه كانت اللحى قد ظهرت ويشهد لذلك قوله تعالى حكاية عن أخيه هارون معه قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي فهذا صريح في وجود اللحى زمن موسى فيحتمل ان يكون ذلك كرامة لسيدنا موسى اختصه الله بها أو غير ذلك مما الله اعلم به فتأمل والله الموفق (الرابع) ان قيل الحرمة الثابتة لماء زمزم هل هي لعينه ام لاجل البقعة فالجواب انها لعينه والا يلزم انه لو حفرت بئر اخرى في المسجد ان يثبت لها من الفضل ماثبت لزمزم ولا قائل به كذا في منسك الجد رحمه الله (الخامس) يستحب عندنا لكل من طاف طوافا بعده سعي ان يأتي زمزم بعد فراغه من ركعتي طوافه ويشرب منها ثم يعود الى الحجر ويقبله ويخرج الى الصفا وكذلك يستحب للحاج اذا فرغ من طواف الصدر وهو طواف الوداع ان يأتي

الى زمزم فيشرب منها و يستعمل آداب الشرب المتقدمة ويصب منه على وجهه و يغتسل منه ان أمكن

ولنختم هذا الباب بذكر أبيات الشيخ العلامة بدر الدين احمد بن محمد المصرى فى مدح ماء زمزم وهي

شفيت يازمزم داء السقيم فانت أصفى من تعاطى النديم
وكم رضيع لك اشواقه اليك بعد الشيب مثل الفطيم

وله أيضا

ياماء زمزم الطيبة المخبر يامن علت غورا على المشتري
رضيع أخلاقك لا يشتهي فطامه الا لدى الكوثر

وله أيضا

بالله قولوا لنيل مصر بانني عنه فى غناء
بزمزم العذب عند بيت مخلق الستر بالوفاء

وله أيضا

لزمزم نفع في المزاج وقوة تزيد على ماء الشباب لذي فتك
وزمزم فاقت كل ماء بطيبها ولوأن ماء النيل يجرى على المسك

وليكن المسك ختام الباب والى الله المرجع والمآب

الباب العاشر

﴿ في ذكر أمراء مكة ﴾

من لدن عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى تاريخ وقتنا هذا
وهو عام تسعة وأربعين وتسعمائة [١]

وهذا المؤلف وان كنت وضعته لبيان فضل مكة فقد يذكر الشيء بالشيء تكثيرا للفائدة وهذا الفرع لم يتصد لجمعه أحد كما ينبغي سوى العلامة تقي الدين الفاسي رحمه الله فاحببت ان أذكر ماذكره وأزيد من حدث بعده من أمراء مكة الى يومنا هذا ليصير هذا المؤلف جامعا مغنيا عن مطالعة غيره من المطولات مع توسط العبارة وعدم الاخلال باحد ممن عده الفاسي مع زيادة الايضاح والله ولي التوفيق والمعونة

فأول أمير ولي مكة عتاب بن أسيد بفتح الهمزة ابن أبي العيص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القريشي الاموي ولاه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مخرجه الى غزوة حنين في العشر الاول من شوال سنة ثمان من الهجرة وهو ابن احدى وعشرين سنة قاله ابن اسحاق وغيره ممن لا يحصي وهو في عامة كتب

(١) تاريخ التأليف سنة ٩٤٩

الحديث بل وغيرها وذكر ابن عقبة ان النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج الى حنين استخلف معاذ بن جبل الانصارى على أهل مكة وأمره ان يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين وذكر ابن عبد البر عن الطبرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار الى الطائف استخلف على مكة هبيرة بن سهل الثقفي وهو أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح وقد جمع الفاسى رحمه الله بين هذه الاخبار بان عتاب جعل أميرا على مكة ومعاذا اماما وفقيها واشترك هبيرة مع معاذ فى الامامة ولا يعارض ذلك ماقيل في ترجمة هبيرة من انه أول من صلى بمكة جماعة كما تقدم لامكان أن يكون حان وقت الصلاة وهبيرة حاضر في الناس ومعاذ غائب فبادر هبيرة فصلى بالناس لتحصيل فضيلة أول الوقت ثم حضر معاذ وصلى بمن لم يكن يدرك الصلاة خلف هبيرة وهذا أولى من جعل الاخبار متعارضة فى ولاية عتاب هذا معنى كلام الفاسى وقد أجاد لان ولاية عتاب مما بلغ حد التواتر ولم يزل عتاب أميرا على مكة الى أن مات وكانت وفاته يوم مات أبو بكر رضى الله عنه وقيل بل يوم جاء نعي الصديق الى مكة ونقل ابن عبد البر ما يقتضى ان الصديق عزل عتاب وولى الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب القريشي الهاشمى وهو ضعيف والمشهور دوام ولاية عتاب على مكة الى أن مات في التاريخ المتقدم آنفا ثم ولى مكة في خلافة الصديق نيابة عن عتاب لسفر طرأ له المحرز بن حارثة بن ربيعة ابن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف القريشي

﴿ ذكر من ولى مكة فى خلافة عمر بن الخطاب ﴾ رضى الله عنه

وليها له جماعة أولهم المحرز بن حارثة المذكور وذلك في أول خلافته ثم وليها قنفذ بن عمير بن جدعان التيمى بعد عزل المحرز ثم وليها نافع ابن عبد الحارث الخزاعى بعد عزل قنفذ و وليها بعد عزل نافع خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومى وطارق بن المرتفع بن الحارث بن عبد مناف وعبد الرحمن بن ابزى مولي خزاعة نيابة عن مولاه نافع بن عبد الحارث لما خرج للاقاة عمر رضى الله عنه بعسفان وأنكر عمر ذلك على نافع كما قد علمته فيما سبق فى الباب الثامن والحارث بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب القريشي الهاشمى ونقل الذهبي ان الحارث هذا ولى مكة لابى بكر وهو ضعيف

﴿ ذكر من ولى مكة في خلافة عثمان رضي الله عنه ﴾

وليها جماعة أولهم على بن عدى بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف القريشي ولاه عليها أول خلافته ثم خالد بن العاص ابن هشام بن المغيرة المخزومى المتقدم وكذلك ولى لعثمان الحارث بن نوفل السابق آنفا وعبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ابن عبد شمس القريشي ابن أخى عتاب بن أسيد وعبد الله بن عامر الحضرمى وذكر ابن الاثير انه كان على مكة فى سنة خمس وثلاثين وفيها قتل عثمان ثم نافع بن عبد الحارث الخزاعى السابق ذكره

﴿ ذكر من ولى مكة في خلافة أمير المؤمنين ﴾
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وليها جماعة أولهم أبو قتادة الانصارى فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه الحارث بن ربعى وقيل النعمان بن ربعي وقيل غير ذلك ثم قثم بضم القاف وفتح المثلثة ابن العباس بن عبد المطلب بن هاشم القريشي الهاشمى ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم بعد عزل أبي قتادة الانصارى ولم يزل واليا عليها الى أن قتل على رضى الله عنه على الاشهر ثم أخوه معبد بن العباس بن عبد المطلب على ماقيل وقيل ان المحرز بن حارثة ولي مكة لعلى قال الفاسى وهو تصحيف

﴿ ذكر ولاة مكة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان ﴾

وهم جماعة لا نعرف أولهم منهم أخوه عتبة بن أبي سفيان وخالد بن العاص بن هشام المخزومى المتقدم ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القريشى الاموى أبو عبد الملك وسعيد بن العاص ابن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القريشي الاموى يكنى أبا عثمان وقيل أبا عبد الرحمن أحد أشراف مكة وأجوادها وفصحائها وعمرو بن سعيد بن العاص القريشى الاشدق وكذا سعيد المتقدم وعبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص القريشى ابن أخى عتاب السابق وكانت ولايته سنة أربع وأربعين وفيها حج معاوية حجته الاولى

﴿ ذكر ولاة مكة فى خلافة يزيد بن معاوية ﴾

وهم جماعة عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالاشدق السابق في ولاية معاوية والوليد بن عتبة بن أبى سفيان بن حرب القريشى ابن عم يزيد وعثمان بن محمد بن أبي سفيان بن حرب القريشى ابن عم يزيد أيضاً الامويون والحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومى المتقدم ذكر والده خالد وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن نفيل العدوى القريشى ابن أخى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحى وفى ترتيب ولايتهم اختلاف الا عمرو بن سعيد فانه أولهم ثم الوليد بعده

﴿ خلافة عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ﴾

ثم ولى مكة عبد الله بن الزبير بعد أن لقى فى ذلك بلاء شديدا من الحصين بن نمير المقدم على عسكر يزيد وكان وصول الحصين الى مكة لمحاربة ابن الزبير لما بايعه أهل الحجاز لاربع بقين من المحرم سنة أربع وستين وتقاتل هو وابن الزبير مدة ثم فرج الله على ابن الزبير بوصول نعى يزيد فى ليلة الثلاثاء لثلاث مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين فولى الحصين راجعاً الى الشام وبويع ابن الزبير حينئذ بالخلافة بالحرمين ثم بويع بها في العراق واليمن وغيرهما من البلاد وشاد أمره ودامت ولايته على مكة الى أن حاربه الحجاج وقتله وكان من أمره ماليس هذا محل ذكره

ذكر ولاة مكة في خلافة عبد الملك بن مروان

وليها له جماعة وهم ابنه مسلمة والحجاج بن يوسف والحارث بن خالد المخزومي السابق ذكره وخالد بن عبد الله القسري وعبد الله ابن سفيان المخزومي وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العيص الاموى ونافع بن علقمة الكناني ويحيى بن الحكم بن ابي العاص ابن أمية بن عبد شمس القريشي الاموى وأولهم في الولاية الحجاج والباقون لا يعرف ترتيبهم ومن ولي لعبد الملك كما قيل هاشم بن اسمعيل المخزومي وأبان بن عثمان بن عفان * وأما ولاة مكة في خلافة الوليد بن عبد الملك فاثنان الامام العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان ابن الحكم القريشي الاموي رضى الله عنه وولاه المدينة الشريفة أيضاً ثم خالد بن عبد الله القسرى * وأما ولاتها في خلافة سليمان بن عبد الملك فثلاثة أنفار خالد بن عبد الله القسرى ثم طلحة بن داود الحضرمى ثم عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص الاموى * وأما ولاتها في خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فخمسة رجال عبد العزيز ابن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور ومحمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعروة بن عياض بن عدى بن الحبان بن نوفل بن عبد مناف بن قصى القريشي النوفلي كذا ترجمه الذهبي وغيره وعبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب القريشي وعثمان بن عبيد الله بن عبد الله ابن سراقة العدوى وذكر ابن جرير ان عبد العزيز بن خالد هو الذى كان والياً على مكة مدة خلافة عمر جميعها وجمع الفاسى رحمه الله

فقال ولعل المذكورين من الولاة غير عبد العزيز بن خالد ولوا لعمر
في زمن ولايته لمكة عن الوليد بن عبدالملك في المدة التي كان فيها بالمدينة
فانها كانت في ولايته أيضاً * وأما ولاتها في خلافة يزيد بن عبد الملك
فجماعة أولهم عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور ثم
عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس القريشي الفهري مع ولايته للمدينة
أيضاً وولايته لمكة في سنة ثلاث ومائة وللمدينة في سنة احدى ومائة
ثم عبد الواحد بن عبد الله النصري بالنون من بني نصر بن معاوية
بعد عزل عبد الرحمن بن الضحاك في سنة أربع ومائة مع المدينة أيضاً *

وأما ولاتها في خلافة هشام بن عبدالملك فجماعة أيضاً أولهم عبدالواحد
المذكور ومدة ولايته لذلك في خلافة يزيد وهشام سنة وثمانية أشهر على
ماذكره ابن الاثير ثم بعده ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي خال
هشام بن عبد الملك في سنة ست ومائة وولي مع ذلك المدينة أيضا
ودامت ولايته على مكة الى سنة ثلاث عشرة وقيل أربع عشرة ومائة
ثم بعد ابراهيم المذكور أخوه محمد بن هشام بن اسماعيل ودامت ولايته
على ما قيل الى سنة خمس وعشرين ومائة وذكر الفاكهي ان ممن
ولي لهشام مكة نافع بن علقمة الكناني السابق ذكره في خلافة أبيه
عبدالملك ومن وليها على الشك في خلافة عبد الملك بن مروان أو في
خلافة أحد أولاده الاربعة أو خلافة عمر بن عبدالعزيز ابو جراب محمد
ابن عبد الله بن الحارث بن أمية الاصغر الاموي ذكره الفاكهي
وذكر مايقتضي انه كان على مكة زمن عطاء بن ابي رباح * وأما ولاتها

في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك فيوسف بن محمد بن يوسف
الثقفى مع المدينة والطائف في سنة خمس وعشرين ومائة وذلك بعد
عزل محمد بن هشام خال الوليد المذكور ودامت ولايته الى انقضاء دولة
الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ومائة * وأما ولاتها فى خلافة يزيد
ابن يزيد بن الوليد بن عبد الملك فعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز
ابن مروان على ما قيل * وأما ولاتها فى خلافة مروان بن محمد بن مروان
الاموى المعروف بالحمار خاتمة خلفاء بنى أمية فعبدالعزيز بن عمر بن
عبد العزيز بن مروان المذكور آنفا ودامت ولايته الى أن حج بالناس
فى سنة ثمان وعشرين ومائة ثم بعده عبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك
وولى مع ذلك المدينة واستمر متوليا الى أن حج بالناس في سنة تسع
وعشرين ومائة ثم ولى مكة بعده بالتغلب ابو حمزة الخارجى الاباضى
واسمه المختار بن عوف وسببه ان عبد الله بن يحيى الاعور الكندى
المسمى طالب الحق بعد أن ملك حضرموت وصنعاء وتغلب عليهما طرد
عامل مروان القاسم بن عمر الثقفى عنهما وبعث أبا حمزة المذكور الى
مكة فى عشرة آلاف من العسكر فهرب عبد الواحد المذكور يوم النفر
الاول من منى وقصد المدينة وجهز جيشا من المدينة الى ابي حمزة فخرج
ابو حمزة قصدا الى المدينة فلقيه جيش عبد الواحد بقديد فكان الظفر
لابي حمزة ثم قصد المدينة وقتل بها جماعة وبلغ خبره مروان فجهز اليه
عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى فى أربعة آلاف فارس فالتقى هو
وابو حمزة بمكة بالابطح فقتل ابو حمزة وكان عسكره خمسة عشر ألفا

وظفر عبد الملك وذكر ابن الاثير ما يقتضي ان عبد الملك سار الى اليمن لقتال طالب الحق المتقدم ذكره وانه ظفر بطالب الحق وقتله وأرسل برأسه الى مروان وممن ولى مكة لمروان الوليد بن عروة السعدى ابن أخي عبد الملك المذكور وانه كان عليها في سنة احدى وثلاثين ومائة ويقال ان محمد بن عبد الملك بن مروان كان على مكة والمدينة فى سنة ثلاثين ومائة وانه حج بالناس فيها والله أعلم

﴿ذكر ولاة مكة في أيام بني العباس﴾ أما ولاتها في خلافة ابى العباس عبدالله ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب أول خلفاء بنى العباس وتلقب بالسفاح فداود بن على بن عبدالله بن العباس عم السفاح وذلك في سنة اثنين وثلاثين ومائة وولاه مع مكة المدينة واليمن واليمامة ثم بعده زياد بن عبد الله الحارثي خال السفاح مع المدينة واليمامة أيضا ودامت ولايته الى سنة ست وثلاثين ومائة على ما يقتضيه كلام ابن الاثير ثم ولى بعد زياد العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمى فى سنة ست وثلاثين ومائة واستمر عليها الى موت السفاح قاله ابن الاثير وممن ولى مكة للسفاح على ما ذكره ابن حزم فى الجمهرة عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي وهذا يخالف ما تقدم عن ابن الاثير من كون العباس كان مستمرا على ولاية مكة الى موت السفاح والله أعلم بحقائق الامور ✻ وأما ولاتها فى خلافة المنصور ابى جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبدالله ابن عباس أخى السفاح فجماعة أولهم العباس بن عبد الله بن معبد

المذكور آنفا وذلك سنة سبع بتقديم السين وثلاثين ومائة ثم مات بعد انقضاء الموسم ثم ولى بعده زياد بن عبيدالله الحارثي المتقدم ودامت ولايته الى سنة احدى وأربعين ومائة وهو الذى تولى عمارة ما زاد المنصور فى المسجد الحرام ثم ولى بعد عزل زياد الهيثم بن معاوية العتكي الخراسانى فى سنة احدى وأربعين ومائة واستمر الى سنة ثلاث وأربعين ثم ولي بعد عزله السرى بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب واستمر الى سنة خمس وأربعين ثم ولى بعده بالتغلب محمد بن الحسن ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب القريشى الهاشمى الجعفري من قبل بكسر القاف وفتح الموحدة محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن على بن ابي طالب الملقب بالنفس الزكية لانه لما تغلب على المدينة النبوية وخرج على المنصور فى سنة خمس وأربعين أمر على مكة محمد بن الحسن بن معاوية المذكور فسار الى مكة فخرج اليه السري بن عبد الله أمير مكة من قبل المنصور فتحاربا فانهزم السرى ودخل محمد مكة ثم أنفذ المنصور جيشا لمحاربة محمد بن عبد الله فقتل كذا نقله ابن الاثير وذكر الزبير بن بكار ما يقتضى ان الذى ولاه محمد بن عبد الله على مكة حسن بن معاوية والد محمد المذكور والله أعلم بالصواب ثم عاد السرى على ولاية مكة من قبل المنصور واستمر الى سنة ست وأربعين ومائة ثم ولى بعده عبدالصمد بن على بن عبدالله ابن العباس العباسى عم المنصور والسفاح واستمر الى سنة تسع وأربعين بتقديم المثناة الفوقية وقيل الى سنة خمسين وقيل انه كان على مكة

في سنة سبع وخمسين بتقديم السين ثم ولى بعد عبد الصمد محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسى ومكث الى سنة ثمان وخمسين * وأما ولاتها في خلافة المهدى أميرالمؤمنين محمد ابن المنصور العباسى فجماعة أولهم ابراهيم بن يحيي بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بوصية من المنصور ثم جعفر بن سليمان بن على ابن عبد الله بن عباس وكان على ذلك فى سنة احدى وستين وثلاث وستين ثم عبيد الله بن قثم بضم القاف وفتح المثلثة ابن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان متوليا لذلك فى سنة ست وستين وممن ولى للمهدى أيضا محمد بن ابراهيم الامام العباسي المتقدم ذكره الفاكهي وممن ولى مكة على الشك فى خلافة المهدي وابنه الهادي قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب والدعبيدالله المتقدم والله أعلم بذلك * وأما ولاتها فى خلافة الهادى موسى ابن المهدى العباسي فعبيد الله بن قثم بن العباس المتقدم وذلك فى سنة تسع وستين بتقديم المثناة ثم وليها بالتغلب فى أيام الهادى الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب الحسنى لانه خرج عن طاعة الهادي وقتل من في المدينة من جماعة الهادى ونهب بيت المال الذى بالمدينة وبويع على كتاب الله وسنة نبيه وخرج بجماعته الى مكة لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وستين وبلغ الهادى خبره فكتب الى محمد بن سليمان بن على بن عبدالله بن عباس وأمره بمحاربة الحسين المذكور وكان محمد بن سليمان قد توجه فى هذه السنة المذكورة

للحج فى جماعة من أهل بيته وخيل وسلاح فلما دخل من عمرته عسكر
بذي طوى وانضم اليه من حج من جماعتهم وقوادهم والتقوا مع الحسين
وأصحابه وكان القتال فى يوم التروية فقتل الحسين فى أزيد من مائة من
أصحابه بفخ ظاهر مكة عند الزاهر ودفن هنالك قال الفاسى وقبره
معروف الى وقتنا هذا فى قبة على يمين الداخل الى مكة ويسار الخارج
منها الى جهة وادى مر وحمل رأسه الى الهادي فلم يحمد ذلك وكان
الحسين هذا شجاعا كريما يحكى انه قدم على المهدى فاعطاه أربعين
ألف دينار ففرقها في الناس ببغداد والكوفة وخرج لا يملك ما يلبسه
الا فروة ليس تحتها قميص رحمه الله وغفر له ومن ولى مكة في خلافة
الهادي وأخيه الرشيد محمد بن عبد الرحمن السفياني كان على امارتها
وقضائها واستمر الى ان صرفه المأمون الى قضاء بغداد وأما ولاتها
في خلافة هارون الرشيد بن المهدى فجماعة لا يعرف ترتيبهم فى الولاية
وهم احمد بن اسماعيل بن على بن عبد الله بن عباس وحماد البربرى
وسليمان بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس والعباس بن
موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وأخوه
على بن موسى بن عيسى والعباس بن محمد بن ابراهيم الامام وعبد الله
ابن محمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمى
وعبيد الله بن قثم بن العباس المتقدم فيما سبق وعبيد الله بن محمد
ابن ابراهيم الامام والفضل بن العباس بن محمد بن على بن
عبد الله بن عباس ومحمد بن ابراهيم الامام ومحمد بن عبد الله بن

سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفان العفاني وموسى بن عيسى
ابن موسى بن محمد بن علي والد العباس وعلى المتقدم ذكرهما * وأما ولاتها
في خلافة الامين محمد بن هارون الرشيد العباسى فداود بن عيسى بن
موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وكان ذلك فى سنة
ثلاث وتسعين بتقديم المثناة على السين واستمر الى انقضاء خلافة الامين
فى سنة ست وتسعين وهو الذى تولى خلع الامين بمكة فيها وأما ولاتها
في خلافة المأمون أمير المؤمنين عبد الله بن هرون الرشيد فداود المذكور
أيضاً ولاه المأمون بعد خلع الامين واستمر الى أواخر سنة تسع وتسعين
ومائة بتقديم المثناة الفوقية ثم فارق مكة متخوفاً من الحسين بن الحسن
ابن على بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب المعروف بالافطس
وسببه ان أبا السرايا السرى بن منصور الشيباني داعية ابن طباطبا لما
تغلب واستولى على العراق ولى مكة الحسين بن الحسن الافطس فسار
الى ان وصل الى وادي سرق المعروف فى وقتنا هذا بالنوارية بتشديد
النون على مرحلة لطيفة من مكة الى جهة مر الظهران فتوقف عن الدخول
خشية من أميرها داود فلما بلغه خروج داود دخلها ليلة عرفة فطاف
وسعى ثم مضى الى عرفة فوقف بها ليلا ثم دفع الى مزدلفة فصلى بالناس
الصبح ثم دفع الى منى فلما انقضى الحج عاد الى مكة فلما كان مستهل
المحرم سنة مائتين نزع الحسين المذكور كسوة الكعبة التى كانت عليها
من قبل العباسيين ثم كساها كسوتين أنفذهما معه أبو السرايا المذكور
من قز رقيق احداهما صفراء والاخرى بيضاء ثم عمد الافطس الى خزانة

الكعبة وأخذ مافيها من الاموال فقسمها مع كسوة الكعبة على أصحابه
وهرب الناس من مكة لانه كان يأخذ أموال الناس ويزعم انها ودائع
بني العباس عندهم ولم يزل كذلك على ظلمه الى ان بلغه قتل مرسله أبي
السرايا في سنة مائتين فلما علم بذلك ورأى الناس قد تغيروا عليه لما فعله
معهم من القبيح واستباحة الاموال جاء هو وأصحابه الى محمد بن جعفر
الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن على بن الحسين بن علي بن
أبي طالب الحسيني الملقب بالديباجة لجمال وجهه وسألوه فى المبايعة بالخلافة
فكره محمد ذلك فاستعان الافطس عليه بولده على ولم يزالوا به حتى بايعه
بالخلافة وذلك فى ربيع الاول سنة مائتين وجمعوا الناس على بيعة محمد
ابن جعفر طوعا وكرها ولقبوه بامير المؤمنين وبقي شهورا وليس له من
الامر شيء وانما ذلك لابنه على وللافطس وهما على أقبح سيرة مع
الناس فلم يكن الامدة يسيرة اذ جاء عسكر المأمون فيهم الجلودى وورقاء
ابن جميل وقد انضم الى محمد بن جعفر غوغاء أهل مكة وسواد البادية
فالتقى الفريقان فانهزم محمد وأصحابه وطلب الديباجة من الجلودى الامان
فاجلوه ثلاثا ثم خرج من مكة ودخل الجلودى بعسكره الى مكة فى
جمادى الآخرة سنة مائتين وتوجه الديباجة الى جهة بلاد جهينة فجمع
منها جيشاً وقاتل والى المدينة هارون بن المسيب فانهزم الديباجة بعد
ان فقئت عينه بنشابة وقتل من عسكره خلق كثير ثم عاد الي مكة
وطلب الامان من الجلودى فامنه فدخل مكة في أواخر الحجة سنة مائتين
وصعد المنبر معتذرا بانه انما وافق على المبايعة لانه بلغه موت المأمون ثم

قدم على المأمون واعتذر واستغفر فقبل عذره وأكرمه وعفا عنه فلم يمكث الا قليلا ثم مات فجأة بجرجان فصلى عليه المأمون ونزل فى لحده وقال هذه رحم قطعت من سنين وكان موته في شعبان سنة ثلاث ومائتين وسبب موته على ماقيل انه جامع وافتصد ودخل الحمام فى يوم واحد ثم وليها بعد هزيمة الديباجة فى خلافة المأمون عيسى بن يزيد الجلودى ووليها له نيابة ابنه محمد ويزيد بن محمد بن حنظلة المخزومى ثم وليها بعد عزل الجلودى هارون بن المسيب ووليها للمأمون أيضاً حمدون بن على ابن عيسى بن ماهان وابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب وحج بالناس سنة اثنين ومائتين كذا نقله الفاسى عن العتيق وذكر الازرقى ان حنظلة كان واليا على مكة فى سنة اثنين ومائتين خليفة لحمدون بن على وجمع الفاسي بين ذلك بانه يمكن أن يكون حمدون كان واليا في أول سنة اثنين ومائتين واستناب حنظلة المذكور وابراهيم كان واليا فى آخر هذه السنة وعبيد الله بن الحسين ابن عبيد الله بن العباس بن على بن أبى طالب مع المدينة وذلك فى سنة أربع ومائتين واستمر الى سنة ست وقيل الى سنة تسع بتقديم المثناة الفوقية وصالح بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وذلك فى سنة عشر ومائتين واستمر الى ان حج بالناس سنة اثنى عشر ومائتين ثم وليها بعده على الاشهر سليمان بن عبد الله بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس مع المدينة وولى أيضاً للمأمون محمد بن سليمان المتقدم ذكر والده وذلك في سنة ست عشرة ومائتين كما يقتضيه كلام الفاسي وعبيد الله

ابن عبد الله بن حسن بن جعفر بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ومن ولى مكة للمأمون من غير مباشرة الحسن بن سهل أخو الفضل بن سهل لان المأمون بعد قتل أخيه الامين استعمل الحسن هذا على كل ما افتتحه طاهر بن الحسين من العراق والاهواز وفارس والحجاز واليمن وذلك فى سنة ثمان وتسعين ومائة

﴿ وأما ولاتها فى خلافة المعتصم ﴾ محمد بن هارون الرشيد فصالح ابن العباس المتقدم ذكره آنفا وكان فى سنة تسع عشر بتقديم المثناة ومائتين ثم وليها محمد بن داود بن عيسي بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الملقب بترنجه وذلك فى سنة اثنتين وعشرين ومائتين ويقال ان ولايته دامت الي أثناء خلافة المتوكل وولى للمعتصم أيضاً اشناس التركى وهو من كبار قواده وذلك انه لما أراد الحج فى سنة ست وعشرين ومائتين فوض اليه المعتصم الولاية على كل بلد يدخلها فلما دخل مكة جعل محمد بن داود المتقدم نائبا عنه على الحج بالناس ودعا لاشناس على منابر الحرمين وغيرهما من البلاد التى دخلها

﴿ وأما ولاتها فى خلافة الواثق هارون ابن المعتصم ﴾ فعلى بن عيسي بن جعفر بن أبي جعفر المنصور وذلك سنة ثمان وثلاثين واستمر الى ان توفى سنة تسع وثلاثين ثم ولى بعده عبد الله بن محمد بن داود بن عيسي المتقدم ذكر والده فى خلافة المعتصم واستمر الى سنة احدى وقيل اثنين وأربعين ومائتين ثم ولي بعده عبد الصمد ابن موسي بن محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس

سنة اثنتين وأربعين ثم ولى بعده محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد
ابن ابراهيم الامام المعروف بالزينبي وممن عقد له على مكة ولم يباشر في خلافة
المتوكل ابنه المنتصر محمد الذى ولى الخلافة بعد أبيه المتوكل وممن
ولى علي ماقيل فى خلافة المتوكل ايتاج بهمزة و بعدها مثناة تحتية ثم مثناة
فوقية فالف فجيم الخوزى بضم الخاء المعجمة وكسر الزاء المعجمة مولى
المعتصم وكان من كبار قواد المتوكل والله أعلم بذلك

﴿ وأما ولاتها في خلافة المنتصر محمد بن المتوكل ﴾ فمحمد بن
سليمان الزينبى المتقدم آنفا

﴿ وأما ولاتها فى خلافة المستعين أبي العباس أحمد بن المعتصم
العباسى ﴾ فعبد الصمد بن موسى الامام المتقدم ذكره وذلك فى
سنة تسع وأربعين بتقديم المثناة ثم بعده جعفر بن الفضل بن عيسى بن
موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس المعروف بشاشات وكانت
ولايته في سنة خمسين ومائتين واستمر الى سنة احدى وخمسين ثم وليها
بعد شاشات بالتغلب اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسى بن عبدالله
ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب لانه لما تغلب على مكة فهرب منه
عاملها جعفر شاشات وقتل الجند الذى بمكة وجماعة من أهل مكة ونهب
منزل شاشات وغيره وأخذ من الناس نحو مائتى الف دينار وعمد الى
الكعبة الشريفة فاخذ كسوتها وأخذ مافي خزائنها من الاموال وما كان
حمل من المال لاصلاح العين ونهب مكة وأحرق بعضها ثم خرج منها
فى شهر ربيع الاول بعد اقامته فيها خمسين يوما وقصد المدينة الشريفة

فتوارى عنه عاملها فرجع الى مكة فى رجب فحصر أهلها حتى ماتوا جوعا وعطشاً وبلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم ولقى أهل مكة منه بلاء شديدا ثم سار الى جدة فحبس عن الناس الطعام وأخذ أموال التجار وأصحاب المراكب ثم وافي الموقف والناس بعرفة فافسد فيهاوقتل من الحجاج نحو الف ومائة ونهب الناس فهرب الحجاج ولم يقف بعرفة أحد لا ليلا ولا نهارا سوى اسماعيل وعسكره ثم بعد انفصاله من عرفة رجع الى جدة ثانيا وأفنى أموالها وفعل أمورا قبيحة ليس هذا محل ذكرها هذا كله فى خلافة المستعين ومن عقد له على مكة ولم يباشر فى خلافة المستعين اثنان ابنه العباس ومحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين

﴿ وأما ولاتها فى خلافة المعتز واسمه محمد وقيل طلحة وقيل الزبير ابن المتوكل العباسى ﴾ فعيسى بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الحميد بن عبد الله بن عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى وذكر الفاكهى ما يقتضى انه ولى مكة مرتين ومن ولاها فى خلافة المعتز أو خلافة المهتدى أو خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل على الشك محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور العباسى الملقب كعب البقر وولايته لا تخرج عن أحد هؤلاء الثلاثة

﴿ وأما ولاتها في خلافة المهتدى واسمه محمد بن الواثق العباسي ﴾ فعلى بن الحسن الهاشمى ذكره الفاكهى ولم يزد على اسمه واسم أبيه وذكر ان ولايته فى سنة ست وخمسين ومائتين وانه أول من فرق بين الرجال والنساء فى جلوسهم في المسجد الحرام أمر بحبال تربط بين

الاساطين التى تقعد عندها النساء تفصل بينهن و بين الرجال

﴿ وأما ولاتها في خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسى ﴾ فجماعة أخوه أبو أحمد الموفق واسمه طلحة وقيل محمد بن المتوكل وذلك في سنة سبع وخمسين بتقديم السين علي الموحدة ومائتين على ما اقتضاه كلام ابن الاثير وابراهيم بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن سليمان بن على ابن عبد الله بن عباس العباسي الملقب بزيه بباء موحدة ثم زاء معجمة ثم مثناة تحتية ثم هاء الوقف وكانت ولايته فى حدود تسع وخمسين بتقديم المثناة الفوقية ومائتين الى احدى وستين ومائتين وأبو المغيرة محمد بن عيسي بن محمد المخزومى ولد عيسي بن محمد المتقدم ذكره في خلافة المعتز آنفا وذلك فى سنة ثلاث وستين ومائتين كما تقتضيه عبارة الفاسى والفاكهي وذكر ابن الاثير ما يدل انه وليها نائبا لصاحب الزنج فى سنة خمس وستين واستمر الى سنة ثمان وستين ومائتين وهارون بن محمد بن اسحاق بن موسى بن عيسى بن موسي بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس العباسي وكانت ولايته في سنة تسع وستين بتقديم المثناة الفوقية ومائتين كما دل عليه كلام ابن جرير وابن الاثير وأحمد ابن طولون صاحب مصر أقول كذا عده الفاسى مع انه لم يباشر ذلك ولولا ما قدمته أول هذا الباب بانى لم أخل باحد ممن عده الفاسي لما ذكرته ولعل سبب ذكر الفاسى لاحمد المذكور والله أعلم ما نقله عن ابن جرير ان فى عام تسع وستين ومائتين أرسل ابن طولون هذا قائدين من مصر في أربعمائة وتسعين فارسا بتقديم المثناة الفوقية على السين والفى

راجل فوافوا مكة لليلتين بقيتا من ذى القعدة وأعطوا الجرارين والحناطين بمكة دينارين لكل رجل ولغيرهم سبعة دنانير وكان هارون بن محمد المتقدم آنفا يومئذ أميرا على مكة ومعه مائة وعشرون فارسا ومائتا عبد من السودان فوافاه جعفر بن الباعمرون لثلاث خلون من ذى الحجة فى نحو مائتى فارس فقوى بهم هارون فالتقوا هم وأصحاب ابن طولون فانهزم عسكر ابن طولون وقتل منهم بمكة نحو مائتى رجل وأخذت دوابهم وأموالهم وأمن جعفر الباعمرون المصريين والحناطين والجرارين وسلم الناس وأموال التجار ولعن أحمد بن طولون في المسجد الحرام وبهذا لا يثبت لابن طولون ولاية على مكة وكان عدم ذكره أولى والله أعلم انتهى ومحمد بن أبي الساج وأخوه يوسف بن أبي الساج فأما محمد ففي كلام ابن جرير ما يدل على انه لم يباشر وانما عقد له على الحرمين وأما ولاية أخيه يوسف فذكر ابن الاثير انها في سنة احدى وسبعين بتقديم السين على الموحدة ومائتين والفضل بن العباس بن الحسين ابن اسماعيل بن محمد بن العباس وكان متوليا على مكة فى سنة ثلاث وستين ومائتين كذا نقله الفاكهى (أقول) وفيه نظر لانه قد تقدم ان أبا المغيرة بن عيسى كان واليا على مكة في هذه السنة ويمكن الجمع بان الفضل لعله كان واليا في أول السنة ثم ولى بعده أبو المغيرة في أثنائها أو آخرها والله أعلم بذلك ولم ينبه الفاسى على ذلك وأبو عيسي محمد بن يحيي ابن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الوهاب بن عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى ذكر ولايته عن المعتمد ابن

حزم ولم يذكرلها تاريخا لكنه نقل ان أبا عيسى عزل بابي المغيرة المخزومي المتقدم فيحتمل ان تكون ولايته تقريباً من ثلاث وستين الى ثمان وستين ومائتين لان أبا المغيرة كان واليا في هذه الحدود على اختلاف الاقوال المتقدمة فى تاريخ ولايته انتهى ونقل الفاكهى مايقتضى ان أبا عيسى هذا ولى مكة نيابة عن الفضل بن العباس المذكور آنفاوجمع الفاسى بين ما ذكره ابن حزم والفاكهى فقال ولامانع لانه يجوز أن يكون أبو عيسى ولى مكة عن الفضل نيابة وعن المعتمد استقلالا انتهي

﴿ وأما ولاتها في خلافة المعتضد أبي العباس أحمد بن أبى أحمد الموفق بن المتوكل العباسى ﴾ ثم فى خلافة أولاده المكتفى أبي محمد على والمقتدر أبي الفضل جعفر والقاهر أبي منصور محمد ثم فى خلافة الراضي أبى العباس أحمد بن المقتدر ثم في خلافة المتقى أبى اسحاق ابراهيم ابن المقتدر ثم فى خلافة المستكفي عبد الله بن المكتفى على بن المعتضد ثم فى خلافة المطيع أبى القاسم الفضل بن المقتدر العباسى فجماعة كثيرة لم يعرف منهم ويذكر سوى عج بالعين المهملة والجيم ابن حاج ولم يعلم مبدأ ولايته متى كانت غير ان اسحاق الخزاعي ذكر انه كان واليا على مكة فى سنة احدى وثمانين ومائتين وذكر ابن الاثير مايدل على انه كان واليا في عام خمس وتسعين بتقديم المثناة الفوقية ومائتين فيحتمل انه استمر من عام احدى وثمانين الى التاريخ الذى ذكره ابن الاثير أو تولى غيره ثم أعيد هو والله أعلم ومؤنس المظفر وذلك فى سنة ثلثمائة حسبما ذكره ابن الاثير وكان أميرا على الحرمين والثغور بالعقد لابالمباشرة

وابن ملاحظ لان النابه أبا محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني
ترجم ابن ملاحظ بسلطان مكة من غير ذكر تاريخ قال العلامة الفاسي
وماعرفت اسم ابن ملاحظ ولا متى كانت ولايته غير اني أظن انه كان
عليها بعد سنة ثلثمائة أو قبلها بقليل انتهى وابن محلب وقيل ابن محارب
والاول أصوب ولم يعلم أول ولايته غيران ابن الاثير لما ذكر ما فعله أبو
طاهر القرمطي من القبائح بمكة في سنة سبع عشرة بتقديم المهملة على
الموحدة وثلاثمائة قال ماصورته فخرج اليه ابن محلب أمير مكة فى جماعة
من الاشراف فقاتلوه فقتلهم أبو طاهر أجمعين انتهى فاستفيد من كلامه
ان ابن محلب كان والى مكة فى تلك السنة ومحمد بن طغج بالطاء
والعين المهملتين ثم بالجيم المعروف بالاخشيد وابناه أبو القاسم أو نجور
بالنون والجيم ومعنى أونجور محمود وأبو الحسن علي وكان مبدأ ذلك فى
سنة احدى وثلاثين وثلثمائة كما دل عليه كلام المؤرخين بان الخليفة
المتقي العباسى ولى محمدا المذكور مصر والشام والحرمين فى السنة المذكورة
وعقد لولديه أبي القاسم وعلى أبى الحسن من بعد أبيهما على البلد
المذكورة على أن يكفلهما خادمه كافور الخصى المعروف بالاخشيدى
وهذه الولاية بالعقد من غير مباشرة ودليله ان الفاسى رحمه الله قال بعد
استيفاء كلام المؤرخين فى عقد المتقي لمحمد وولديه ماصورته وماعرفت
من كان يباشر لهم ولاية مكة ولا من يباشر ذلك لمؤنس المظفر انتهى
والله أعلم وممن ولى مكة القاضى أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد
العزيز العباسى ذكر ذلك بعض مؤرخى مصر وذلك في سنة ثمان وثلاثين

وثلاثمائة وقيل انه باشر ذلك لابي الحسن على بن الاخشيد والله أعلم
ثم ولى مكة في زمن الاخشيدية بالتغلب جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد
ابن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على
ابن أبي طالب الحسنى كذا ذكره ابن حزم ثم قال وولده الى اليوم ولاة
مكة يعنى فى زمنه قال العلامة الفاسى ولعل ولاية جعفر المذكور بعد موت
كافور الاخشيدى وقبل أخذ العبيديين مصر من الاخشيدية ويصدق
على ذلك انها أيام الاخشيدية ويبعد ان يلى جعفر مكة فى أيام كافور
لعظم أمره وقد رأيت في بعض التواريخ مايدل على انه كان يدعى لكافور
على المنابر بمكة وكان موت كافور فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة فى
جمادي الاولى وقيل فى سنة سبع وخمسين فتكون ولاية جعفر فى احدى
هاتين السنتين أو في سنة ثمان وخمسين ولا تخرج ولايته عن هذا
انتهى ثم ولى مكة بعد جعفر هذا ابنه عيسى بن جعفر ودامت ولايته
الى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ولم يتعرض الفاسى لموت أبيه جعفر متى
كان ليعلم من ذلك مبدأ ولاية عيسى وانما أفاد ولاية عيسى بعد أبيه لاغير
ثم ولى بعد عيسى أخوه أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى ودامت ولايته
الى أن مات في سنة ثلاثين وأربعمائة الا أن الحاكم العبيدى صاحب مصر
كان قد ولى مكة لابن عم أبى الفتوح أبى الطيب في المدة التى خرج فيها
أبو الفتوح عن طاعة الحاكم ثم أعاده الى مكة بعد أن راجع طاعته وقيل
ان أخا لابي الفتوح كان خرج عليه بمكة فى زمن عصيانه والله أعلم بحقائق
الامور وكان عصيان أبي الفتوح في سنة احدى وأربعمائة وقيل في سنة اثنين

وذكر ابن خلدون أن أبا الفتوح ولي المدينة الشريفة أيضا وأزال عنها امرة بني المهنا الحسنيين وذلك في سنة تسعين بتقديم المثناة وثلاثمائة ثم ولي مكة بعد أبي الفتوح ابنه شكر بن أبي الفتوح واستمرت ولايته الى أن مات في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ونقل ابن خلدون انه ملك المدينة وجمع بين الحرمين ويقال انه ملك ثلاثا وعشرين سنة ومات ولم يعقب ولا ولد له قط وانما صار أمر مكة بعده الى عبد كان له كذا ذكره ابن حزم ونقل صاحب المرآة ما يقتضي أن شكرا كانت له ابنة والله أعلم ثم ولي مكة بعد شكر بنو أبي الطيب الحسينيون وهم الذين يقال لهم السليمانيون من جماعة شكر ولم يذكر الفاسي عدتهم ثم ولي مكة علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن وذلك في سنة خمس وخمسين وأربعمائة في شهر ذي الحجة وأظهر العدل بها واستعمل الجميل مع أهلها وكثر الامن وطابت به قلوب الناس ورخصت الاسعار في أيامه وكثرت له الادعية وكسا البيت ثوبا أبيض ورد الى البيت الحلي الذي أخذه بنو أبي الطيب الحسينيون لما ملكوا بعد شكر وأقام بمكة الى يوم عاشوراء وقيل الى ربيع الاول سنة ست وخمسين وعاد الى اليمن ثم ولي بعده نائبا أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسي بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب الحسني وسببه أن الصليحي لما دخل مكة كان الاشراف بنو أبي الطيب قد أبعدوا عن مكة وجمعوا عليه ثم راسلوه بان يخرج من مكة ويؤمر بها من يختاره منهم وكان قد وقع في عسكره الوباء فمات

منهم سبعمائة رجل ولم يبق معه الا نفر يسير فاختار محمدا هذا ابن جعفر
ابن أبى هاشم وأقامه نائبا عنه وأمره على مكة واستخدم له عساكر وأعطاه
مالا وسلاحا وخمسين فرسا ثم سار الى اليمن فجاء الاشراف بنو سليمان ومعهم
حمزة بن أبى وهاس وحاربوا محمد بن جعفر فحاربهم ولم يكن له بهم طاقة
فخرج هاربا من مكة فتبعوه فكر راجعا وضرب واحدا منهم ضربة قطع
بها درعه وفرسه وجسده ووصل الى الارض فرجعوا عنه وكان تحته فرس
يقال لها دنانير لاتكل ولاتمل ومحمد بن جعفر هذا هو أحد أمراء مكة
المعروفين بالهواشم وقيل انه كان صهر شكر بن أبى الفتوح على ابنته
والله أعلم بذلك ثم عاد محمد بن جعفر الى مكة بعد خروجه واستمر
متوليًا الى ان مات فى سنة سبع وثمانين بتقديم السين وأربعمائة وهو
أول من أعاد الخطبة العباسية بمكة بعد ان قطعت نحو مائة سنة وقد
بالغ ابن الاثير فى ذمه فقال لما ان ذكر وفاته ما له ما يمدح به انتهى
قال الفاسى رحمه الله ولعل ذلك لنهبه الحاج وقتله منهم خلقا كثيرا فى
سنة ست وثمانين ولاخذه حلية الكعبة في سنة اثنين وستين والله أعلم
انتهى وذكر ابن خلدون ان امرته على مكة كانت ثلاثين سنة وانه ملك
المدينة والله أعلم ثم ولى مكة بعده ابنه قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي
هاشم مدة يسيرة ثم وليها أصبهبد بن سارتكين بسين مهملة ثم الف ثم
راء مهملة ثم مثناة فوقية ثم كاف ثم مثناة تحتية ثم نون وكان استيلاؤه عنوة
فى أوائل سنة سبع وثمانين بتقديم المهملة فهرب منها قاسم بن محمد وأقام
أصبهبد بمكة الى شوال فجمع قاسم عسكرا وكبس أصبهبد بعسفان

فانهزم أصبهبذ الى الشام ودخل قاسم مكة ودامت ولايته عليها الى ان مات فى سنة ثمان عشر وخمسمائة وذكر ابن خلدون ان امرته نحو ثلاثين سنة على الاضطراب ثم ولى مكة بعده ابنه فليتة وقيل أبو فليتة واستمرت ولايته حتى مات فى سنة سبع وعشرين بتقديم المهملة وخمسمائة ثم ولى مكة بعده ابنه هاشم بن فليتة واستمر متوليا الى ان مات فى سنة تسع وأربعين بتقديم المثناة الفوقية وخمسمائة وقيل في سنة خمسين وقيل احدى وخمسين ولم يختلف عليه اثنان مدة ولايته ثم ولى بعده ابنه قاسم بن هاشم بن فليتة واستمر الى سنة ست وخمسين ثم فارق مكة متخوفا من أمير الحاج العراقى وذلك وقت الموسم لاساءته السيرة في مكة ثم ولى مكة بعده عمه عيسى بن فليتة ثم عاد قاسم الى مكة واستولى عليها فى شهر رمضان سنة سبع وخمسين بتقديم السين على الموحدة وأقام بها أياما يسيرة ثم قتل واستقر الامر بعده لعمه عيسى ودامت ولايته الى ان مات فى سنة سبعين بتقديم السين وخمسمائة ثم ولى بعد عيسى ابنه داود بن عيسى بن فليتة بعهد من أبيه واستمر الى ليلة النصف من رجب احدى وسبعين ثم وليها أخوه مكثر بن عيسى واستمر الى موسم هذه السنة ثم عزل وجرى بينه و بين أمير الركب العراقى حرب شديد فى ذلك الموسم كان الظفر فيه لطاستكين ثم ولى مكة فى الموسم المذكور الامير قاسم بن مهنا الحسني بعد عزل مكثر وأقام متوليا نحو ثلاثة أيام ثم انه رأى من نفسه العجز عن القيام بامرة مكة فاعاد أمير الحاج داود ابن عيسى المذكور آنفا الى امرة مكة وشرط عليه أن يسقط جميع

المكوس ولم تعلم ولايته هذه الى متى استمرت غير انه بعدها كان يتداول
هو وأخوه مكثر امرة مكة ثم انفرد بها مكثر عشر سنين متوالية آخرها
سنة سبع بتقديم السين وتسعين بتقديم المثناة الفوقيةوخمسمائة وهو آخر
أمراء مكة المعروفين بالهواشم غير ان في ولايته أوفى ولاية أخيه داود
على الشك كان ممن ولى مكة سيف الاسلام طغتكين بطاء مهملة ثم
غين معجمة ثم مثناة فوقية ابن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف
ابن أيوب وذلك فى سنة احدى وثمانين وخمسمائة لانه قدم مكة في هذه
السنة ومنع من الآذان بحى على خير العمل وقتل جماعة من العبيد
المفسدين وهرب منه أمير مكة الى قلعته بابي قبيس وشرط على العبيد
أن لا يؤذوا الحاج وضرب طغتكين الدراهم والدنانير بمكة باسم أخيه
السلطان صلاح الدين ثم ولي مكة بعد مكثر أبوعز بز قتادة بن ادريس
ابن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد
الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن
على بن أبي طالب الحسنى وذلك فى سنة سبع بتقديم السين وتسعين بتقديم
المثناة وخمسمائة وقيل في سنة ثمان وتسعين وقيل في سنة تسع وتسعين
وخمسمائة ودامت ولايته الى ان مات فى سنة سبع عشرة بتقديم
السين وقيل في سنة ثمان عشرة وستمائة فتكون ولايته عشرين سنة
أو ما يقاربها للاختلاف فى مبدأ ولايته وكانت ولايته ممتدة الى ينبع
والى حلى وكان يحارب صاحب المدينة الشريفة ويغلب كل منهما
الآخر حينا وكان ممن ولى مكة بالعقد لا بالمباشرة في أيام قتادة اقباش بن

عبد الله الناصري فتى الخليفة الناصر لدين الله العباسي لان مولاه عقد له على الحرمين وامرة الحج لعظم مكانته عنده ثم ولي مكة بعده ابنه حسن ابن قتادة وقتل بعض عسكره اقباش المتقدم آنفا لانهم اتهموه انه واطأ راجح بن قتادة على أن يوليه عوضاً عن أخيه حسن واستمر حسن المذكور الى سنة تسع عشرة بتقديم المثناة وقيل الى سنة عشرين وستمائة ثم وليها بعده الملك المسعود يوسف الملقب اقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب اليمن لانه صار الى مكة وتحارب هو وحسن بن قتادة بالمسعى فانهزم حسن وهرب من مكة ونهبها عسكر الملك المسعود الى وقت العصر ودامت ولايته عليها الى ان مات في سنة ست وعشرين وستمائة

وكان ممن ولي مكة نيابة الملك المسعود رجلان الاول نور الدين عمر ابن على بن رسول الذى ولي السلطنة ببلاد اليمن بعد ذلك فقصده حسن ابن قتادة بجيش جاء به من ينبع فتحاربا فانكسر حسن والثاني الامير حسام الدين ياقوت بن عبد الله المسعودى وذلك في سنة خمس وعشرين وستمائة ثم ولي مكة بعد الملك المسعودي والده الملك الكامل واستمر الى شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين بتقديم المثناة الفوقية وستمائة ثم وليها نائبه على اليمن نور الدين عمر بن على بن رسول بعد ان بويع بالسلطنة فى بلاد اليمن وذلك انه بعث جيشا الى مكة ومعهم راجح بن قتادة الحسني أخو حسن المتقدم فاخرجوا متوليها الامير طغتكين نائب الملك الكامل فهرب الى ينبع فبلغ ذلك الملك الكامل فجهز الى طغتكين

جيشا كثيفا مقدمهم الامير فخر الدين بن الشيخ على ماقيل فوصل الى طغتكين ودخل الي مكة مع الجيش فاخرجوا منها راجحا ومن معه من أهل اليمن واستولى طغتكين على مكة وقتل خلقا كثيرًا من أهل مكة لخذلانهم له فى النوبة الاولى وكان استيلاؤه في رمضان سنة تسع وعشرين بتقديم المثناة وستمائة ثم وليها مع راجح بن قتادة عسكر صاحب اليمن بغير قتال وذلك فى صفر سنة ثلاثين وستمائة (أقول) لم يبين الفاسى من هو صاحب اليمن والذى يظهر انه الرسولى لان الكلام الآتي يدل على ذلك انتهى ثم وليها في آخر سنة ثلاثين عسكر الملك الكامل وكان المقدم عليه أميرا يعرف بالزاهد وأقام أميرا بمكة يعرف بابن مجلى بميم ثم جيم ثم وليها في سنة احدى وثلاثين عسكر الملك المنصور صاحب اليمن مع راجح بن قتادة (أقول) لم يبين الفاسي من هو الملك المنصور وهو عمر الرسولى لانه بعد أن بويع بالسلطنة لقب بالمنصور انتهى ثم وليها نيابة عن الملك الكامل أميره المسمى بجفريل بجيم ثم فاء ثم راء مهملة ثم مثناة تحتية ثم لام وذلك ان الملك الكامل كان قد جهز عسكرا كبيرا فيه الف فارس وقيل تسعمائة وقيل خمسمائة وخمسة أمراء مقدمهم جفريل المذكور واستمرت ولاية جفريل على مكة الي سنة خمس وثلاثين وستمائة ثم وليها الملك المنصور صاحب اليمن في هذه السنة وسار اليها بنفسه ودخلها في رجب بعد أن هرب جفريل ومن معه وكان مع المنصور الف فارس ودامت ولايته الى سنة سبع وثلاثين بتقديم السين ورتب بمكة مائة وخمسين فارسا وجعل عليهم أميرين ابن الوليد

وابن التعزى ثم وليها الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل صاحب مصر لانه جهز اليها جيشاً الف فارس معهم الشريف شيحة بشين معجمة مكسورة ثم مثناة تحتية ثم حاء مهملة ثم هاء الوقف صاحب المدينة الشريفة فاستولوا على مكة بغير قتال وذلك فى سنة سبع وثلاثين ثم وليها عسكر الملك المنصور صاحب اليمن ولما قدم العسكر المذكور هرب الشريف شيحة ومن معه ثم وليها ثانيا عسكر الملك الصالح صاحب مصر في سنة ثمان وثلاثين وكان ممن وليها للملك الصالح الامير شهاب الدين أحمد ابن التركمانى ثم وليها الملك المنصور صاحب اليمن وذلك في سنة تسع وثلاثين وسار بنفسه ودخل مكة فى رمضان بعد أن فارقها عسكر الملك الصالح خوفا منه ودامت ولايته الي ان مات وأمر على مكة فى هذه السنة مملوكه الامير فخر الدين السلاح وابن فيروز وجعل الشريف أبا سعد بن على بن قتادة الحسنى بالوادى مساعدا لعسكره بعد أن استدعاه من ينبع وأحسن اليه واستمر مملوكه السلاح على نيابة مكة الي سنة ست وأربعين وستمائة ثم ولى فيها ابن المسيب وعزل السلاح ثم ولي مكة الشريف أبو سعد بن على بن قتادة بعد أن قبض على ابن المسيب في ذى القعدة وقيل فى شوال سنة سبع وأربعين بتقديم السين واستمر على مكة الي أن قتل فى أوائل شعبان سنة احدى وخمسين وستمائة وقيل فى رمضان ثم وليها بعد قتله جماز بن حسن بن قتادة وهو أحد قتلة أبي سعد ودامت ولايته الي آخر يوم من ذى الحجة سنة احدى وخمسين ثم وليها بعد جماز عمه راجح بن قتادة الذى كان يليها مع عسكر

صاحب اليمن واستمر متوليا الى شهر ربيع أول سنة اثنين وخمسين وستمائة
ثم وليها بعده ابنه غانم بن راجح واستمر الى شوال من السنة المذكورة
ثم وليها عمه ادريس بن قتادة وأبو نمى بن أبي سعد بن علي بن قتادة
واستمرت ولايتهما الى الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة اثنين
وخمسين ثم وليها المبارز على بن الحسن بن برطاس بموحدة ثم راء وطاء
مهملتين فالف فسين مهملة من قبل الملك المظفر بن المنصور صاحب اليمن
لانه جهز ابن برطاس المذكور الى مكة فى عسكر ومائتي فارس فتحارب
هو وادريس وأبو نمى ومن معهما فكان الظفر لابن برطاس فاستمر على
مكة الى يوم السبت لاربع بقين من المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة فوقع
الحرب بين ابن برطاس والامير ابن ادريس وابن نمى فى الشهر المذكور
وسفكت الدماء بالحجر من المسجد الحرام وأسر ابن برطاس ففدى نفسه
ثم خرج بمن معه من مكة واستمر الشريفان على مكة ثم انفرد أبو نمى
بالولاية فى سنة أربع وخمسين لذهاب عمه ادريس الى أخيه راجح بن
قتادة ثم عاد ادريس لمشاركة أبي نمي ثم ولى مكة أولاد حسن بن
قتادة وأقاموا ستة أيام وقبضوا على ادريس ثم جاء أبو نمى وأخرجه منها
ولم يقتل منهم أحدا واستمر أبو نمى وادريس شريكين في الامرة الى
سبع وستين بتقديم السين وستمائة ثم انفرد أبو نمي بالامرة مدة يسيرة
فى هذه السنة ثم عاد شريكا لادريس فى سنتهما هذه واستمرت ولايتهما
الى ربيع الاول سنة تسع وستين وستمائة بتقديم المثناة الفوقية ثم انفرد
فيها ادريس نحو أربعين يوما ثم قتل فى السنة المذكورة بخليص فوليها

أبو نمى واستمر الى سـنة سبعين وستمائة بتقديم السين ثم وليها فى هذه السنة فى صفر الشريف جماز بن شيحة صاحب المدينة وغانم بن ادريس ابن حسن بن قتادة صاحب ينبع شريكين ثم عاد أبو نمى الى ولايتها بعد أربعين يوما من سنة سبعين (أقول) مقتضى هذا الكلام ان ولاية جماز وغانم المذكورين انما هى أيام يسيرة اما عشرة أو أقل لان أبا نمي كان مالكا لمكة جميع شهر محرم سنة سبعين بلا ريب كما تعطيه العبارة وتكون ولاية جماز وغانم على تقدير انها عشرة أيام أول يوم من صفر سنة سبعين والا كانت أقل ويكون عود أبي نمى في الحادى عشر من صفر من السنة لانه بعد أربعين يوما والله الموفق واستمر أبو نمى على مكة فى عوده هذا بعد أن أخرج جمازا وغانما الى سنة سبع وثمانين وستمائة بتقديم السين ثم عاد جماز بن شيحه المذكور الى ولاية مكة فى أواخر هذه السنة وأقام مدة يسيرة ثم عاد أبو نمى واستمر الى قبل وفاته بيومين فعهد الى ابنيه حميضة ورميثة بالامرة بعده وكانت وفاته فى يوم الاحد رابع صفر سنة احدى وسبعمائة فكانت امرته على مكة شريكا ومستقلا نحو خمسين سنة واسـتقلاله بالامرة يزيد على ثلاثين سنة شيئا يسيرا وكان ممن ولى مكة فى ولاية أبى نمي وادريس من قبل السلطان الظاهر بيبرس صاحب مصر أمير يقال له شمس الدين مروان وذلك بسؤال أبى نمي وعمه في ذلك ليرجع أمرهمـا اليه وكان ذلك فى سنة سبع وستين وستمائة وفيها حج السلطان بيبرس ثم عزل مروان عن ذلك في سنة ثمان وستين وستمائة ثم وليها بعد موت أبي نمى ابناه حميضة ورميثة المذكوران

وذلك في سنة احدى وسبعمائة في صفر منها واستمرا الى موسمها فقبض
عليهما ثم وليها عوضهما أخواهما أبو الغيث وعطيفة وقيل بل محمد بن
ادريس بن قتادة عوض عطيفة وكان ذلك بمباشرة أمير الحاج بيبرس
الجاشنكير بجيم ثم الف فشين معجمة فنون ثم كاف ومثناة تحتية وراء
مهملة الذى ولى السلطنة بعد ذلك بمصر فى سنة ثمان وسبعمائة وكان فعله
هذا تأديبا لحميضة ورميثة لاساءتهما الى أخويهما أبى الغيث وعطيفة
ثم عاد حميضة ورميثة الي امرة مكة فى سنة ثلاث وسبعمائة وقيل في
التى بعدها بولاية من الملك الناصر صاحب مصر واستمرا متوليين الى
موسم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ثم وليها أبو الغيث بن أبي نمي من
قبل الملك الناصر أيضاً فحاربه حميضة فظفر بأبى الغيث فقتله واستمر على
مكة الي شعبان سنة خمس عشرة وسبعمائة ثم وليها رميثة في السنة
المذكورة من الناصر واستمر الي انقضاء الحج من سنة سبع عشرة أو أول
ثمان عشرة ثم وليها حميضة واستمر الى أوائل سنة تسع عشرة ثم
وليها عطيفة بن أبي نمى من قبل الملك الناصر ودامت ولايته على مكة
الى أوائل سنة احدى وثلاثين وسبعمائة غير أن أخاه رميثة في بعض
السنين المذكورة شاركه فى الامرة ثم انفرد رميثة بالامرة وذلك في
ربيع الآخر أو جمادى من سنة احدي وثلاثين واستمر الى سنة أربع
وثلاثين ثم شاركه فيها أخوه عطيفة بلا قتال ثم انفرد رميثة أيضاً
بالامرة فى سنة أربع وثلاثين بعد رحيل الحاج واستمر الى موسم سنة
خمس وثلاثين ثم عاد عطيفة لمشاركته فى هذا التاريخ واستمر الي

أثناء سنة ست وثلاثين فحصلت بينهما منافرة فانفرد عطيفة بمكة وأقام رميثة بالجديد ثم اصطلحا في سنة سبع وثلاثين بتقديم السين ثم انفرد رميثة فى هذه السنة بالامرة واستمر الى سنة ست وأربعين وسبعمائة ثم وليها عجلان بن رميثة بمفرده من قبل الملك الصالح اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم من أخيه الكامل شعبان وذلك بعد وصول عجلان الى القاهرة فعاد متوليا فى شهر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين في حياة أبيه ثم مات أبوه في ذى القعدة من هذه السنة واستمر الى سنة ثمان وأربعين ثم وليها معه أخوه ثقبة ودامت ولايتهما الى سنة خمسين وسبعمائة ثم استقل ثقبة بالامرة فى سنة خمسين لغيبة عجلان بمصر ثم وليها عجلان فى خامس شوال سنة خمسين واستمر الى موسم سنة اثنين وخمسين ثم وليها ثقبة بمفرده في هذه السنة فلم يمكنه عجلان ثم اتفقا على المشاركة ثم استقل ثقبة بالامرة فى أثناء سنة ثلاث وخمسين بعد ان قبض على أخيه عجلان واستمر الى أن قبض عليه فى موسم سنة أربع وخمسين ثم وليها أخوه عجلان بمفرده واستمر الي تاسع عشر المحرم من سنة سبع وخمسين بتقديم السين ثم انفرد ثقبة بالامرة فى ثالث عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثم وليها عجلان بمفرده في موسم هذه السنة ثم اشتركا في الامرة فى موسم سنة ثمان وخمسين واستمرا الى ان عزلا في أثناء سنة ستين وسبعمائة ثم وليها أخوهما سند وابن عمهما محمد بن عطيفة بن أبي نمى وكان محمد بمصر فوصل بعسكره الى مكة فى جمادى الآخرة سنة ستين واستمر الي سنة احدى وستين

وسبعمائة فزالت ولاية محمدبن عطيفة ثم اشترك تقية مع أخيه سند في الامرة الى أن كان شهر شوال سنة اثنين وستين وسبعمائة ثم ولى مكة في هذه السنة السيد عجلان بن رميثة وكان معتقلا بمصر فاطلق وأخوه تقية بسؤال السيد عجلان له فى ذلك ثم خرج عجلان من مصر وكان تقية مريضا فلما قارب مكة لم يدخلها حتى مات تقية فى شهر شوال سنة اثنين وستين فاشترك معه ابنه أحمد بن عجلان حال دخوله وجعل له ربع المتحصل يصرفه فى خاصة نفسه وعلى عجلان كفاية العسكر ثم مات سند عقيب ذلك ودامت ولاية عجلان وابنه أحمد الى سنة أربع وسبعين ثم انفرد أحمد بن عجلان بالامرة بسؤال أبيه عجلان له بشروط شرطها عليه أبوه منها أن لا يقطع اسمه فى الخطبة والدعاء على زمزم الي غير ذلك فوفي له أحمد بذلك واستمر أحمد منفردا بالامرة الى سنة ثمانين وسبعمائة ثم وليها معه ابنه محمد بن أحمد بسؤال أبيه ولم يظهر لولايتـه أثر لصغره واستبداد والده بالامر واستمرا الى أن مات أحمد بن عجلان في حادى عشرين شعبان سنة ثمان وثمانين ثم استقل محمدبالامرة الى أن فاز بالشهادة فى مستهل شهر ذي الحجة من هذه السنة وسببه انه حضر لخدمة المحمل في يوم العرضة على العادة وكان عمه كبيش أشار اليه بعدم الحضور لانه كان مدبر أموره فلم يسمع منه فقتل وكان أمر الله قدرا مقدورا ثم وليها بعد قتل محمد عنان بن مغامس بن رميثة ابن أبي نمى وأشرك معه في الامرة بنى عمه أحمد بن تقية وعقيل بن مبارك بن رميثة وأخاه على بن مبارك وكان يدعى لهولاء الثلاثة معـه

على زمزم واستمر عنان وشركاؤه الى شهر شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة فبلغ السلطان ماحصل من الفتن وعدم الامن بسبب تخبيط كبيش على عنان فعزل عنانا فى هذا التاريخ ثم وليها بعد عزله على بن عجلان فلم يمكنه عنان من مكة فاجتمع آل عجلان ومعهم كبيش واقتتلوا فقتل كبيش وغيره وانهزم على بن عجلان وتوجه الى مصر ودخل عنان مكة واستولى عليها الى موسم سنة تسع وثمانين ثم عاد على بن عجلان شريكا لعنان بشرط حضور عنان العرضة لخدمة المحمل فلم يحضره خشية من آل عجلان ثم سافر الى مصر فى أثناء سنة تسعين فانفرد على بن عجلان بالامرة الى أثناء سنة اثنين وتسعين ثم شاركه عنان بولاية من الملك الظاهر برقوق وكان الشرفاء مع علي والقواد مع عنان فلم يتم أمرهما كما ينبغى واستمرا كذلك الى الرابع والعشرين من صفر سنة أربع وتسعين وسبعمائة ثم انفرد بها على بن عجلان ثم استدعاه السلطان هو وعنانا للحضور الى مصر فتوجه عنان أولا ثم لحقه على وترك على مكة عوضه أخاه محمد بن عجلان ثم عاد على الى مكة في موسم سنة أربع وتسعين منفردا بولاية مكة واستمر الى أن استشهد في تاسع شوال سنة سبع بتقديم السين وتسعين وكان فى غالب ولايته مقلوبا مع الاشراف وأفضى الحال الى أن قل الامان بمكة ونواحيها وهربت التجار الى ينبع ولحق أهل مكة بسبب ذلك شدة فلما قتل قام بأمر مكة أخوه محمد واستمر الى الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ثم ولى مكة السيد الشريف حسن بن عجلان وكان قدم مصر سنة سبع

وتسعين فاعتقله السلطان فلما قتل أخوه أطلقه وأنعم عليه بولاية مكة فقدم مكة فى السنة المذكورة وضبط أحوال البلاد وحسم مواد الفساد وأخذ بثار أخيه على من الاشراف في الحرب الذى كان بالزيارة بوادى مر في يوم الثلاثاء خامس عشرين شوال من السنة المتقدمة وكان عدة من قتل من الاشراف وجماعتهم نحو أربعين رجلا ولم يقتل من جماعة السيد حسن الا واحد أو اثنان واستمر السيد حسن منفردا بالولاية الى سنة تسع بتقديم المثناة وثمانمائة ثم أشرك معه فى الامرة ابنه السيد بركات واستمر الى أثناء سنة أحد عشر وثمانمائة ثم سأل لابنه السيد أحمد بن حسن في ان يكون شريكا لاخيه السيد بركات وتكون الامرة بينهما فاجيب الى ذلك وولى السيد حسن نيابة السلطنة بجميع بلاد الحجاز وصار يدعى له فى الخطبة بمكة وعلى زمزم ودامت ولايتهم الى أثناء صفر سنة ثمانية عشر وثمانمائة ثم ولى ذلك السيد رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة ولم يصل الى مكة الا في مستهل ذى الحجة من السنة المذكورة واستمر متوليا الى ثامن رمضان سنة تسع عشرة ثم عاد السيد حسن بن عجلان لامرة مكة بمفرده دون ولديه فخرج رميثة من مكة بعد وقوع المحاربة بالمعلاة بينه وبين عسكر عمه السيد حسن على كره من السيد حسن وكان الظفر لعسكر السيد حسن واستمر السيد حسن متوليا الي أول سنة أربع وعشرين وثمانمائة ثم شاركه ابنه السيد بركات بولاية من الملك المظفر أحمد بن الملك المؤيد صاحب مصر ودامت ولايتهما الى أوائل سبع بتقديم السين وعشرين وثمانمائة ثم ولي مكة

السيد علي بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسني بمفرده بولاية من قبل
الملك الاشرف برسباى وكان بمصر فقدم مكة صحبة العسكر الاشرفي
واستمر متوليا الي أوائل الحجة سنة ثمان وعشرين ثم أعاد الاشرف
برسباى السيد حسن الى امرة مكة ورضى عنه وتوجه السيد حسن بعد
انقضاء الحج الى مصر فنال من السلطان اكراما كثيرا وأقره على امرة
مكة واستمر بمصر الى أن مرض بها وتوفى في سادس عشر جمادى
الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة بعد أن كان تجهز للسفر الى مكة
رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه ثم وليها السيد بركات بن حسن بعد
وفاة أبيه وكان السلطان قد استدعاه الى مصر فقدم عليه فى ثالث رمضان
ففوض اليه امرة مكة عوضا عن أبيه في السادس والعشرين من رمضان
المذكور واستمر أخوه السيد ابراهيم نائبا عنه ولبس خلعة النيابة بمصر
ثم توجه السيد بركات الى مكة فوصلها فى أوائل العشر الاوسط من
ذي القعدة هذا آخر معنى كلام الفاسى فى شأن أمراء مكة ثم قال
رحمه الله ماصورته هذا ما علمناه من خبر ولاة مكة فى الاسلام وقد
أوعبنا فى تحصيل ذلك الاجتهاد وماذكرناه من ذلك غير واف بكل
المراد لانه خفى علينا جماعة من ولاة مكة وخصوصا ولاتها من زمن
المعتضد الى ابتداء ولاية الاشراف فى آخر خلافة المطيع العباسى وخفى
علينا كثير من تاريخ ابتداء ولاية كثير منهم وتاريخ انتهائها ومع ذلك
فهذا الذى ذكرناه من ولاة مكة ليس له في كتاب نظير والذى لم
نذكره من الولاة هو اليسير وسبب الاخلال فى ذلك والتقصير انا لم نر

مؤلفا في هذا المعنى فنستضيء به لعدم العناية بتدوين ذلك انتهى كلامه
واستمر السيد بركات بعد موت الفاسى على ولاية مكة الى أثناء سنة
خمس وأربعين وثمانمائة فعزل عن ذلك ثم وليها أخوه السيد على بن
حسن وكان بالقاهرة فوصل مكة يوم السبت مستهل شعبان واستمر
متوليا الى رابع شوال سنة ست وأربعين فقبض عليه وعلى أخيه ابراهيم
ثم وليها أخوه أبو القاسم بن حسن فقدم من مصر متوليا ودخل مكة في
يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ست وأربعين وثمانمائة
واستمر على ولايته الى أوائل سنة خمسين فعزل ثم أعيد السيد بركات
ابن حسن الى ولاية مكة ودامت ولايته الى ان مرض وتوعك بدنه
وذلك سنة تسع وخمسين بتقديم المثناة الفوقية وثمانمائة فسأل نائب جدة
الاميرجاني بك الطاهري بان يرسل الى السلطان يسأله فى ولاية امرة
مكة لولده السيد محمد عوضا عن أبيه فاجاب السلطان الى ذلك فقبل
وصول الخبر توفى السيد بركات فى عصر يوم الاثنين تاسع عشر شعبان
سنة تسع وخمسين بارض خالد بوادي مر وحمل على أعناق الرجال الى
مكة ودفن بها فى صبيح يوم الثلاثاء لعشرين من شعبان فلما كان عصر
اليوم المذكور وصل قاصد من الديار المصرية بمرسوم مؤرخ بسادس
عشر رجب مضمونه ولاية السيد محمد امرة مكة فدعي له على زمزم بعد
المغرب من ليلة الاربعاء حادي عشر شعبان ثم وصل السيد محمد الى
مكة ليلة الجمعة سابع رمضان وقرئ مرسومه فى صبحها ثم كان رابع
شوال من السنة المذكورة وصل الى السيد محمد كتاب من السلطان

بالعزاء في والده وتوقيع باستمراره في الامرة مؤرخ بشهر رمضان واستمر
السيد محمد رحمه الله على ولاية مكة ودانت له البلاد وأطاعه العباد
وأظهر العدل والاحسان والشفقة والرأفة على الرعية والالتفات فى أمور
المسلمين وعدم الغفلة عن ذلك فبسبب ذلك طالت مدته وحمدت سيرته
وطابت سريرته وكانت مدة ولايته ثلاثا وأربعين سنة ونصف سنة
الا خمسة أيام أو نحوها مع مشاركة ولده السيد بركات على عوائدهم
ثم انتقل الى رحمة الله تعالى فى الحادي والعشرين من شهر محرم الحرام
سنة ثلاث وتسعمائة بوادى الابهار وحمل الى مكة ودفن بها ثم وليها
بعده ولده السيد بركات من قبل الملك الناصر محمد بن قايتباى فى رابع
ربيع الآخر من سنة ثلاث واستمر على ولايتها الى ان كان موسم سنة
ست وتسعمائة فوليها أخوه السيد هزاع بن محمد بعد محاربة وقعت
بينه وبين أخيه السيد بركات في الموسم المذكور بمحل يقال له وادى
الجموم بمر الظهران فانهزم السيد بركات ودخل السيد هزاع مكة وحج
بالناس ثم خرج منها بعد انقضاء الحج الى ينبع خوفا من أخيه بركات
لقلة عسكره فعاد السيد بركات الى مكة واستمر بها الى جمادي الثانية عام
سبع بتقديم السين وتسعمائة فوصل السيد هزاع من ينبع بعسكر عظيم
وتحارب هو وأخوه بركات محاربة ثانية بمحل يقال له طرف البرقا فانهزم
السيد بركات ثم وليها السيد هزاع ثانيا واستمر الى خامس عشر رجب
ثم توفى الى رحمة الله تعالى ثم عادالسيد بركات الى مكة واستمرت الفتن
والشرور بينه وبين أخيه السيد أحمد جازان وتحاربا مرارا وكان ابتداء

ذلك من أواخر ذي الحجة عام سبع وتسعمائة الى ان كان يوم السبت
الخامس والعشرين من شهر شوال عام ثمان وتسعمائة فوصل السيد
جازان بعسكر كبير من ينبع من بنى ابراهيم وغيرهم ووقع الحرب بينه
وبين أخيه السيد بركات فانهزم السيد بركات ثم وليها السيد جازان
ودخل مكة في يوم السبت المذكور ونهب عسكره مكة وفعلوا أفعالا
قبيحة وانتهكوا حرمة البيت وجري منهم على مكة وأهلها أمور شنيعة
ليس هذا محل ذكرها ولا نحن بصددها واستمر السيد جازان بمكة الى
آخر ذى القعدة من السنة المذكورة فبلغه وصول التجريدة من قبل
السلطان الغوري وباشها الامير الكبير المعروف بقيت الزجبي بالجيم ثم
الموحدة بسبب مافعله السيد جازان من نهب مكة ونهب الحاج الشامى
والمصرى فخرج من مكة هاربا فعاد السيد بركات الى مكة وواجه أمير
التجريدة فقبض عليه وتوجه به الى القاهرة فى أوائل سنة تسع وتسعمائة
ثم عاد السيد جازان الى مكة واستمر بها الى يوم الجمعة عاشر رجب سنة
تسع فقتله الاتراك الشرا كسة بالمطاف ثم وليها بعده السيد حميضة بن
محمد واستمر الى أواخر المحرم أو أوائل صفر من سنة عشر وتسعمائة فعزل
ثم وليها أخوه السيد قايتباي بن محمد باشارة من أخيه السيد بركات
واستمر متوليا موافقا لاخيه السيد بركات مستضيئا برأيه الى ان توفى
الى رحمة الله تعالى فى يوم الاحد الحادى والعشرين من صفر عام ثمان
عشرة وتسعمائة بارض حسان بوادي مر وحمل الى مكة ودفن بها ثم
استولى السيد بركات بعد موته على مكة الى شهر شعبان من هذه السنة

ثم أرسل ولده مولانا السيد أبا نمى بن بركات الى الديار المصرية فوصلها وقابل السلطان قانصوه الغورى فأكرمه وعظمه وأنعم عليه بامرة مكة ثم عاد اليها شريكا لابيه وكان وصوله فى أواخر ذى القعدة الحرام بين يدي الحاج من السنة المذكورة واستمر كذلك الى ان كان عام ثلاث وعشرين فاستولي مولانا الخنكار الاعظم سليم خان بن عثمان على الديار الشامية والمصرية والحرمين الشريفين وجهز قاصدا الى مكة للسيد بركات والسيد أبى نمى باستقرارهما على امرة مكة فتجهز حينئذ مولانا السيد أبو نمى وسافر الى القاهرة وقابل السلطان سليما فأكرمه واحترمه وأقره هو ووالده على امرة مكة ثم عاد الى مكة واستمر شريكا لابيه الى أن أذن الله بوفاة مولانا السيد بركات فى أثناء ليلة الاربعاء الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام عام أحد وثلاثين وتسعمائة رحمه الله وأسكنه جنته ثم وليها بعده ابنه السيد أبو نمى أدام الله أيامه بمفرده ووصلت الاحكام الخنكارية السليمانية بولايته لامرة مكة فى أواخر سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة فاطمأنت به الخواطر وقرت النواظر واستمر أدامه الله ومتع المسلمين بحياته منفردا بالولاية الى عام ست وأربعين وتسعمائة ثم وليها ابنه مولانا السيد أحمد شريكا لوالده في هذا العام بعد وصوله الى الديار الرومية ومقابلته لمولانا الخنكار الاعظم والخاقان الاكرم الملك المظفر سليمان خان خلد الله ملكه وأدام أيامه فقوبل بالاكرام والرعاية والاحترام وعاد الى مكة في أول ربيع الاول عام سبع وأربعين وتسعمائة واستمر شريكا لوالده مولانا السيد أبي نمى الى عامنا هذا وهو

عام خمسين وتسعمائة متع الله بحياتهما وأدام أيامهما وخلدهما خلود الدهر وأمدهما بالتأييد والنصر آمين هذا ماوقفت عليه في ذكر أمراء مكة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا والله تعالى أعلم

الخاتمة

نسأل الله حسن الخاتمة

﴿ في ذكر الاماكن المعظمة والمشاهد المكرمة ﴾

التى تقصد زيارتها المشهورة بالفضل بمكة شرفها الله تعالى وحرمها وضواحيها من المواليد والدور والمساجد والجبال والمقابر وماأشبه ذلك

أما المواليد فمنها وهو أجلها مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنبدأ به وهو بمكة في المكان المعروف بسوق الليل مشهور بمولد النبي صلى الله عليه وسلم وكان عقيل بن أبي طالب قد استولى عليه زمن الهجرة وفيه وفي غيره أشار صلى الله عليه وسلم بقوله في حجة الوداع وهل ترك لنا عقيل من ظل أو منزل ولم يزل بيد عقيل وولده حتى باعه بعضهم من محمد بن يوسف الثقفي أخى الحجاج فادخله في داره التى يقال لها البيضاء ولم يزل كذلك حتى حجت الخيزران أم الخليفتين موسى

الهـادى العباسي وأخيه هارون الرشيد فاخرجته وجعلته مسجدا يصلى فيه وكون هذا المكان مولده صلى الله عليه وسلم مشهور متوارث يأثره الخلف عن السلف وجرت العادة بمكة فى ليلة الثانى عشر من ربيع الاول فى كل عام ان قاضى مكة الشافعى يتهيأ لزيارة هذا المحل الشريف بعد صلاة المغرب في جمع عظيم منهم الثلاثة القضاة وأكثر الاعيان من الفقهاء والفضلاء وذوي البيوت بفوانيس كثيرة وشموع عظيمة وزحام عظيم ويدعى فيه للسلطان ولامير مكة وللقاضى الشافعى بعد تقدم خطبة مناسبة للمقام ثم يعود منه الى المسجد الحرام قبيل العشاء ويجلس خلف مقام الخليل عليه السـلام بازاء قبة الفراشين ويدعو الداعى لمن ذكر آنفا بحضور القضاة وأكثر الفقهاء ثم يصلون العشاء وينصرفون ولم أقف على أول من سن ذلك وسألت مؤرخى العصر فلم أجد عندهم علما بذلك ومن فضائل هذا المحل المبارك مانقله الازرقى عمن كان ساكنا به قبل ان تخرجه الخيزران انه قال والله لم يصبنا فيه منذ سكنّاه لاجائحة ولا حاجة حتى أخرجنا منه فاشتد علينا الزمان انتهى بمعناه وقد ذكر السهيلى انه صلى الله عليه وسلم ولد بالشعب وقيل بالدار التى عند الصفا التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجدا لما حجت انتهى وهو غريب ونقل مغلطاى فى سيرته ما ذكره السهيلى ثم قال ويقال ولد بالردم ويقال بعسفان انتهى بمعناه وهو أغرب والمراد بالردم ردم بنى جمح لا الذى باعلى مكة لان ذلك لم يكن الا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويعرف الآن بالمدعى ونسبة الاول

لبني جمح هو أنهم قتلوا وردم عليهم التراب هنالك ولم أقف علي تعيين محله بمكة ولا رأيت من ذكره والمعروف المشهور في مولده عليه السلام هو الاول الذي بسوق الليل ولا اختلاف فيه عند أهل مكة

(ومنها) مولد السيدة فاطمة ابنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وهو فى دار أمها خديجة رضى الله عنها بمكة في الزقاق المعروف بزقاق الحجر وسماها الطبرى دار خديجة بمعجمتين قال الازرقى وهذه الدار كان يسكنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خديجة وفيها ابتنى بها وولدت جميع أولادها وتوفيت بها ولم يزل النبى صلى الله عليه وسلم ساكنا بها حتى هاجر الى المدينة فاستولى عليها عقيل بن أبي طالب ثم اشتراها منه معاوية وهو خليفة فجعلها مسجدا وفتح فيه بابا من دار أبيه أبي سفيان التى قال فيها صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من دخل دار أبى سفيان فهو آمن انتهى وتسمى هذه الدار جميعها بمولد فاطمة وموضع مسقط رأسها معروف فيها قال الفاسى رحمه الله ولا ريب في كون فاطمة رضى الله عنها ولدت في هذه الدار انتهى وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد وبها قبة يقال لهـا قبة الوحى (١) والى جنبها موضع تزوره الناس يسمى المختبا زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يختبي فيه من الحجارة التى يرميه بها المشركون ولا أصل لذلك قال الازرقى سألت جدى ويوسف بن محمد بن ابراهيم وغيرهمـا من أهل العلم بمكة عن

(١) قال سعد الدين الاسفرايني وفي هذه القبة حفرة عند الباب يقال كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم فيها وقت نزول الوحى وجبريل يجلس في محراب القبلة

ذلك فانكروه انتهى ودار خديجة هذه أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام قاله المحب الطبري

(ومنها) مولد سيدنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو بالمحل المعروف بشعب على وهو مقابل لمولد النبي صلى الله عليه وسلم من أعلاه مما يلي الجبل مشهور عند أهل مكة لا اختلاف فيه وعلى بابه حجر مكتوب عليه (هذا مولد أمير المؤمنين على بن أبي طالب وفى هذا المحل تربي رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي هذا المحل موضع كالتنور يقال انه مسقط رأسه رضى الله عنه ونقل الجد عن سعد الدين الاسفرايني ان فى جدار هذا المحل بالزاوية حجرا يقال انه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان مولد سيدنا على رضى الله عنه في جوف الكعبة وضعفه النووى في تهذيب الاسماء واللغات

(ومنها) فيما قيل مولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وهو بأسفل مكة على طريق الذاهب الى بركة الماجن بالنون وأهل مكة يقولون ماجد بالدال وهو خطأ قال الفاسى رحمه الله ولم أر شيئا يدل بصحة ذلك بل فى صحته نظر لان هذا الموضع ليس محلا لبنى هاشم والله أعلم انتهى

ومنها غار لطيف في أعلى الجبل المجاور لضريح الشيخ عبد الكبير ابن يس الحضرمى المعروف عند أهل مكة بجبل النوبى أسفل مكة ويسمى ثبير الزنج كما سيأتى يقال ان سيدنا عمر بن الخطاب ولد به قال الفاسى ولا أعلم فى ذلك شيئا يستأنس فيه الا ان جدى لاقى القاضى

أبا الفضل النوبرى كان يزور هذا الموضع في جمع من أصحابه فى ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الاول فى كل سنة في الغالب والله أعلم بحقيقة ذلك

(ومنها) موضع بالدار المعروفة بدار أبي سعيد وتعرف أيضاً بدار الدقوق بقافين بينهما واو بالقرب من دار العجلة يقال له مولد جعفر الصادق ونقل الفاسى رحمه الله ان على بابه حجرا مكتوبا عليه هذا مولد جعفر الصادق ودخله النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال و يقال له مولد جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه والله أعلم بحقيقة ذلك انتهى

﴿ ذكر الدور المباركة ﴾

(ومنها) دار أبي بكر الصديق رضى الله عنه وهي بزقق الحجر معروف عند أهل مكة وعلى بابها حجر مكتوب فيه هذه دار صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ورفيقه في الاسفار أبى بكر الصديق وتسمى أيضا بدكان أبي بكر يقال انه كان يبيع فيه الخز وأسلم فيه جمع من الصحابة منهم على وعثمان وطلحة والزبير وفى جدار هذا المكان أثر مرفق النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا يسمى بزقاق المرفق أيضا ويقابل هذه الدار جدار فيه حجر مبارك بارز عن الحائط قليلا يتبرك الناس بلمسه يقال انه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم كلما اجتاز عليه قال الفاسى رحمه الله وهذا الحجر ان صح سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم فلعله المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ ليالى بعثت وفي الشفاء قيل انه الحجر الاسود واستبعده المحب الطبرى

(ومنها) دار خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي التى يقال

لها مولد فاطمة وقد تقدم الكلام عليها آنفاً و بيان محلها مستوفى وانما ذكرتها هنا ليعلم انها من جملة الدور المباركة وانما غلب عليها اسم المولد واشتهرت به

(ومنها) دار الارقم بن أبي الارقم المخزومى المعروف الآن بدار الخيزران المجاورة للصفا والمقصود بالزيارة المسجد الذى فيها لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان مستترا فيه في مبدأ الاسلام وفيه أسلم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب وغيرهما ومنه ظهر الاسلام وبه كان اجتماع الصحابة فله فضل كبير وهذا المسجد بنته الخيزران جارية المهدى العباسي المتقدمة آنفاً (أقول) ولعله لهذا السبب نسبت الدار اليها والله أعلم انتهى

(ومنها) دار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه التى هى الآن رباط للفقراء بالمسعى المعظم وفي جدارها أحد الميلين الاخضرين اللذين يسن الجرى بينهما حالة السعي

(ومنها) الموضع المعروف برباط الموفق واشتهر فى هذا الزمان برباط المغاربة اسكناهم به وهو أسفل مكة عند سوق باب ابراهيم قال الفاسى رحمه الله وجدت بخط جد أبي الشريف أبي عبد الله الفاسى انه سمع الشيخ أباعبدالله بن مطرف نزيل مكة الولى المشهور يقول ماوضعت يدى في حلقة هذا الرباط الا وقع فى نفسى كم ولى لله وضع يده في هذه الحلقة ثم قال وبلغنى ان الشيخ خليلا المالكى كان يقول ان الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه وكان يكثر اتيانه للدعاء والله أعلم انتهى

(ومنها) الموضع الذى يقال له متعبد الجنيد بلحف الجبل الذى يقال له الاحمر أحد أخشبي مكة قال الفاسى رحمه الله ويقال له الآن قعيقان وجبل أبي الحارث أيضا انتهى وهو الآن مشهور عند أهل مكة بجبل جزل ونقل الجد انه معبد ابراهيم بن أدهم على ماقيل والله أعلم

﴿ ذكر المساجد ﴾

وهى كثيرة ذكرها من المتقدمين الازرقى وغيره وتبعه من المتأخرين الطبرى والفاسى وغيرهما (منها) ماهو موجود معروف الى يومنا هذا (ومنها) ما هو داثر لا يعرف بمكة وخارجها ذكرها الازرقى ثم تبعه الطبرى والفاسى ولم يبينا أمرها فيتوهم انها موجودة (ومنها) ما ذكره الازرقى والفاسي منفردا عن المساجد التى تقصد بالزيارة وقد رأيت ان أذكر أولا المساجد المعروفة الى وقتنا هذا المستحب زيارتها ثم أعقبها بالداثرة ثم أنبه على ماذكره منفردا ثم أذكر من لم يذكره الازرقى والفاسى فاقول

أما المساجد المعروفة (فمنها) مسجد باعلى مكة عند الردم وهو المدعى عرفه الطبرى بمسجد الراية ويعرف بذلك الى وقتنا هذا وبجانبه الآن منارة تعرف بمنارة أبي شامة يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه كما نقله الازرقى وذكر أن عبد الله بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بناه

(ومنها) مسجد بقرب المجزرة الكبيرة عند المدعى على يمين الهابط

الى مكة و يسار الصاعد منها يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب كما هو مكتوب بحجرين هناك

(ومنها) مسجد بسوق الليل بقرب من مولد النبى صلى الله عليه وسلم يقال له المختبا يزوره الناس كثيرا في شهر ربيع الاول كغيره من المحال التى تزار قال الفاسى ولم أر من ذكره ولا عرفت شيئا من خبره ونقل الشيخ العلامة سراج الدين عمر بن فهد رحمه الله ان هذا المحل مسجد عثمان بن عفان وان النبى صلى الله عليه وسلم كان يختبي فيه من الكفار وعزاه الى كتاب الكوكب المنير لنصر الله

(ومنها) مسجد على جبل أبي قبيس يقال له مسجد ابراهيم وليس المراد به الخليل عليه السلام وانما هو ابراهيم القبيسى انسان كان يسأل عنده ذكره الازرقى

(ومنها) مسجد باسفل مكة ينسب لابى بكر الصديق رضى الله عنه يقال انه من داره التى هاجر منها الى المدينة و يعرف الآن بدار الهجرة وهو قريب من بركة الماجن هذه المساجد التى بمكة

وأما التى في خارجها (فمنها) مسجد يقال له مسجد البيعه ومسجد الجن قال الازرقى ويسمونه أهل مكة مسجد الحرس لان صاحب الحرس كان يطوف بمكة حتى اذا انتهى اليه وقف حتى يتوافي عنده حرسه وعرفاؤه فانهم يأتونه من شعب ابن عامر ومن ثنية المدنيين فاذا توافوا رجع منحدرا الي مكة وهو فيما يقال موضع الخط الذى خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليلة استمع عليه الجن و بايعوه

صلى الله عليه وسلم كما يقال انتهى وشهرته بمسجد الحرس مستمرة الى وقتنا وهذا

(ومنها) مسجد يعرف بمسجد الاجابة على يسار الذاهب الى منى فى شعب بقرب ثنية اذا خر كذا عرفه الفاسى رحمه الله وهو مشهور بذلك الي وقتنا هذا يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه والله أعلم

﴿ ذكر المساجد التى في منى وجهتها ﴾

(منها) مسجد يقال له مسجد البيعة وهى التى بايع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار بحضرة عمه العباس حسبما ذكره أهل السير وهو بقرب العقبة التى هي حد منى من جهة مكة في شعب علي يسار الصاعد الى منى

(ومنها) بمنى مسجد يقال له مسجد النحر بين الجمرتين الاولى والوسطى على يمين الذاهب الى عرفة يقال ان النبى عليه السلام صلى فيه الضحى ونحر هديه عنده كذا وجد في حجر مكتوب فيه ذلك

(ومنها) مسجد يقال له مسجد الكبش على يسار الصاعد الى عرفة بسفح ثبير وهو مشهور والمراد بالكبش هو الذى فدى به الذبيح اسماعيل أو اسحاق على الخلاف فى ذلك ونقل الفاسى عن الفاكهى رحمهما الله تعالى ما يقتضى ان الكبش نحر فى غير هذا الموضع بين الجمرتين ويؤيده ما أخرجه الطبرى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم نحر فى منحر الخليل عليه السلام الذى نحر فيه الكبش المفدى به ثم بينه

الطبرى فقال وذلك فى سفح الجبل المقابل له يعنى ثبيرا وأراد بذلك الموضع الذى عند مسجد النحر المتقدم آنفًا والله أعلم بالحقائق

(ومنها) مسجد عائشة رضي الله عنها وهو بسفح ثبير أيضاً فوق مسجد الكبش المذكور وهو غار لطيف عليه بناء دائر ويسمى معتكف عائشة وبيت أم المؤمنين

(ومنها) مسجد الخيف المشهور بمنى وهو مسجد عظيم الفضل وقد وردت فى فضله أحاديث وآثار فمن ذلك ما أخرجه الطبراني فى معجمه الاوسط عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الخيف والمسجد الحرام ومسجدى واسناده ضعيف كما نص عليه الحفاظ وانما ذكرته لغرابته ولجواز العمل به فى فضائل الاعمال كما ذكره النووى وغيره من علماء الحديث وأخرج أيضاً فى معجمه الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال صلى فى مسجد الخيف سبعون نبيا منهم موسى وكذا أخرجه الازرقى أيضاً وفي رواية عن مجاهد خمسة وسبعون نبيا وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان النبى عليه السلام قال في مسجد الخيف قبر سبعين نبيا وأما الآثار فروي الشيخ العلامة مجد الدين صاحب القاموس فى كتابه الوصل والمنى فى بيان فضل منى بسند جيد عن أبي هريرة رضى الله عنه انه كان يقول لو كنت من أهل مكة لأتيت مسجد منى كل سبت وأخرج الازرقى عن أبي هريرة بلفظ لو كنت من أهل مكة لاتيت مسجد الخيف كل

سبت وفى آخر عنه أخرجه الجندى لو كنت امرأ من أهل مكة ما أتى على سبت حتى آتي مسجد الخيف فاصلى فيه وأما تعيين مصلى النبى صلى الله عليه وسلم من مسجد الخيف فاخرج الازرقى بسنده الى جده أن الاحجار التى بين يدي المنارة هى موضع مصلاه صلى الله عليه وسلم والمراد بالمنارة هى الصغيرة التى فى وسط المسجد الملاصقة لجدار القبة الكبيرة لا المنارة التى على الباب والمحراب الذى فى القبة هو موضع مصلاه صلى الله عليه وسلم لانه في موضع الاحجار التى ذكرها الازرقى كذا نقله الجد رحمه الله

(ومنها) بلحف الجبل المشرف على مسجد الخيف المسمي بالضب بمعجمة وموحدة نقله الصغاني وبالصفائح أيضا بصاد مهملة آخره تحتية ومهملة وقيل الصايح بمهملتين بينهما الف وموحدة قاله الازرقى مسجد لطيف عانى مسجد الخيف فيه غار به أثر يقال انه أثر رأس الرسول صلى الله عليه وسلم أخرج ابن جبير ان النبى صلى الله عليه وسلم جلس بهذا الغار مستظلا فيه فمس رأسه الكريم الحجر فلان حتى أثر فيه تأثيرا بقدر دورة الرأس فصار الناس يبادرون بوضع رؤسهم فى هذا الموضع تبركا واستجارة لرؤسهم بموضع مسه الرأس الكريم ان لا تمسها النار برحمة الله عز وجل انتهى ويعرف بغار المرسلات وهو مشهور به الى هذا الوقت وفى صحيح البخاري في باب ما يقتله المحرم من الدواب من رواية ابن مسعود انه قال بينما نحن مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى اذ نزلت عليه والمرسلات عرفا وانه ليتلوها واني لاتلقاها من فيه وان فاه لرطب بها

اذ وثبت علينا حية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها

﴿ فائدة ﴾ من عجيب الاتفاق ان الشيخ مجد الدين الشيرازى صاحب القاموس دخل الى الغار فى جماعة أصحابه وقرؤا سورة والمرسلات فخرجت عليهم منه حية فابتدروها ليقتلوها فهربت

(ومنها) مسجد عرفة الذى يصلى فيه الامام وهو مشهور لا يحتاج الى مزيد بيان وعرفه الازرقى بمسجد ابراهيم الخليل عليه السلام وجزم به الرافعي والنووي وخالف ابن جماعة وقال ليس لذلك أصل وتبعه الاسنوى على ذلك قال الفاسى وفيه نظر لمخالفتهما ما يقتضى كلام الازرقى وهو عمدة في هذا الشأن انتهي

(ومنها) مسجد التنعيم التى اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين بعد حجها عام حجة الوداع واختلف فيه فقيل هو المسجد الذى يقال له مسجد الهليلجة بشجرة كانت فيه قال الفاسى وهو المتعارف عند أهل مكة وفيه حجارة مكتوب فيها مايؤيد ذلك وقيل هو المسجد الذى بقربه بئر وهو بين هذا المسجد وبين المسجد الذى يقال له مسجد بطريق وادى مر وفي هذا أيضا حجارة مكتوب فيها ما يشهد لذلك والخلاف قديم انتهى ورجح الطبرى انه الذى بقربه البئر

(فائدتان) الاولى انما سمى هذا المحل التنعيم لان على يمينه جبلا يقال له نعيم وعن يساره جبلا يقال له ناعم والوادى الذى بينهما نعمان كذا قيل الثانية نعمان واد آخر فوق عرفة بقليل مشتمل على أودية كثيرة لاعراب

مكة وغيرهم قال البغوى وغيره من المفسرين انه واد مقدس وفيه أخذ الله العهد

(ومنها) مسجد الجعرانة وهو الذى أحرم منه النبى صلى الله عليه وسلم بعمرة مرجعه من الطائف بعد فتح مكة وموضع احرامه من وراء الوادى حيث الحجارة المنصوبة بالعدوة القصوى أخرجه الازرقى عن مجاهد رضى الله عنه وكذا ذكره الواقدي أيضا واختلف في احرامه صلى الله عليه وسلم متى كان والراجح انه ليلة الاربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة عام الفتح والجعرانة بكسر الجيم واسكان العين وتخفيف الراء وفتحها وقيل بكسر الجيم والعين وفتح الراء المشددة لغتان حكاهما النووى في تهذيب الاسماء واللغات

﴿ فوائد ﴾ الاولى أخرج الجندى في فضائل مكة بسنده الى يوسف بن ماهك انه قال اعتمر من الجعرانة ثلثمائة نبي وكذا ذكره الفاكهي أيضاً التانية في جهة الجعرانة ماء شديد العذوبة يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم فحص موضع المـاء بيده المباركة وقيل انه غرز فيه رمحه الميمون فنبع المـاء من ذلك المحل فشرب منه النبى صلى الله عليه وسلم وسقى الناس أخرجه الفاكهى التالثة انمـا سميت الجعرانة باسم امرأة من قريش يقال لهـا رائطة براء وطاء مهملتين بينهما مثناة تحتية بنت كعب ولقبها جعرانة وهى امرأة أسد بن عبد العزى وعن ابن عباس رضى الله عنه انمـا هي التى نزل فيها قوله تعالى ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة الآية

(ومنها) مسجد يقال له مسجد الفتح بالقرب من الجموم من وادى مر وهو مشهور بهذا الاسم الى هذا الزمان يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه والله أعلم فهذه المساجد كلها معروفة الآن تتعاهد بالزيارة بعضها في أوقات مخصوصة وبعضها مطلقا وأما المساجد التى ذكرها الازرقى ولم تعرف الآن فخمسة مساجد الاول مسجد باعلى مكة بين شعب ابن عامر المعروف الا ن بشعب عامر بدون لفظ ابن وحرف دار زائغة في أصل كذا عرفه الازرقى ثم قال ان عنده قرة مستقلة لرجل كان يسكن ثم فى الجاهلية وان النبى صلى الله عليه وسلم بايع الناس عنده يوم الفتح وهذا المسجد لا يعرف الا ن ولا يمكن حمله علي مسجد البيعة المعروف بمسجد الحرس المتقدم لان الازرقى قد ذكره أيضا مع ذكره لهذا المسجد الثانى مسجد باجياد يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم اتكأ هناك فى موضع سنه قال الازرقى ان أهل العلم ينكرون ذلك وانما يثبتون انه صلى باجياد الصغير ولا يوقف على موضع مصلاه أيضا تحقيقا بل حدساً بغير أصل الثالث مسجد باعلى مكة يقابل مسجد الحرس يقال له مسجد الشجرة قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان بمسجد الحرس فدعا شجرة كانت في هذا المسجد فاقبلت اليه فسألها عن شيء ثم أمرها بالرجوع فرجعت الى موضعها وقد دثر الرابع مسجد بذى طوي فى علو مكة بين الثنيتين اللتين يدخل منهما الحاج يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل هناك حين اعتمر وحين حج تحت سمرة كانت ثم ذكره الازرقى وأفاد ان زبيدة بنته الخامس مسجد السرد قال الازرقي

وهو الذى تسميه أهل مكة مسجد عبد الصمد بن على لكونه بناه وسيأتي
ذكر وادى السرر وهو بمنى في شرقها ذكره صاحب القاموس كما ستقف
عليه قريباً ان شاء الله تعالى غير ان تعيين محله يقينا لا يوقف عليه الآن
بل جهته السادس مسجد بعرفة عن يمين الموقف يقال له مسجد
ابراهيم وليس بمسجد عرفة الذى يصلى فيه الامام كذا عرفه الازرقى
ولم يبين ما المراد بابراهيم الذى ينسب اليه فهذه المساجد المذكورة لم
تعرف الآن وأما ماذكر من المساجد منفردا ولم يتعرض لاستحباب
زيارتها فمسجدان الاول مسجد عرفة المعروف الآن بمسجد نمرة
الذى يصلى فيه الامام ذكره الازرقي وأفرده عن المساجد التى يستحب
زيارتها ولم يصب بل هو أولى أن يعد من جملتها لان العلة فى ذلك انما
هو التبرك وهذا المسجد من البقاع العظيمة التى لا يشك فيها وكم صلى
فيه من حجاج الصحابة والتابعين والعلماء والاولياء والسادات لان كون
هذا المحل مصلى الامام مما يؤثره الخلف عن السلف واذا كان كذلك
فيبعد أن يتركه الاخيار ويصلون في غيره فكان عده من جملة المساجد
المستحب زيارتها أولي ولهذا ذكرته وعددته من جملتها الثانى مسجد
فوق العمرة المعروفة بالتنعيم الى جهة وادى مر على يمين الذاهب اليه
ويعرف بمسجد على ذكره الفاسى ضمنا عند ذكره لمسجد التنعيم وقد
مر كلامه ولم يبين أمره ولا تعرض لعلى الذى نسب اليه هذا المسجد
ولم أقف على شيء من خبره وأما مالم يذكر من المساجد فمسجد واحد
بمكة أمام الصاعد من باب العمرة على يسار الذاهب الى جهة سوق باب

ابراهيم فيه محراب لطيف جدا يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه هذا ماوقفت عليه والله أعلم

﴿ ذكر الجبال المباركة بمكة وحرمها ﴾

(ومنها) الجبل المعروف بابى قبيس أحد أخشبي مكة المشرف على الصفا وهو مشهور لا يحتاج الي بيان ويروي عن وهب بن منبه رضى الله عنه ان قبر آدم صلوات الله عليه في غار فى جبل أبي قبيس يقال له غار الكنز بالنون والزاء المعجمة وان نوحا عليه السلام لما جاء الطوفان استخرجه من الغار وجعله فى تابوت وحمله فى السفينة فلما غيض الماء أعاده الى الغار والله أعلم بذلك وهذا الغار لا يعرف الآن وقيل ان قبره بمسجد الخيف بعد أن صلى عليه جبريل عند باب الكعبة وقيل ببيت المقدس وقيل ببلاد الهند وصححه الحافظ ابن كثير في تفسيره ونقل عن الذهبي ان قبر حواء وشيث [1] في جبل أبى قبيس والله أعلم بالحقائق ومن فضائله انه كان يدعى الامين فى الجاهلية لان الحجر الاسود استودع فيه عام الطوفان فلما بنى الخليل الكعبة ناداه الجبل الركن منى بمكان كذا وكذا فجاء به جبريل فوضعه موضعه (ومنها) انه أول جبل وضع على وجه الارض حين مادت روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد (ومنها) ان الدعاء يستجاب فيه كما ذكره الفاكهى واستشهد لذلك بحكاية الوفد الذين

---

(١) أنزلت عليه خمسون صحيفة وعاش تسعمائة سنة ودفن مع أبويه في غار أبي قبيس

استسقوا فيه فاجيب لهم وسقوا (ومنها) انشقاق القمر عليه كما ذكره القطب الحلبي وغيره ونقل عن بعض العلماء أنه أفضل جبال مكة حتى حراء وعلل بكونه أقرب الجبال الى الكعبة الشريفة قال الفاسى رحمه الله وفي النفس شيء من تفضيله على حراء لكونه صلى الله عليه وسلم كان يكثر اتيانه للعبادة ويقيم به لاجلها شهرا فى كل عام وفيه أكرم بالرسالة ولم يتفق له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في جبل سواه وذلك مما يقتضي امتيازه بالفضل والموجب لتفضيل دار خديجة رضى الله عنها على غيرها من دور الصحابة طول سكناه عليه السلام بها ونزول الوحى عليه فيها لا لاجل القرب من الكعبة اذ كثير من البيوت أقرب اليها منه كدار العباس بالمسعى ودار الارقم بالصفا والله أعلم انتهى ثم في تسميته بابى قبيس أقوال أرجحها انه سمى باسم رجل من اياد يقال له أبوقبيس بنى فيه

﴿فائدة﴾ نقل القزوينى في كتابه عجائب المخلوقات من خواص جبل أبي قبيس ان من أكل فيه الرأس المشوى يأمن أوجاع الرأس وكثير من الناس يفعله والله أعلم بحقيقة ذلك

(ومنها) جبل الخندمة وهو جبل شامخ مشهور معروف في ظهر أبي قبيس (ومن فضائله) ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه ما مطرت مكة قط الا كان للخندمه عزة وذلك ان فيه قبر سبعين نبيا أخرجه الفاكهى والله أعلم بصحته وفيه يقول القائل في يوم الفتح

انك لو شهدت يوم الخندمة   اذ فر صفوان وفر عكرمة

الابيات المشهورة (ومنها) جبل حراء وهوممدود فمن ذكره صرفه ومن

أتثه منعه من الصرف ويسمى جبل النور بالنون وكأن ذلك لكثرة مجاورة النبي صلى الله عليه وسلم وتعبده فيه وماخصه الله به فيه من الاكرام بالرسالة ونزول الوحي عليه في الغار الذى باعلاه كما في صحيح البخارى حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء وهو معروف مشهور يأثره الخلف عن السلف ويقصده الناس بالزيارة ذكر الازرقي ان النبى صلى الله عليه وسلم اختبأ فيه من المشركين وكذا ذكره الفاكهي قال أيضا والمعروف ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يختبئ من المشركين الا في غار ثور لكن يتأيد ماذكر بما قاله القاضى عياض والسهيلى فى روضه ان قريشاً حين طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان علي ظهر ثبير فقال له اهبط عنى يارسول الله فاني أخاف أن تقتل وأنت على ظهرى فيعذبنى الله تعالى فناداه حراء الىّ رسول الله وجمع القاضى تقى الدين رحمه الله فقال ان صح اختفاؤه صلى الله عليه وسلم بحراء فهو غير اختفائه بثور والله أعلم فيكون في حراء أولا وفى ثور حين الهجرة وذكر بعض العلماء ان السر فى كونه صلى الله عليه وسلم لازم التعبد فيه دون غيره من الجبال من حيث ان فيه فضلا زائدا منه أن يكون فيه منزويا مجموعا لتعبده وهو يشاهد بيت ربه والنظر الى البيت عبادة فحصل له اجتماع ثلاث عبادات الخلوة والتعبد والنظر ومجموع ذلك أولى من الاقتصار على البعض وغيره من الاماكن ليس فيه ذلك المعنى وأيضاً ان هذا الجبل كان يختلى فيه أجداده صلى الله عليه وسلم (أقول) وفيما ذكر نظر لان غيره من الجبال يتأتى فيه ما ذكر من اجتماع العبادات الثلاث كابى قبيس

مثلا ويزيد بقربه من البيت فكان أولى أن يتعبد فيه وان كان المراد البعد من الناس لخلو البال في التعبد فالجبال البعيدة كثيرة اللهم الا ان يقال ان الغار الذى بحراء مستقبل الكعبة من غير انحراف وليس غيره كذلك فله وجه والاحسن أن يقال ان جبل حراء متعبد أجداده فاقتدى بهم في ذلك والله الموفق

(ومنها) جبل ثور بالثاء المثلثة باسفل مكة وسماه البكرى أبا ثور والمشهور الاول وبعده عن مكة ميلان وقيل ثلاثة وارتفاعه نحو ميل وكان اسمه أطحل بالطاء والحاء المهملتين وانما سمي ثورا لنزول ثور بن عبد مناف فيه وقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر اختفيا فى غاره المشهور الذى ذكره الله تعالى بقوله ثاني اثنين اذ هما فى الغار الآية وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار أمر الله العنكبوت فنسجت على بابه وشجرة فنبتت والحمامتين فعششتا على بابه ويقال ان هذا الحمام الذي بمكة من نسلهما ومن فضائل هذا الجبل ما يروى انه كلم النبى صلى الله عليه وسلم وقال له الى يارسول الله فاني قد آويت قبلك سبعين نبيا وللغار الذى فيه بابان واسع وضيق وكثير من الناس يتجنب دخوله من الباب الضيق لما يقال ان من لم يدخل منه وتعوق فليس لابيه وهو باطل لا أصل له وقد وسع الباب الضيق في حدود عام ثمانمائة لان بعض الناس أراد الدخول منه فانحبس فنحت منه حتى اتسع وتخلص وكان مكثه صلى الله عليه وسلم في الغار المذكور ثلاثا كما في صحيح البخارى وهو الراجح وقيل بضعة عشر يوما ووفق الجد رحمه الله بينهما

فقال ويحتمل ان يكون كلا القولين صحيحاً ووجه الجمع انهما مكثا في الغار ثلاثا ويكون معنى الحديث مكثت مع صاحبي مختفيين من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما انتهى

﴿ فائدتان ﴾ الاولى نقل عن البكرى انه قال في جبل ثور من كل نبات الحجاز وشجره وفيه شجر البان وفيه شجرة من حمل منها شيئاً لم تلدغه هامة الثانية نقل أيضاً في بعض الروايات عن ابن عباس رضى الله عنهما ان قتل قابيل أخاه هابيل كان في ثور أخرجهما الفاسى رحمه الله وفي صحيح مسلم ان ثورا اسم جبل آخر صغير في المدينة قريباً من جبل أحد عن يساره وأنكر ذلك بعض العلماء والله أعلم

(ومنها) جبل ثبير بمنى وهو جبل عظيم الفضل شامخ روى الازرقى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظى فطارت شظاياه لستة جبال ثلاثة منها وقعت بمكة وهى حراء ونور وثبير وثلاثة وقعت بالمدينة وهي أحد وورقان ورضوى أقول وكون ثبير بمكة تسامح لكن ماقارب الشىء أعطى حكمه وقد جعله القزويني من جبال مكة أيضاً ثم عرفه بانه الذى أهبط عليه الكبش الذى فدى بهاسماعيل ثم قال والعرب يقول أشرق ثبير كيما نغير وليس كذلك الا ثبير الذى بمنى وكذلك الجوهرى جعله بمكة وماذاك الا لقرب منى منها انتهى ويسمى ثبير الاثبرة والقابل أيضا بالقاف والباء الموحدة ونقل صاحب القاموس عن النقاش أن الدعاء يستجاب فيه ثم

قال ثبير الاثبرة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة وامام ظهور الدعوة ولهذا جاورت به أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أيام اقامتها بمكة انتهى

(ومنها) ثبير اسم لثمانية أماكن سبعة منها جبال بمكة وحرمها وهى ثبير الاثبرة المذكور وثبير الزنج وثبير الاعرج وثبير الاحدب ويقال الاحيدب بالتصغير وثبير الخضراء وثبير النصع وثبير غينا والثامن اسم لما في بلاد مزينة أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم شريس بمعجمة في أوله ومهملة فى آخره ابن ضمرة بضاد معجمة المزني رضى الله عنه وسماه شريحا بحاء مهملة ولنشر الى مواضعها تكثيرا للفائدة فأما ثبير الاثبرة فقد تقدم وعرف بذلك لانه أعلاها وأطولها وقيل انما سمى ثبير باسم رجل من هذيل دفن فيه والله أعلم بذلك وهو على يسار الذاهب الى عرفة الذى ذكره الفقهاء في المناسك بان المستحب للحاج اذا طلعت الشمس عليه أن يسير الى عرفة وأما ثبير غينا بالغين المعجمة المفتوحة بعدها مثناة تحتية ثم نون ثم الف وثبير الاعرج فهما بمنى أيضا يصب بينهما واد من منى يقال له أفاعية بضم الهمزة بعدها فاء والف وعين مهملة مكسورة ومثناة تحتية مفتوحة مخففة بعدها هاء كذا نقله صاحب القاموس عن الزمخشرى وذكر الازرقى فى ثبير الاعرج انه المشرف على حق الطارقيين بمثناتين تحتيتين بين المغمس والنخيل وفي ثبير غينا انه المشرف على بئر ميمون وقلته مشرفة على شعب على كرم الله وجهه فخالف فى ذلك الزمخشرى أقول ولعله أراد بالنخيل بساتين

ابن عامر التى كانت فى جهة عرنة لانه كان بها نخيل فيما مضى وأما ثبير النصع بكسر النون وسكون الصاد المهملة بعدها عين مهملة فهو جبل لطيف بمزدلفة على يسار الذاهب الى منى ذكره الازرقي وقال هو الذى كانوا يقولون فى الجاهلية اذا أرادوا الدفع من مزدلفة أشرق ثبير كيما نغير ولا يدفعون حتى يرون الشمس عليه انتهى والمعروف المنقول عن جمع من أهل المناسك انهم ما كانوا يعنون بهذا الكلام الاثبير الاثبرة الذى بمنى ووجه الفاسى رحمه الله تعالى ما قاله الازرقى وقال لا يبعد ذلك لان قريشاً ما كانوا يقولون ذلك الا وهم بمزدلفة وهذا أقرب الى أبصارهم من الذى بمنى انتهى وأما ثبير الخضراء بمعجمتين وراء مهملة هو الجبل المشرف على الموضع الذى يقال له الخضيراء بطريق منى نقله الفاسى والخضيراء واد معروف الى هذا اليوم وأما ثبير الزنج فهو جبل النوبي المعروف باسفل مكة في جهة الشبيكة الذى تقدم ان به مولد سيدنا عمر بن الخطاب على ما قيل وانما سمى بذلك لان سودان مكة كانوا يلعبون عنده وهم النوبة والسودان الزنوج أيضاً فطابقت التسمية على كلا الوجهين وأما ثبير الاحدب أو الاحيدب فلم أقف على موضعه ولم أر كلاما في تعيين محله والله أعلم أقول بمنى جبل يدعى الاحيدب الى هذا التاريخ سمعت ذلك من بعض أهل منى وهو مقابل مسجد الخيف يقرب من ثبير الاثبرة على يسار الذاهب الى عرفة والى جانبه جبل آخر لا يبعد والله أعلم أن يكون ثبير غينا و بينهما شعب الظاهر انه أفاعية الذى يصب بينهما كما تقدم ويكون ثبير الاعرج كما ذكره الازرقى

في جهة عرفة بين المغمس والنخيل لانه أمس بذلك ويبق ما ذكره الزمخشرى مجرد نقل لم يعضده شيء يقويه ويصير على هذا بمنى ثلاثة أثبرة ثبير المشهور وثبير غينا وثبير الاحيدب الذى بينهما أقاعية انتهى والله الموفق فهذه الاثبرة التى بمكة وظاهرها والله أعلم

﴿ ذكر المقابر المباركة التي تزار بمكة وقربها ﴾

(منها) مقبرة المعلاة لما قد حوته من سادات الصحابة والتابعين وكبار العلماء والصالحين وان لم يعرف قبر أحد من الصحابة تحقيقا الآن وأفضل شعابها الشعب الذى يقال ان فيه قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ولم يرد ما يعتمد عليه فى ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم نعم الشعب ونعم المقبرة أخرجه الازرقى ثم قال لا يعلم بمكة شعب يستقبل ناحية من الكعبة ليس فيه انحراف الا شعب المقبرة فانه يستقبل وجه الكعبة كله انتهى وقد تقدم ذكر شيء مما ورد في فضل هذه المقبرة فى فضائل مكة فلا نطول باعادته ومما ورد في فضلها ما روي عن بعض الصالحين انه قال كشف لى أهل المعلاة فقلت لهم أتجدون نفعا بما يهدى اليكم من قراءة ونحوها فقالوا لسنا محتاجين الى ذلك فقلت لهم مامنكم أحد واقف الحال فقالوا وهل يقف حال أحد في هذا المكان ومن ذلك ما رواه أبو سعد بن السمعاني فى تاريخه عن أبي نصر محمد بن ابراهيم الاصبهاني انه رأى في المنام كأن انسانا مدفونا في المعلاة استخرج ومروا به الى موضع آخر قال فسألت عن حاله فقالوا هذه المقبرة منزهة عن أهل البدعة

لا تقبل أرضها مبتدعا ونقل عن الشيخ خليل المالكي رحمه الله ان الدعاء يستجاب عند ثلاثة أماكن بالمعلاة عند قبور سماسرة الخير وعند قبر الشولى وعند قبر امام الحرمين عبدالمحسن بن أبي عبد الحميد أقول قبور سماسرة الخير بالقرب من البئر المعروفة بئر أم سليمان التى يقصر منها القصارون الثياب الآن وقبر الشولى وامام الحرمين معروفان انتهى ومن مقابر مكة قديما المقبرة العليا فيستحب زيارتها لما فيها من الاموات وأهل الخير وهى بين المابدة وثنية أذاخر وكان يدفن فيها في الجاهلية وصدر الاسلام آل أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس وآل سفيان ابن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم نقله الازرقي ثم قال وكان أهل مكة يدفنون موتاهم من جنبتى الوادى يمنيه وشامه ثم حول الناس جميعا قبورهم في الشعب الايسر لما جاء فيه انتهى والمراد باليمنى هو شعب أبى دب المعروف الآن بشعب العقاريب وفيه كان يدفن في الجاهلية وصدر الاسلام وأبو دب رجل من بنى سوأة بن عامر سكنه فسمى به ويقال ان قبر آمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم فى شعب أبى دب هذا وانه صلى الله عليه وسلم جاء اليها وزارها وقيل فى غير هذا المحل من المعلاة وقيل بالابواء وهو المشهور والمراد بالشام هو شعب الصفي بتشديد التحتية المسمى قديما بصفى الشباب وهو الذى عند أذاخر والحرمانية فى طرف المحصب ويسمى المحصب شعب الصفى وهو خيف بنى كنانة وانما سمي شعب الصفى لان ناسا فى الجاهلية كانوا اذا فرغوا من مناسكهم ونزلوا المحصب المذكور وقفوا بفم هذا الشعب

وتفاخروا بالآباء والايام والوقائع فى الجاهلية أقول وليس فى هـذا مناسـبة لوجه التسمية وكانه والله أعلم مأخوذ من الاصطفاء لكونهم اختاروا هذا المكان واصطفوه لمفاخرتهم لكن الازرق لم يعرج على هذا وانما أخذته من سياق الكلام ثم يظهر ان صدور هذا التفاخر انما كان يقع من شبابهم ليظهر وجه التسمية انتهى وفى هذه المقبرة العليا قبر سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عند قبور آل عبد الله بن خالد بن أسيد وذلك انه مات عندهم في دارهم سنة أربع وسبعين وله من العمر أربع وثمانون عاما وكان صديقا لعبد الله بن خالد فلمـا حضرته الوفاة أوصاه بان لا يصلى عليه الحجاج بن يوسف الثقفى وكان بمكة بعد مقتل ابن الزبير فلمـا قضي صلى عليه عبد الله بن خالد ودفنه عند باب داره ليلا أخرجه الازرقى ولهذا والله أعلم خفى قبره وعرف الازرقى المقبرة العليا بانها حائط خرمان وهو المسمي فى هـذا الوقت بالخرمانية عند المحصب قال الفاسى رحمه الله وما ذكره الازرقي من كون عبد الله بن عمر دفن بالمقبرة العليا يدفع ما يقال انه مدفون بالجبل الذى بالمعلاة ولا أعلم فى ذلك دليلا وهو بعيد من الصواب والله أعلم * ومن مقابر مكة أيضا قديما مقبرة المهاجرين بالحصحاص وهو ما بين فح والجبل المسمي بالمقلع وبالبكاء أو الزاهر كما هو مقتضى كلام الازرقى والفاسى وانما سمى بالبكاء لما قيل انه بكى على النبى صلى الله عليه وسلم حين هاجر وهو مشهور بالبكاء الى اليوم أقول فتكون المقبرة المذكورة فى المحل المعروف الآن بالمختلع الذي يبيت به أمير الحاج عند قدومه

ثم يصبح ويدخل مكة فينبغى لمن أتى ذلك الموضع أن يقرأ ما تيسر ثم يدعو هناك بالدعاء المأثور عند زيارة القبور ويهدى ثواب ذلك اليهم والى سائر أموات المسلمين وكذلك عند المقبرة العليا التى تقدم ان بها قبر سيدنا عبد الله بن عمر لما علمته والله الموفق وسبب تسميتها بمقبرة المهاجرين ان جندع بجيم ونون ابن أبى ضمرة بمعجمة ابن أبى العاص اشتكى وهو بمكة فخاف على نفسه فخرج يريد الهجرة الى المدينة فادركه الموت وهو بهذا المحل فدفن فيه فانزل الله ومن يخرج من بيته مهاجرا الآية فسميت مقبرة المهاجرين به أخرجه الازرقى ووقع مثل ذلك لغير جندع أيضا فدفن هنالك وممن دفن بهذا المحل جماعة من العلويين قتلوا فيه فى حرب وقع بينهم وبين عسكر موسى الهادى في سنة تسع وتسعين ومائة وفيه جماعة من الانصار مدفونون ويسمى هذا المحل أيضاً باضاة بني عقار وهي التى قال النبى صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل وأنا باضاة بنى عقار فقال يامحمد ان ربك يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف فقلت أسأل الله المعافاة فقال فانه يأمرك ان تقرأه على حرفين فقلت أسأل الله المعافاة قال فانه يأمرك ان تقرأه على ثلاثة أحرف فقلت أسأل الله المعافاة قال فانه يأمرك أن تقرأه على سبعة أحرف كلها شاف كاف واختلف ما المراد بالسبعة الاحرف فقيل سبعة لغات * ومن المقابر أيضا المباركة مقبرة الشبيكة فيستحب زيارتها لما حوته من أهل الخير والغرباء لاسيما الفقراء الطرحاء فانهم ما يدفنون غالبا الا بها ونقل الفاسي رحمه الله عن الفاكهي ان مقبرة المطيبين قديما كانت باعلى مكة ومقبرة الاخلاف

باسفل مكة ثم قال والظاهر ان مقبرة الاخلاف هي هذه المقبرة يعنى بذلك الشبيكة لانه لايعرف باسفل مكة مقبرة سواها ودفن الناس بها الى الا ن مشعر بذلك ثم قال والمطيبون بنو عبد مناف بن قصي و بنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة بن كلاب و بنو تيم بن مرة و بنوالحارث بن فهر والاخلاف بنو عبد الدار بن قصى و بنو مخزوم و بنو سهم و بنو جمح و بنو عدي بن كعب انتهى

﴿ فائدة ﴾ وفي سبب تسميتهم بالمطيبين والاخلاف نقل عن ابن اسحق ان قصياً لما هلك قام بنوه بعده بأمر الرياسة واقتسموا مأثره كما تقدم ثم ان بنى عبد مناف بن قصى وهم عبد شمس ونوفل وهاشم والمطلب أجمعوا ان يأخذوا مافى أيدي بني عبد الدار بن قصي مما كان قصى جعله الى بنى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا انهم أحق بذلك منهم لشرفهم عليهم فافترقت قريش فرقتين فكانت طائفة منهم مع بنى عبد مناف على رأيهم وطائفة مع بنى عبد الدار يرون أن لا ينزع منهم ماجعله قصى اليهم ثم أخرج بعض نساء عبد مناف جفنة مملوأة طيباً فغمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا وتعاهدوا ان لا يتخاذلوا فسموا المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا عند الكعبة ان لا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاخلاف ثم اصطلحوا على أن تكون السقاية والرفادة والقيادة لبنى عبد مناف وان تكون الحجابة واللواء والندوة لبنى عبد الدار كما كانت ففعلوا ولم يزالوا على ذلك حتى جاء الله بالاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من حلف فى الجاهلية فان

الاسلام لم يزده الا شدة ومن القبور التى ينبغى زيارتها خارج مكة قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم خالة ابن عباس وهو معروف بطريق وادي مر بمحل يقال له سرف بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفاء وبينه وبين مكة ستة أميال وقيل سبعة أميال بتقديم السين وقيل تسعة بتقديم المثناة وقيل اثنا عشر ميلا كذا ذكره صاحب المطالع أقول القول الاخير بعيد والنظر يقضى بخلاف ذلك لمن سلك الطريق الى وادي مر وأعدل الاقوال السبعة لان المعاينة تؤيده انتهى قال الفاسى رحمه الله ولا أعلم فى مكة ولا فيما قرب منها قبور أحد ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سوي هذا القبر لان الخلف يأثره عن السلف وموضع قبرها هو الذى بنى بها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوجها انتهى

(ومنها) قبر سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وهو بوادى الطائف فينبغي زيارته لمن قدر على ذلك قال صاحب المطالع ان الطائف هو وادى وج انتهي ووج بفتح الواو وتشديد الجيم وسمى باسم وج ابن عبد الحق من العمالقة وأما وح بالواو والحاء المهملة فهو ناحية نعمان فوق عرفة وعن الزبير بن العوام رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان صيد وج وعضاهه حرم محرم لله عز وجل قال النووى واسناده ضعيف وذكر الطبرى فى تحريم صيد وج احتمالين أحدهما ان يكون على وجه الحمى له ثم قال وعليه العمل عندنا والثاني أن يكون حرمه فى وقت ثم نسخ انتهى وقال النووى فى الايضاح ويحرم صيد وج لكن

لاضمان فيه انتهى وأما مذهبنا فليس له حرم وانما سمي الطائف لما روى ان رجلا أصاب دما من قومه فلحق بثقيف وأقام بها وقال لهم ألا أبنى لكم حائطاً يطيف ببلدكم فبناه فسمى الطائف لذلك وقيل انما سمي بالطائف لان جبريل طاف به حول الكعبة قل بعض المفسرين فى قوله تعالى في سورة نون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ان جبريل عليه السلام اقتلعها من موضعها وطاف بها حول البيت فلذلك سميت بالطائف وقيل انما اقتلعها جبريل عليه السلام من الشام وطاف بها سبعاً وذلك لدعوة الخليل عليه السلام حيث يقول وارزق أهله من الثمرات الآية والله أعلم بالصواب وجاء في قوله تعالى ويتم نعمته عليك أى بفتح مكة والطائف وقال المفسرون في قوله تعالى لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم انهما مكة والطائف فقرن تعالى الطائف بمكة وذلك فى غاية الشرف وفى الرجل قولان أحدهما انه عتبة بن عبد شمس والثاني انه مسعود بن معتب الثقفى

﴿ غريبة ﴾ حكي الميورقى ان ميضاة بكسر الميم وقعت في عين الازرق بالطائف فخرجت من عين الازرق بالمدينة الشريفة

﴿ منها ﴾ قبر باعلى الجبل المشرف على الموضع المعروف بالبرقة بوادى مر يزعم سكان وادى مر انه قبر مريم بنت عمران ويقصدونه بالزيارة والنذور ويذبحون عنده ولا أعلم لهم في ذلك سلفا ولم أر من ذكره ولم أقف على شيء من خبره بعد السؤال والتفحص والله أعلم بحقيقة ذلك

﴿ فوائد ﴾

نختم بها الخاتمة يرجع بعضها الى بعض شيء مما تقدم

الاولى قال النووى رحمه الله في عدة من كتبه وغيره أيضا ان الدعاء يستجاب في خمسة عشر موضعاً في الطواف وفي الملتزم كما قدمته وتحت الميزاب وداخل الكعبة وخلف المقام وعند زمزم وعلى الصفا وعلى المروة وفى حال السعى وجميع منى عموما وعند الجمرات الثلاث خصوصاً وفى عرفة وفى مزدلفة فهذه خمسة عشر موضعا بالجمرات الثلاث وذكر بعض العلماء من الاماكن المستجابة الدعاء مسجد الخيف بمنى (ومنها) على ما ذكره ابن الجوزى مسجد البيعة وغار المرسلات ومغارة الفتح لانها من ثبير أقول مغارة الفتح المذكورة هى فى سفح ثبير قريبا من معتكف عائشة أنشأها القاضى مجد الدين صاحب القاموس وكان يختلى بها للعبادة انتهى وذكر العلامة النقاش فى منسكه مواضع يستجاب فيها الدعاء فى ثبير الاثيرة وفى مسجد الكبش وفى مسجد النحر وحال الدخول من باب السلام وفيدار خديجة رضى الله عنها ليلة الجمعة وفي مولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عند الزوال وفي دار الخيزران عند المختبا بين العشاءين وفى مسجد الشجرة يوم الاربعاء وتحت السدرة بعرفة وقت الزوال وفي المتكأ غداة الاحد أقول هذه الثلاث المحال لا تعرف الآن والمتكأ المذكور الظاهر انه الذي باجياد وقد تقدم الكلام فيه بانه لايعرف يقيناً بل حدسا بغير دليل ولا قرينة

انتهى وفى جبل ثور عند الظهر وفى حراء مطلقا انتهى كلامه * الثانية مما يدل على فضل منى أيضا ما رواه ابن الحاج في منسكه عن أبى سهل ابن يونس الرجل الصالح انه قال رأيت كأنى فى سفينة تجرى على وجه الارض وقائل يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقفزت من موضعى وقلت يارسول الله استغفر لى فقال لى حججت فقلت نعم فقال لى حلقت رأسك بمنى قلت نعم قال رأس حلقت بمنى لا يمسه النار أبدا انتهى * الثالثة اختلف فى سبب تسميتها بمنى فقال ابن عباس رضي الله عنهما انما سميت منى لان جبريل عليه السلام لما أراد أن يفارق آدم عليه السلام قال له تمن قال تمنيت الجنة فسميت بذلك لامنية آدم عليه السلام وقيل سميت بذلك لما يمنى فيها من الدماء اى يراق وهذا هو المشهور الذى ذكره جمهور اللغويين وغيرهم وقيل لما تمنى أن يقدر وقيل لاجتماع الناس بها لان العرب تسمى كل موضع يجتمع فيه الناس منى وقيل لمن الله على الخليل عليه السلام بفداء ابنه فيها وقيل لمن الله بالمغفرة فيها على عباده وقيل غير ذلك ويجوز فيها الصرف وعدمه والتذكير والتأنيث قال صاحب القاموس والاجود صرفه وجزم الجوهري في صحاحه بتذكيره وصرفه وأنشدوا على تذكيره

سقى منى ثم رواه وساكنه ومن ثوى فيه واهي الودق مغتبق

وجاء فى تأنيثه للعرجى

ليومنا بمنى اذ نحن ننزلها أسر من يومنا بالعرج أوملل

الرابعة أخرج ابن حبان فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضى الله

عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كنت بين الاخشبين
من منى ونفح بيده نحو المشرق فان هناك واديا يقال له وادى السرر
لسرحة به سر تحتها سبعون نبيا انتهى ملخصا والسرحة بالسين والحاء
المهملتين الشجرة العظيمة ووادى السرر بضم السين وفتح الراء وقيل
بفتحهما وقيل بكسر السين وفتح الراء ومعنى سر تحتها أي قطع سررهم
يعنى انهم ولدوا تحتها يصف بركتها ويمنها والسرر ما يقطع من المولود
فيبان والباقى بعد القطع السرة ولا يقال قطعت سرته بل قطع سرره
ومن قطع سرره فهو مسرور قاله صاحب القاموس قال الفاسى رحمه الله
لم يبين الطبرى موضع هذا الوادى وما عرفته أنا أيضاً انتهى أقول
قد بين صاحب القاموس مسافة ما بينه وبين مكة اجمالا فى كتابه الوصل
فقال قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري السرر على أربعة أميال
من مكة عن يمين الجبل بطريق منى وكان عبد الصمد بن على اتخذ
عنده مسجداً كان به شجرة ذكر انه سر تحتها سبعون نبيا وقد قدمت
ان هذا المسجد لا يعرف فيكون على مقتضى قول الحسن بن الحسين
محل وادي السرر المذكور تقريباً بين محسر ومنى على يسار الذاهب
الى عرفة لان الفقهاء ذكروا فى عدة من المناسك ان بين منى ومكة
ثلاثة أميال هذا قول أكثرهم ويكون من مني الى محسر قدر ميل
فهذه أربعة أميال والسرحة لاوجود لها الآن والله الموفق * الخامسة منى
اسم لموضعين أحدهما مني المذكور والثانى اسم جبل من جبال ضرية
بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المكسورة والمثناة التحتية المشددة المفتوحة

والهاء ذكره صاحب القاموس في الوصل وعزاه الى الاصمعى . السادسة الخيف لغة المكان المرتفع عن مسيل الماء المنحدر عن غلظ الجبل وقال بعضهم الخيف هبوط وارتفاع في سفح جبل أو غلظ ومسجد الخيف بني فى مكان هذه صفته وقيل الخيف غرة بيضاء في الجبل الذى خاف أبي قبيس والخيف أيضاً الناحية وبه سمي خيف منى كانه ناحيته وقد تغزل الشعراء في منى وخيفها باشعار كثيرة رائقة وأناشيد فائقة رأيت أن أذكر منها بعض شيء مما انشرح به الخاطر تكثيرا للفائدة فمن ذلك قول بعضهم

تبدى لعينى والحجيج على منى ... غزال رأيناه بمكة محرما
رمى وهو يسعى بالجمار وانما ... رمى جمرة القلب المعذب اذ رمى

ومن ذلك للشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى من قصيدة

بوادى منى نلنا المنى اذ تبسمت ... ليال وأيام ملاح المباسم
سرور بعيد واجتماع أحبة ... وقرب وقربان وعز مواسم

ومن ذلك لبعضهم

ما بال قلبي لا يقر قراره ... حتى تقضى من منى أوطاره
ما ذاك الا من تلهب سوقه ... يسبيه من وادى منى تذكاره
ياسائق الاظعان ان جزت الحمى ... سلم على من بالمحصب داره
واشرح لهم ما يلتقى مشتاقه ... من فرط شوق أحرقته ناره
يصبو الى ذكر الحطيم وزمزم ... والركن والبيت المكرم جاره

ومن ذلك لمجنون ابن قيس العامرى

ولم أر ليلى غير موقف ساعة | بخيف منى ترمى جمار المحصب
وتبدي الحصا منها اذا قذفت به | من البرد أطراف البنان المخصب
فأصبحت من ليلى الغداة كناظر | مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

ومن ذلك لبعضهم

أيا حادى الاظعان جزبي على منى | وبرد لظى أحشاي بالجرات
وقف بي على ذلك المقام فان لى | به اربا أقضيه قبل وفاتى
ومل بي الى البيت العتيق وخلني | لديه وما أبديه من زفراتى

ومن ذلك قول ابن الجوزى

سقامنى وليالى الخيف ماشربت | من المياه وحياها وحياك
الماء عندك مبذول لشاربه | ولا نرويك الا دمعة الباك
ثم انثنينا اذا ماهزنا طرب | على الرحال تعللنا بذكراك

ولغيره فلما قضى من منى كل حاجة | ومسح بالاركان من هو ماسح
أخذنا باطراف الاحاديث بيننا | وسالت باعناق المطى الاباطح
بكينا على ماكان من زمن الهوي | ولم يعلم الغادى بمن هو رائح

وفي هذا القدر كفاية . الفائدة السابعة المشهور عند أهل مكة ان الحجون هو الجبل الذي فيه الثنية التي يدخل منها الحاج الهابطة على المقبرة وعرفها الازرقى بثنية المدنيين ويسمونها الحجون الاول بالنسبة الى الخارج منها الى جهة ذي طوى والزاهر ويقولون لما بينها وبين الثنية الاخرى الهابطة على المختلع وطريق الوادى وتسمى الخضراء بين الحجونين وبعين الخارج منها الى جهة منى كما هو صريح كلام الازرقى

والخزاعى والفاكهى والنووى فاما الازرقى فقال عند ذكره لما في معاني المعلاة من المواضع والشعاب والجبال مانصه الحجون الجبل المشرف جدا على مسجد البيعة الذي يقال له مسجد الحرس ومثله كلام الفاكهى وأما كلام الخزاعى فنص كلامه الحجون الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وأنت مصعد وقال النووى في شرح مسلم الحجون وهو من حرم مكة الجبل المشرف على مسجد الحرس باعلى مكة على يمينك وأنت مصعد قال السيد الفاسى رحمه الله وقد ذكر المحب الطبري في القرى مايوافق ما يقوله الناس وكنت قلدته فى ذلك فظهر لى ان الازرقى بذلك أدرى كيف وقد وافقه الخزاعي والفاكهى وغيرهما واذا كان كذلك فلعله الجبل الذي يزعم الناس ان فيه قبر عبد الله بن عمر والجبل المقابل الذي بينهما الشعب المعروف عند الناس بشعب العفاريت والله أعلم انتهى وأغرب السهيلي فى محل الحجون فقال والحجون على فرسخ وثلث من مكة انتهى والحجون بفتح الحاء وضم الجيم كذا ضبطه النووى والطبرى وصاحب المطالع وضبطه ابن خلكان بضم الحاء والمعروف الفتح

تمت الفوائد وبتمامها يتم الكتاب والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبيه سيدنا محمد المبعوث باعظم المعجزات وعلى آله وأصحابه الاماجد السادات

وليكن هذا آخر مايسره الله ومن به وهو المنان مما قصدت اثباته حسب الوسع والامكان ومع ذلك فاني عاجز عن بلوغ المراد ملتمس

من الله سبحانه الاصابة والسداد وضارع اليه في التوفيق والرشاد أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم وعدني من فائض فيض فضله العميم ويجمعني ومن يطالعه في جنان النعيم ويختم آخر أعمالي بالخيرات ويرجح ميزاني بالحسنات ويعفو ما اقترفته من الذنوب والسيئات ويرزقني الثبات عند السؤال بعد الممات ويفتح على بالعلم الشريف والعمل به فانه الكنز الموروث عن الانبياء ونعم الميراث ويجعلني كما وفقني لجمع هذه الفضائل ممن شمله قوله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث والاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى واللسان لايبرز عن الجنان الا ماحوى والمسؤل ممن وقف على التأليف من الاخوان أن ينظر فيه بعين الرضى والرضوان فما كان من نقص كمله ومن خطأ أصلحه وأن يصفح عما يجده في ترتيبه من زلل وما يظهر له فيه من خلل فان القلم قد يهفو والجواد قد يكبو وقد سبق من اقراري بالعجز والضعف ما يقتضي الصفح والعفو والانسان غير معصوم عن الخطأ والنسيان والمؤمن مرآة أخيه والله تعالى يغفر لمن نظره أوكتبه أو أصلح شيئاً منه أو فيه

ولنختم هذا التأليف بما ورد من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم المأثور الشريف

اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن كن لي جارا من شر خلقك كلهم أن يفرط على أحد منهم وأن يبغي على عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك

وصلى الله علي سـيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿ تم الكتاب بعون الملك الوهاب ﴾

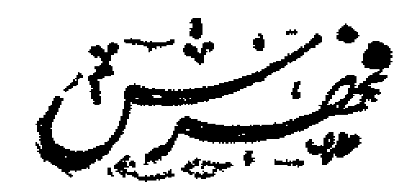
وكان الفراغ من نسخ هـذا الجامع المبارك عصر الاثنين سنة تسعة وعشرين بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام





يقول راجى غفران المساوى
رئيس لجنة التصحيح بدار احياء الكتب العربية بمصر
محمد الزهرى الغمراوى

نحمدك اللهم على ما مننت ونشكرك على ما أوليت ونصلى ونسلم على سيدنا محمد المبعوث من أفضل البقاع المعظم لحرمات الله فوق ما يستطاع وعلى آله خير آل وأصحابه سادات الرجال (وبعد) فقد تم بحمده تعالى طبع الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف وهو كتاب قد حوى من الدرر أغلاها ومن الجواهر أنفسها وأعلاها ومن اطلع عليه وجد أنه لم يسبق له مثيل فى أمر البيت الحرام ومكة وأمرائها فى كل جيـل كيف لا وهو لعلامة عصره وفريد دهره الامام جمال الدين محمد الشهير بابن ظهيرة أثابه الله الرضوان وأفاض عليه سحائب الاحسان وكان تمام طبعه وحسن تنميقه ووضعه فى شهر شـعبان المكرم من شهور سنة ١٣٤٠ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية



أسماء الرجال والنساء والاماكن

اعلم انه لما رأينا أهمية هذا الكتاب في بابه وفضله الذى لاينكره كل مطلع ونابه الامر الذى جعلنا من العناية به أن استخرجنا ما فيه من أسماء الرجال والنساء والاماكن ورتبنا ذلك على حروف المعجم ووضعنا أمام كل اسم نمرة الصحيفة التى وجد بها واذا ذكر الاسم كثيرا في جملة صحائف كالاسماء التى تكررت في أغلب صحائف الكتاب مثل الازرقى وابن عباس وعائشة ومكة اقتصرنا على تكرير النمرة امامه أربع مرات فقط وفعلنا ذلك ليسهل على القارئ استخراج أى اسم أراد والله الهادى الى سواء السبيل

أسماء الرجال

فهرست

اسماء النساء

فهرست

اسماء الاماكن

(ن) — نمرة الصحيفة

([illegible]) — نمرة الصحيفة

(و)

(و)

(ى) — نمرة الصحيفة

﴿ تم الفهرس ﴾

